



مركز
للبحوث والتحريات الكمبيوترية

اصبهان

للغات



ارسلنا
عليكم يا صابغ
الرماد

www.

www.

www.

www.

Ghaemiyeh

.com

.org

.net

.ir

إعرف إمام زمانك

للهدى المنتظر رحمته ومعالج آخر الزمان

الشيخ جعفر حسن عثيمين

دار الدعوة الإسلامية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إعرف إمام زمانك : المهدي المنتظر عجل الله تعالى فرجه شريف ومعالـم آخر الزمن

كاتب:

الشيخ جعفر حسن عتريسي

نشرت في الطباعة:

دار الحجة البيضاء

رقمي الناشر:

مركز القائمة باصفهان للتحريات الكمبيوترية

الفهرس

5	الفهرس
10	إعرف إمام زمانك : المهدي المنتظر عجل الله تعالى فرجه شريف ومعالم آخر الزمن
10	اشارة
10	اشارة
12	نصيحة أهل الدنيا :
14	المهدي المنتظر عجل الله تعالى فرجه شريف..
14	اشارة
22	تعريف بالمهدي
22	البشارة بالمهدي
23	ولادة المهدي
29	سفراء الإمام المهدي ، والغيبين
32	شباع حكومة الجور والانحراف المفاهيمي والسلوكي زمن الغيبة
44	بعض علامات الظهور المبارك
44	اشارة
48	آية الحدثان
49	النجم المذنب
51	آية الشمس
53	بعض الفتن ، وما يقع على بلاد الإسلام في عصر الغيبة
53	[سيطرة الكفار على الأنهر الخمسة]
55	علامات تقع في بلاد العرب إبان عصر الظهور
56	عن خليفة العراق
57	استنزاف بلاد المسلمين
59	إسم المهدي وكنيته وألقابه :

60	صفاته البدنية والخلقية :
61	مقامه عند الله تعالى :
61	اشارة
64	نسبته من النبي محمد صلى الله عليه وآله
65	نسبته من الإمام علي عليه السلام:
66	نسبته من السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام
66	نسبته من الإمام الحسين عليه السلام:
67	خريطة القوى العالمية والقيم والمعالم في آخر الزمان
67	اشارة
68	اختلاف الجيوش العالمية
71	حرب الثروة الجوفية
72	غربة الإسلام في [العالم الفاسد ، ودولة خراسان ، وباقي الجيوب]
73	تحالف القوى العالمية على الإسلام
77	المهدي عليه السلام يبعث بقتال الروم
78	المهدي عليه السلام وحجج الله الظاهرة
79	الهدنة مع الروم وانقلاب الروم عليها
80	محاولة بعض النصارى واليهود للاختباء وراء المسيح
80	اشارة
87	اليهود :
87	اشارة
88	تخطيط المسلمين في آخر الزمان والكارثة الأخلاقية التي يصابون بها :
94	الترك :
98	الخراسانيون :
98	اشارة
104	أهل خراسان وموضوع الحق الذي يطالبون به

105 الخراساني :
105 اشارة
109 فتح بيت المقدس وإعلان الترك الحرب على خراسان
122 السيد الحسنى والقضاء على الفتنة الداخلية في أرض خراسان
132 قائد من ذرية جعفر بن أبي طالب
132 تملك جمال الديلم وقتال ناس من قزوين للدجال
132 الجفاء اتجاه المهدي
133 منع التقيز والدرهم عن العراق والمنطقة
133 بلاد الشام وحركة السفيناني [قراءة معمقة في أحداث المنطقة]
133 اشارة
153 المهدي والروم
160 فتح الهند والصين
161 جبهة الدجال
163 الحجاز في آخر الزمن :
163 اشارة
166 ذبح النفس الزكية
170 اليمن واليماني في آخر الزمن :
175 العراق في آخر الزمن :
183 مصر في آخر الزمن :
186 العرب في آخر الزمن :
193 بلاد العرب في عصر ظهور المهدي صلى الله عليه وآله
193 وما يكون عليه العرب والمسلمون في آخر الزمان
199 حرب الروم على دولة عليه السلام بعى غدرهم
213 حالة العرب واضطراب أحوالهم أمام طواغيت آخر الزمان
213 اشارة

- 227 عدل المهدي عليه السلام والرخاء في عصره :
- 232 أصحابه و أنصاره عليه السلام:
- 236 بعض معالم آخر الزمان :
- 237 حكومات آخر الزمان
- 238 تعاقب الفتن على المسلمين
- 241 أول سلطان المهدي عليه السلام
- 243 حركة حروبه وفتوحاته عليه السلام:
- 252 حياة المهدي عليه السلام بعد الظهور المبارك
- 254 بعض خصائص وأوصاف ما قبل الظهور
- 254 الجاهلية الثانية قبل ظهور المهدي عليه السلام ومظاهر الفتن :
- 256 اختلاف الناس في سنة ظهوره وغزو الجيوش لبلاد المسلمين
- 263 الموظون للمهدي عليه السلام سلطانه :
- 263 تحرك الروم والترك وإثارة الحروب والطمع بالثروات :
- 264 بعض الثورات قبل ظهوره :
- 265 اختلاف وزلازل سنة الظهور :
- 266 بعض حكام الأمة قبل ظهوره عليه السلام:
- 268 صفة الحكام المضلين
- 270 أعمال النخام المنحرفين مع الأمة :
- 273 تحريفهم الاسلام ومخالفتهم أحكامه :
- 273 إشارة
- 274 حالة الاسلام في آخر الزمان :
- 276 حالة القرآن في آخر الزمان :
- 276 حالة السنة النبوية الشريفة في آخر الزمان :
- 277 حالة علماء السوء، قبل ظهور عليه السلام:
- 278 حالة المؤمنين قبل ظهوره عليه السلام:

- 283 وطأة الحكام الجبارة باتجاه أهل الإسلام والإيمان :
- 284 تحمل المؤمنين في آخر الزمان وصبرهم ودعمهم للحق وحمانيته :
- 285 حالة دول المسلمين وأفرادها قبل ظهوره عليه السلام .
- 287 تأثير حكام الجور على مجتمعات الأمة :
- 290 كثرة عدو المسلمين مع ضعفهم :
- 296 غيبة المهدي عليه السلام
- 296 إشارة
- 299 بغة الظهور العظيم
- 301 النداء السماوي بالمهدي عليه السلام من المحتوم
- 305 تجري في المهدي عليه السلام سنن من الأنبياء عليهم السلام
- 306 الكمال الممكن زمن المهدي عليه السلام وبعض علامات حكمه
- 307 التطور والرخاء في عصر المهدي عليه السلام
- 312 المهدي عليه السلام يقيم دولة الإسلام حتى يوحد الله
- 316 فهرس
- 323 صدر للمؤلف :
- 325 تعريف مركز

إعرف إمام زمانك : المهدي المنتظر عجل الله تعالى فرجه شريف ومعالم آخر الزمن

إشارة

إعرف إمام زمانك : المهدي المنتظر عجل الله تعالى فرجه شريف ومعالم آخر الزمن

الشيخ جعفر حسن عتريسي

دار الحججة البيضاء

جميع الحقوق محفوظة

للمؤلف 03/ 605129

الطبعة الأولى

1428 هجرية - 2007 ميلادية

دار الحججة البيضاء

خيراندیش دیجیتالی : انجمن مددکاری امام زمان (عج) اصفهان

ص: 1

إشارة

حارة حريك - شارع الشيخ راغب حرب - قرب نادي السلطان

ص.ب: 14 / 5479 - هاتف. 03/287179 . تليفاكس:

01/552847

E-mail:almahajja@terra.net.lb

ص: 2

نصيحة أهل الدنيا :

هذه جراح الكون تستصرخ تلك اللحظة الكبرى من عالم المجد السماوي .. ها نحن مع كل نفس نقرأ حرف الوجع وطعن العذاب في بطن هذا الوجود ، جراء تنكر البشر لقانون المسير .. كم من نبي قتل !. وكم من وصي عب ونشر !. وفي كل ناحية من كوكبنا صرخة فجيعة جراء توحش الإنسان !.

ها هي قصة فرعون وقارون ، وتلك عصا موسى وتراويل داود ، وجمال عيسى ، ونور محمد .. والكون على الإنتظار، على موعد « الصيحة السماوية » باسم المهدي ، التي تهز أركان الأرض ، وتحدث دويا عظيمة في أرجاء الوجود ، خشوعاً للقادم المحمدي الموعود .. ها هي الشمس ، تتقبض ذاتها ، تتقن لغتها ، تعرف أن لها موعدا مع شروق من غروب !.

.. ها هي الكعبة المكرمة ، مقرونة بنور الله الأعظم ، المغروس بالنبي محمد صلى الله عليه وآله، المودع في ولده المهدي عجل الله تعالى فرجه شريف من ابنته فاطمة عليها السلام، الذي يخرج في آخر الزمان ، فيملاً الأرض قسطا وعدلا كما ملئت ظلما وجورا . وكأنني بصراخ الناس من كل جهة يملأ البيت الحرام : شوقا ولهفة للطلعة العلوية الفاطمية ..

وما بين هذه وتلك ، نحن على موعد مع أشراط آخر الزمان ، من علامات أرضية وسماوية ، وخصائص بشرية وكونية . فإذا اكتملت، ظهر المخاض عن أعظم تحول في مسير البشر ، حيث تحتضن «يد

الآية» وجها في عين الشمس ، يعلن ظهور بقية الله الأعظم، حجة الله الكبرى في آخر الزمن : المهدي المنتظر .. فإذا ما انعقد الأمر ، وظهرت الحجة ، أقام المهدي دولة العدل الإلهي، فوق تربة الوجود البشري ، وأيضا تصل يده ، فلا تجد إلا خيرا وأمنا وعدلا ورفاهية وقداسة عظمى ..

هناك ، يحصل البشر كمالهم في دنياهم ، ليبقى الموعود مع شاطئ الخلود في قافلة الأنوار نحو الآخرة العظمى ، حيث الأمم على موعد الحشر والنشر ، بعد طول قيام لدولة مولانا المهدي المنتظر عجل الله تعالى فرجه شريف، ثم انبلاج الرجعة بيد الإعجاز الموعود ، ثم تمام أسرار الساعة ، وصولا إلى النفخ في الصور الأول ، لتبقى البشرية في برزخها على موعد النفخة في الصور الثاني ، فإذا هي على محشر الآيات الإلهية المسطورة في قيامة المعجزات بين يدي الله في الآخرة والناس أمام عظيمتين : الجنة والنار .

يا لها من حقائق حتمية ، لا بد أن نرمقها بالعين ، وأن نتقلب بين مظاهرها ، وبنو البشر في غالبهم الأعظم ، غافلون ..! يفتشون عن البقاء في دار الفناء ..! وعن السعادة في دار الشقاء ..!

ها هي تلك ، شمس الوجود تدعوك أن تبصر ، فإن إشراقة الأنوار تكشف العمى ، وتمنع الظلام ، ها هي أنوار المهدي عجل الله تعالى فرجه شريف تحلق بين عنان الآيات وتخوم الأشراف .. أفلا تعقلون ..!

ها هي يد السماء تعلن أن آخر الزمن قرين العلامات .

جعفر حسن عتريسي

المهدي المنتظر عجل الله تعالى فرجه شريف..

إشارة

تؤكد النصوص المروية عن النبي صلى الله عليه وآله، باتفاق علماء المسلمين جميعاً، أن المهدي المنتظر عجل الله تعالى فرجه شريف هو الإمام الثاني عشر من أئمة أهل البيت عليهم السلام، وأنه يظهر في آخر الزمان (1)، فيملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً (2). وقد أخبر النبي صلى الله عليه وآله أن أهل بيته عليهم السلام يظلمون ويشردون، ويقتلون بعده، ويمنعون حقوقهم، حتى يخرج القائم من آل محمد عجل الله تعالى فرجه شريف، فيقيم دولتهم التي تقود أهل الدنيا إلى صراط الحميد.

وفي رواية عبد الرحمن بن أبي ليلى قال قال أبي :

[دفع النبي صلى الله عليه وآله الراية « يوم خيبر » إلى علي بن أبي طالب عليه السلام، ففتح الله عليه . وأوقفه يوم « غدِير خم » فأعلم الناس أنه « مولى كل مؤمن ومؤمنة » . وقال - وذلك في حديث طويل جاء فيه :-

« ثم بكى النبي صلى الله عليه وآله ، فقبل : مم بكاؤك يا رسول الله ؟ قال صلى الله عليه وآله : أخبرني جبرئيل عليه السلام أنهم يظلمونه ويمنعونه حقه ، ويقاتلونه ، ويقتلون ولده ويظلمونهم بعده . وأخبرني جبرئيل عليه السلام عن الله عز وجل أن ذلك الظلم

ص: 5

1- كمال الدين : ج 2 ص 653 ب- 57 ج 17

2- ابن حماد : ص - 103

يزول إذا قام « قائمهم »، وعلت كلمتهم ، واجتمعت الأمة على محبتهم ، وكان الشانئ لهم قليلا ، والكاره لهم ذليلا ، وكثر المادح لهم .
وذلك حين تغير البلاد ، وضعف العباد ، والإياس من الفرج ، وعند ذلك يظهر القائم عليه السلام منهم .

فقيل له ما اسمه ؟ قال النبي صلى الله عليه وآله : اسمه كإسمي ، هو من ولد إبنتي عليها السلام ، يظهر الله الحق بهم ، ويخمد الباطل
بأسيافهم ، ويتبعهم الناس بين راغب إليهم ، وخائف منهم . قال : وسكن البكاء عن رسول الله ،

فقال صلى الله عليه وآله :

معاشر المؤمنين ، أبشروا بالفرج ، فإن وعد الله لا يخلف ، وقضائه لا يرد ، وهو الحكيم الخبير ، فإن فتح الله قريب . اللهم إنهم أهلي ،
فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا ، اللهم أكأهم ، وارعهم ، وكن لهم ، وانصرهم ، وأعزهم ، وأعزهم ولا تدلهم ، واخلفني فيهم إنك
على كل شئ قدير [(1)] ..

وهكذا .. فقد ظلم أهل البيت عليهم السلام ظلمة عظيمة ، فهم بين قتيل بسم ، أو ذبيح بسيف أو سجين تحت أطباق الأرض ، أو طريد في
الآفاق ، أو معطل من قيادة الأمة ، ولم يبق منهم إلا القائم المنتظر عجل الله تعالى فرجه شريف ، الذي أكدت النصوص عن النبي صلى
الله عليه وآله ، أن له « غيبتين » ، الثانية منهما تطول ، ثم يخرج في آخر الزمان ، فيملأ الأرض قسطا وعدلا كما ملئت ظلما وجورا ..

ص: 6

وقد شاع ذكر المهدي وذاع ، وتدب الظلمه قتل آباءه عليهم السلام، بهدف منع ولادته ، لكن أمر الله أعظم من كيد الماكرين .

وقد لقي الإمامان الهادي والعسكري عليها السلام الكثير من العذابات ، بهدف قطع نسلهما ، لكن أمر الله أكبر . وقد توفي الإمام الهادي عليه السلام مسمومة تاريخ 3 رجب سنة 254 للهجرة ، قتله الخليفة العباسي(1).

ومع وفاة الإمام الهادي عليه السلام بدأت إمامة «الحسن العسكري» - والد الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه شريف - وكانت فترة الإمام العسكري عليه السلام من أشد الفترات حساسية ، فهو الإمام الذي سيكون منه المهدي عليه السلام الذي يملأ الأرض قسطا وعدلا (2). لذلك تعض الإمام العسكري لضغوط هائلة من جانب العباسيين الذين وضعوه تحت أنظارهم في عاصمتهم « سامراء»(3). ثم

ص: 7

1- مع الإشارة إلى أن قتل الإمام الهادي عليه السلام على يد «المعتمد العباسي» ، حصل في فترة بلغ فيها الإمام الهادي عليه السلام ذروة العظمة والتمجيد في الحجاز والعراق وسامراء وغيرها .. حتى بعث إليه العامل على الحجاز أنه إن كان لك في الحجاز حاجة فابعث باخراج علي بن محمد الهادي منها ، فإن الناس قد مالت إليه . وقيل : الذي قتله هو المعتز العباسي

2- الخبر في أن المهدي عليه السلام من نسل رسول الله ، من علي وفاطمة ، وأنه سيخرج في آخر الزمان فيملاً الأرض قسطا وعدلا كما ملئت ظلما وجورا ، هو حديث متواتر ، عند كل المسلمين . لم ينكره أحد حتى الأمويين والعباسيين

3- وبعث العمال إلى الأقاليم بحقيقة أن الشيعة أعلنوا الولاية للحسن العسكري ابن علي الهادي .. ومع هذا الإعلان وقبله، ومع إتفاف الشيعة في سامراء والعراق والحجاز وغيرها على الإمام العسكري بدأ العباسيون يشددون على الإمام العسكري الله عليه السلام ولقد كانت ولادة الإمام العسكري في العام 232 للهجرة في حين كانت وفاة أبيه الإمام الهادي عليه السلام في العام 254 للهجرة .. وهذا يعني مضاعفة العباسيين الضغوط ومحاولات القتل والتنكيل به ، والإعتماد على سياسة القتل الصامتة أي السم ، بل السم بطرق مختلفة من أجل اجهاض الإمامة ، خاصة أن العباسيين كانوا متشائمين من هذه الفترة التي عاد إلى أذهان الناس فيها تكرار احاديث النبي صلى الله عليه وآله أن المهدي هو الثاني عشر من أهل البيت عليهم السلام ، وأنه يخرج من صلب الإمام الحسن بن علي بن محمد بن علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، ومن رحم مولاتنا فاطمة الزهراء بنت رسول الله صلى الله عليه وآله .. والنصوص الصريحة في ذلك صحيحة ومعتبرة ومتواترة ، وما أكثرها على لسان الرواة وأصحاب الحديث .

كان من باكورة العمل العباسي الإعلان أنه : من يرجع إلى الحسن بن علي « العسكري » ، في الفتيا ، أو يدفع له الخمس ، أو الزكاة ، أو الحقوق ، هو خارج على الخلافة العباسية ، وستضرب عنقه (1).

ومنذ تلك اللحظة بدأ التفكير العباسي بطبيعة مواجهة ما يؤول إليه أم الإمام العسكري عليه السلام فعملوا في فترات مختلفة ، على مراقبة نساءه ، لمنع أي مولود له على الإطلاق ، مصرين على قتل أي مولود له حتى لا يخرج من نسله « المهدي الموعود عليه السلام »..

فما كان من « الإعجاز الإلهي » ، إلا أن حقق ولادة المهدي عليه السلام من « السيدة نرجس » حفيذة وصي المسيح ، شمعون الصفا - وهو أحد أركان حواربي المسيح عليه السلام - في قصة إعجازية هائلة (2) ، وجعل حالها كحال أم موسى (3) عليه السلام.

ص: 8

1- ولقد عظم مقام الإمامة بالإمام العسكري عليه السلام الذي أعجز العباسيين وأبطل مرامهم . رغم ما بذله العباسية

2- ففي رواية كمال الدين قال الإمام الهادي عليه السلام- مخاطبا واحدا من أصحابه الكرام - : [يا بشر ، إنك من ولد الانصار ، وهذه الولاية لم تزل فيكم يرثها خلف عن سلف ، فأنتم ثقاتنا أهل البيت ، وإني مزكك ومشفرك بفضيلة تسبق بها شأو الشيعة في الموالاتة بها : بسر أطلعك عليه وأنفذك في ابتياع أمة ، فكتب كتابا ملصقا بخط رومي ولغة رومية ، وطبع عليه بخاتمه ، وأخرج شستقة صفراء فيها مائتان وعشرون دينارا فقال : خذها وتوجه بها إلى بغداد ، واحضر معبر الفرات ضحوة كذا ، فإذا وصلت إلى جانبك زواريق السبايا وبرزن الجوارى منها ، فستحقد بهم طوائف المبتاعين من وكلاء فواد بني العباس وشرادم من فتيان العراق ، فإذا رأيت ذلك فأشرف من البعد على المسمى عمر بن يزيد النخاس عامة نهارك إلى أن يبرز للمبتاعين جارية صفتها كذا وكذا ، لابسة حريرتين صفيقتين ، تمتنع من السفور ولمس المعترض والانقياد لمن يحاول لمسها .. فيضربها النخاس فتصرخ صرخة رومية ، فأعلم أنها تقول : وا هتك ستراه ، فيقول بعض المبتاعين : علي بثلاثمائة ديناراً . فقد زادني العفاف فيها رغبة ، فتقول بالعربية : لو برزت في زي سليمان وعلى مثل سرير ملكه ما بدت لي فيك رغبة ، فأشفق على مالك ، فيقول النخاس : فما الحيلة ولا بد من بيعك ؟ فتقول الجارية : وما العجلة ولا بد من اختيار مبتاع يسكن قلبي (إليه وإلى أماته وديانته . فعند ذلك ثم إلى عمر بن يزيد النخاس وقل له : إن معي كتابا ملصقا لبعض الاشراف كتبه بلغة رومية وخط رومي ، ووصف فيه كرمه ووفاه ونبله وسخاءه ، فناولها لتأمل منه أخلاق صاحبه ، فإن مالت إليه ورضيته ، فأنا وكيله في ابتياعها منك . قال بشر بن سليمان النخاس : فامتثلت جميع ما حده لي مولاي أبو الحسن عليه السلام في أمر الجارية . فلما نظرت في الكتاب بكت بكاء شديداً ، وقالت لعمر بن زيد النخاس : بعني من صاحب هذا الكتاب و حلفت بالمحرجة المغلظة إنه متى امتنع من بيعها منه قتلت نفسها ، يقول بشر : فما زلت أشاحه في ثمنها حتى استقر الأمر فيه على مقدار ما كان أصحابه مولاي عليه السلام من الدنانير في الشستقة الصفراء . فاستوفاة مني وتسلمت منه الجارية ضاحكة مستبشرة ، وانصرفت بها إلى حجرتي التي كنت أوي إليها ببغداد . فما أخذها القرار حتى أخرجت كتاب مولاها عليه السلام من جيبيها وهي تلثمة وتضعه على خدها ، وتطبقه على جفنها ، وتمسحه على بدننها ، فقلت : - تعجبا منها - أثلثمين كتابا ولا- تعرفين صاحبه ؟ قالت : أيها العاجز الضعيف المعرفة بمحل أولاد الأنبياء أعزني سمعك ، وفرغ لي قلبك : أنا مليكة بنت يشوعا بن قيصر ملك الروم ، وأمي من ولد الحواريين تنسب إلى وصي المسيح شمعون ، أنبتك العجب العجيب : إن جدي قيصر أراد أن يزوجني من ابن أخيه وأنا من بنات ثلاث عشرة سنة ، فجمع في قصره من نسل الحواريين ومن القسيسين والرهبان ثلاثمائة رجل ، ومن ذوي الاخطار سبعمائة رجل ، وجمع من أمراء الأجناد وقواد العساكر وتقباء الجيوش وملوك العشائر أربعة آلاف ، وأبرز من بهو ملكه عرشا مصوغا من أصناف الجواهر إلى صحن القصر فرفعه فوق أربعين مرقاة ، فلما صعد ابن أخيه وأحدقت به الصلبان وقامت الأساقفة عكفاً ، ونشرت أسفار الأنجيل تسافلت الصلبان من الأعالي فلصفت بالارض ، وتقوضت الاعمدة فانهارت إلى القرار ، وخر الصاعد من

العرش مغشياً عليه ، فتغيرت ألوان الأساقفة ، وارتعدت فرائصهم ، فقال كبيرهم لجدي : أيها الملك أعفنا من ملاقاتك هذه النحوس الدالة على زوال هذا الدين المسيحي والمذهب الملكاني ، فتطير جدي من ذلك تطيرا شديدا ، وقال للأساقفة : أقيموا هذه الأعمدة ، وارفعوا الصلبان ، واحضروا أخا هذا المدير العائر المنكوس جده لأزوج منه هذه الصبية فيدفع نحوسه عنكم بسعوده ، فلما فعلوا ذلك حدث على الثاني ما حدث على الأول ، وتفرق الناس ، وقام جدي قيصر مغتما ودخل قصره وأرخيت الستور ، فأريت في تلك الليلة (في عالم الرؤيا) كأن المسيح وشمعون وعة من الحواريين قد اجتمعوا في قصر جدي ونصبوا فيه منبرا يباري السماء علوا وارتقاعا في الموضع الذي كان جدي نصب فيه عرشه ، فدخل عليهم محمد صلى الله عليه وآله مع فتية وعدة من بنيه ، فيقوم إليه المسيح عليه السلام فيعتنقه فيقول صلى الله عليه وآله : يا روح الله إني جئتك خاطبا من وصئك شمعون فتاته مليكة لابني هذا . وأوما بيده إلى أبي محمد (الحسن العسكري) ، صاحب هذا الكتاب ، فنظر المسيح إلى شمعون فقال له : قد أتاك الشرف فصل رحمك برحم رسول الله صلى الله عليه وآله ، قال : قد فعلت . فصعد ذلك المنبر وخطب محمد صلى الله عليه وآله وزوجني وشهد المسيح عليه السلام ، وشهد بنو محمد عليهم السلام والحواريون ، فلما استيقظت من نومي أشفت أن أقص هذه الرؤيا على أبي وجدي مخافة القتل ، فكنت أسرها في نفسي ولا أبديها لهم ، وضرب صدري بمحبة أبي محمد عليه السلام (الحسن العسكري) حتى امتنعت من الطعام والشراب ، وضعفت نفسي ، ودق شخصي ، ومرضت مرضا شديدا ، فما بقي من مدائن الروم طيبة إلا أحضره جدي وسأله عن دوائه ، فلما برح به اليأس قال : يا قرّة عيني ، فهل تخطر ببالك شهوة فأزودك بها في هذه الدنيا ؟ فقلت : يا جدي أرى أبواب الفرج علي مغلقة ، فلو شفت العذاب عن في سجنك من أساري المسلمين ، وفككت عنهم الاغلال ، وتصدقت عليهم ، ومنتهم بالخلاص ، لرجوت أن يهب المسيح عليه السلام وأمه لي عافية وشفاء . فلما فعل ذلك جلي تجلدت في إظهار الصحة في بدني ، وتناولت يسيرا من الطعام ، فر بذلك جني ، وأقبل على إكرام الأسارى وإعزازهم ، فأريت أيضا بعد أربع ليال كأن سيدة النساء (فاطمة الزهراء عليها السلام) قد زارتني ومعها مريم بنت عمران عليها السلام وألف وصيفة من وصائف الجنان ، فتقول لي مريم : هذه سيدة النساء أم زوجك أبي محمد (الحسن العسكري عليه السلام) فأتعلق بها وأبكي ، وأشكو إليها امتناع أبي محمد (الحسن العسكري عليه السلام) من زيارتي ، فقالت لي سيدة النساء عليها السلام : إن ابني أبا محمد (العسكري عليه السلام) لا يزورك وأنت مشركة بالله وعلى مذهب النصارى . وهذه أختي مريم عج تبرا إلى الله تعالى من دينك . فإن ملت إلى رضا الله عزوجل ورضا المسيح ومريم عنك وزيارة أبي محمد إياك فتقولني : أشهد أن لا إله إلا الله ، وأشهد أن - أبي - محمدا رسول الله . فلما تكلمت بهذه الكلمة ضمتني سيدة النساء إلى صدرها ، فطبت لي نفسي ، وقالت : الآن توقعي زيارة أبي محمد (الحسن العسكري) إياك ، فإنني منفذته إليك . فانتهت وأنا أقول : واشوقاه إلى لقاء أبي محمد . فلما كانت الليلة القابلة جاءني أبو محمد (الحسن العسكري عليه السلام) في منامي ، فرأيتني كأني أقول له : جفوتني يا حبيبي بعد أن شغلت قلبي بجوامع حبك ؟ قال : ما كان تأخيري عنك إلا لشركك ، وإذ قد أسلمت فإنني زائر في كل ليلة ، إلى أن يجمع الله شملنا في العيان ، فما قطع عني زيارته بعد ذلك إلى هذه الغاية . قال بشر فقلت لها : وكيف وقعت في الأسر ؟ فقالت : أخبرني أبو محمد ليلة من الليالي أن جدك سيسرب جيوشا إلى قتال المسلمين يوم كذا ، ثم يتبعهم ، فعليك باللاحاق بهم متنكرة في زي الخدم مع عدة من الوصائف من طريق كذا ، ففعلت فوقعت علينا طلائع المسلمين ، حتى كان من أمري ما رأيت وما شاهدت وما شعر أحد ابني ابنة ملك الروم إلى هذه الغاية سواك ، وذلك باطلاعي إياك عليه ، ولقد سألتني الشيخ الذي رفعت إليه في سهم الغنيمة عن اسمي فأنكرته ، وقلت : نرجس . فقال : اسم الجوارى ، فقلت : العجب إنك رومية ولسانك عربي ؟ قالت : بلغ من ولوع جدي وحمله إياي على تعلم الآداب أن أوعز إلى امرأة ترجمان له في الاختلاف إلي ، فكانت تقصدني صباحاً ومساءً وتقيدني العربية حتى استمر عليها لساني واستقام . قال بشر : فلما انكفأت بها إلى « سر من رأي » دخلت على مولانا أبي الحسن (أيا إمام الهادي عليه السلام) فقال لها : كيف أراك الله عز الاسلام والنصرانية ، وشرف أهل بيت محمد صلى الله عليه وآله ؟ قالت : كيف أصف لك يا ابن رسول الله ما أنت أعلم به مني ؟ قال : فإنني أريد أن أكرمك فأبدا أحب إليك : عشرة آلاف درهم ؟ أم بشرى لك فيها شرف الأبد ؟ قالت : بل البشري ، قال عليه السلام : فأبشري بولد بملك الدنيا شرقا وغربا ، ويملا الأرض قسما وعدلا كما ملئت ظلما وجورا . قالت : من ؟

قال عليه السلام: من خطبك رسول الله صلى الله عليه وآله من ليلة كذا من شهر كذا من سنة كذا بالرومية . قالت : من المسيح ووصيه ؟ قال عليه السلام : فمن زوجك المسيح ووصيه ؟ قالت : من ابنك أبي محمد (الحسن العسكري) ؟ قال : فهل تعرفينه ؟ قالت : وهل خلوت ليلة من زيارته إياي منذ الليلة التي أسلمت فيها على يد سيدة النساء أمه . فقال أبو الحسن عليه السلام : يا كافر ، ادع لي أختي حكيمة ، فلما دخلت عليه قال له لها : ها هي ، فاعتنقتها طويلا وسرت بها كثيرا . فقال لها مولانا : يا بنت رسول الله أخرجيها إلى منزلك وعلميها الفرائض والسنن ، فإنها زوجة أبي محمد وأم القائم عليه السلام [كمال الدين : ج- 2 ص 417 ب- 41 ح- 1] .

3- وفي قول الله تعالى : «وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكَ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ (7/28) فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ (8/28) وَقَالَتِ امْرَأَتُ فِرْعَوْنَ تُعِينُنِي لِئَلَّا يَكُونَ عَلَىٰ مَوْلَايَ ظَالِمًا لَوْ كَفَرَ عَصَىٰ أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ (9/28) وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ قَارِعًا إِنْ كَانَتْ لَتَبْدِيَ بِهِ لَوْلَا أَنْ رَبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (10/28) وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ فَبَصَّرَتْهُ عَنْ جُنْبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ (11/28) وَحَرَّتْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِنْ قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ (12/28) فَرَدَدْنَاهُ إِلَىٰ أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلَتَعْلَمَنَّ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (13/28)

تعريف بالمهدي

الإمام المهدي ، محمد ابن الحسن العسكري، هو الإمام الثاني عشر من أئمة أهل البيت عليهم السلام، ولد في الخامس عشر من شعبان سنة 255 للهجرة، وغاب الغيبة الصغرى منذ سنة 260 للهجرة، حتى سنة 329 للهجرة، ثم منذ ذلك التاريخ بدأت « غيبته الكبرى » التي ما زالت حتى الآن ، وهو سيظهر في آخر الزمان ، فيملاً الأرض قسطاً وعدلاً ، كما ملئت ظلماً وجوراً(1).

البشارة بالمهدي

زمن الإمام العسكري عليه السلام بدأت تظهر البشارات القرية لولادة المهدي عليه السلام، ومعها كان الإمام العسكري عليه السلام خبر الخواص بقرب ولادة « المهدي الموعود » بإذن الله تعالى . يقول علان الرازي : أخبرني بعض أصحابنا أنه لما حملت جارية أبي محمد العسكري قال عليه السلام لها:

ص: 11

1- أمر المهدي عليه السلام من المتواتر المقطوع به عند جميع المسلمين بلا خلاف ، وقد ذاع أمره عليه السلام وشاع زمن النبي صلى الله عليه وآله وزمن الأئمة عليهم السلام والصحابة وغيرهم وفي كل الطبقات . بل لم يشهد التاريخ إذاعة لأمر من هذا النوع كما هو الحال مع ذراع أمر المهدي عليه السلام .. زمن الإمام العسكري عليه السلام أصبح لذكر المهدي شياع كبير ، حيث المولود المأمول بتأييد الله تعالى والقائم بدولة الله تعالى لا بد أن يكون من نسل الإمام العسكري عليه السلام. في هذا الزمن بدأ الخناق يشدد على أمل البيت عليهم السلام بطريقة تتوافق مع سعي العباسيين لإبطال أمر الإمام ، خاصة أن العباسيين كانوا على يقين مطلق بأن الثاني عشر من الأئمة المسمى المهدي هو الذي يبطل حكم الظالمين ، فما كان منهم إلا أن سعوا لإبطال أمر الله في ولادة المهدي.

«ستحملين ذكرا، واسمه « محمد » وهو القائم من بعدي»⁽¹⁾. ثم تخبرنا النصوص أن الإمام العسكري عليه السلام أخذ يرف البشري لأصحابه، فيتناقل الأصحاب خبر المهدي الذي قربت بشاراته . وشاع الخبر بينهم ، كما ذاع نقل الأحاديث التي رواها النبي صلى الله عليه وآله في المهدي عجل الله تعالى فرجه شريف ..

ولقد عانى أتباع أهل البيت من « الظلم العباسي » ، ومن الإقامة الجبرية المفروضة على الإمام العسكري ، بحيث يمنع عليه عليه السلام مغادرة سامراء ، ومحاولات العزل المتعددة ، وطالما شكى الشيعة للإمام هذا الظلم من العباسيين ، فكان عليه السلام يأمرهم ب « انتظار الفرج » ، مؤكداً أن انتظار الفرج من أعظم العبادات ، وأن موعد ولادة المهدي قريب .

ولادة المهدي

.. في ظل هذه الظروف الضاغطة ، تقول السيدة حكيمه بنت الإمام علي الهادي عليه السلام: « بعث إلي أبو محمد عليه السلام (الحسن بن علي) سنة خمس وخمسين ومأتين في النصف من شعبان (255 هجرية ، ليلة أل- 15 من شهر شعبان) ، فقال : يا عمه ، اجعلي إفطارك هذه الليلة عندنا ، فإنها « ليلة النصف من شعبان » ، فإن الله تبارك وتعالى سيظهر في هذه الليلة

ص: 12

1- كمال الدين : ج 2 ص- 408 به 38 ح- 4 - وكانت البشارة في ولادة المهدي عليه السلام قد تكاثرت شياعها على لسان الأصحاب للإمام عليه السلام زمن العسكري عليه السلام . فكان الرجل يسأل الإمام عليه السلام: عن المهدي ؟ عن القائم بعده ؟ عن بشارة رسول الله صلى الله عليه وآله ؟ وهم يرون أن الوضع حساس والعباسيين يصرون على قتل أي ولد يولد للإمام العسكري عليه السلام ..

الحجة ، وهو « حجه في أرضه » ، فقلت له : ومن أمه ؟ قال عليه السلام لي : « نرجس »⁽¹⁾.

قلت له : جعلني الله فداك ، ما بها أثر (أي ليست عليها علامات الحمل) ! فقال عليه السلام : يا عمّة إن مثلها كمثل أم موسى عليه السلام ، لم يظهر حملها بها إلا وقت ولادتها . وهو ما أقوله لك .

قالت : فجئت ، فلما سلمت وجلست جاءت نرجس تنزع خفي ، وقالت لي : يا سيدتي وسيدة أهلي ، كيف أمسيت ؟ فقلت : بل أنت سيدتي وسيدة أهلي . قالت : فأنكرت قلبي وقالت : ما هذا يا عمّة ! فقلت لها : يا بنية إن الله تعالى سيب لك في ليلتك هذه غلاما سيدا في الدنيا والآخرة . قالت : فخجلت واستحييت . تقول حكيمة : فلما أن فرغت من صلاة العشاء الآخرة أفطرت ، وأخذت مضجعي فرقدت ، فلما أن كان في جوف الليل ، قمت إلى الصلاة ، ففرغت من صلاتي ، وهي نائمة ليس بها حادث ثم جلست معقبة ، ثم اضطجعت ، ثم انتهت فزعة وهي راقدة ، ثم قامت فصلت ونامت . قالت حكيمة : وخرجت أتفق الفجر ، فإذا أنا بالفجر الأول كذنب السرحان ، وهي نائمة ، فدخلني الشكوك ، فصاح بي أبو محمد عليه السلام من المجلس فقال : « لا تعجلي باعمة ، فهالك الأمر قد قرب » . قالت : فخجلت وجلست وقرأت : (سورة) ألم السجدة ، وياسين .

ص: 13

1- يستفاد من بعض النصوص وبشكل صريح أن نرجس أم الإمام المهدي عليه السلام كان يقال لها أيضا سوسن ومليكة . بل في طائفة من النصوص المتعددة التي تروىها « حكيمة » تستعمل مرة إسم نرجس ، ومرة تعتمد إلى استعمال إسم سوسن .

تقول : فينما أنا كذلك ، إذ انتهت نرجس فزعة، فوثبت إليها فقلت : اسم الله عليك ، ثم قلت لها : أتحسين شيئاً ؟ قالت : نعم باعمة ، فقلت لها : اجمعي نفسك واجمعي قلبك ، فهو ما قلت لك . فصاح بي أبو محمد وقال : إقرني عليها و«إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ»، فأقبلت أقرأ عليها كما أمرني ، فأجابني « الجنين» من بطنها يقرأ كما أقرأ ، ففزعت لما سمعت ، فصاح بي أبو محمد عليه السلام: لا تعجبي من أمر الله عز وجل، إن الله ينطقنا بالحكمة صغاراً ، ويجعلنا حجة في أرضه كباراً ، فلم يستم الكلام حتى «غيبت عني نرجس » ، فلم أرها ، فعدوت نحو أبي محمد وأنا صارخة ، فقال لي : إرجعي يا عمة ، فإنك ستجدينها في مكانها ، فرجعت فلم ألبث أن كشف الحجاب الذي كان بيني وبينها ، وإذ أنا بها وعليها من أثر «النور» ما غشى بصري ، وإذ أنا بولي الله « المهدي » متلقياً الأرض بمساجده وعلى ذراعه الأيمن مكتوب :

«وَجَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا» وهو عليه السلام يقول : أشهد أن لا إله إلا الله ، وحده لا شريك له ، وأن جدي محمداً رسول الله ، وأن أبي أمير المؤمنين ولي الله . ثم عد الأئمة إماماً إماماً ، إلى أن بلغ إلى نفسه ، ثم قال : « اللهم أنجز لي ما وعدتني ، وأتمم لي أمري ، وثبت وطأتي ، واملاً الأرض بي عدلاً وقسطاً»، ثم رفع رأسه وهو يقول :«شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ،

وَأَمَلَايَكَّةَ وَأَوْلُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ ۚ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ» (18/3) إن الدين عند الله الإسلام وما اختلف الذين أوتوا الكتاب إلا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم، ومن يكفر بآيات الله فإن الله سريع الحساب»، ثم عطس عليه السلام فقال: « الحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على محمد وآله . زعمت الظلمة أن حجة الله داحضة . لو أذن لنا في الكلام لزال الشك »(1) ..

قالت حكيمة : فأخذت بكتفيه ، فضممته إلي ، وأجلسته في حجري ، فإذا هو نظيف منظف ، فصاح بي أبو محمد (العسكري) : هلمي إلي بابني يا عمه ، فجئت به إليه . ثم أدخل الإمام العسكري لسانه في فيه (فمه) ، وأمر يده على رأسه وعينه وسمعه ومفاصله ثم قال له : تكلم يا بني ، يا بني انطق بقدره الله ، تكلم يا حجة الله وبقية الأنبياء وخاتم الأوصياء ، تكلم يا خليفة الأتقياء .. فتشهد « حجة الله المهدي عليه السلام » بالشهادتين ، وصلى على النبي والأئمة الطاهرين واحدا واحدا ، ثم سكت بعد وصوله إلى اسم أبيه ، ثم استعاذ من الشيطان الرجيم وتلي هذه الآية :

ص: 15

1- هذا وما بعده : إكمال العدة للصدوق. كمال الدين : ج 2 ص - 424 ، ب- 42 ح- 1- الفضل بن شاذان : على ما في كشف الحق . * : كشف الحق (أربعون الخاتون آبادي) : ص 33 ح- 2 - الفضل بن شاذان : على ما في كشف الحق . وفي : ص 143 - مختصرا عن أحمد بن علي الرازي عن محمد بن علي ، عن علي بن سميع بن بنان ، عن محمد بن علي بن أبي الداري ، عن أحمد بن محمد ، عن أحمد بن عبد الله ، عن أحمد بن روح الاهوازي عن محمد بن إبراهيم عن حكيمة : بتفاوت ، وغيره من الصمادر الكثيرة ..

وَتُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضِعُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ وَنُتِمِّكِنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنُرِي فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُودَهُمَا مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ» (1)

تقول حكيمة: ثم ناولنيه أبو محمد عليه السلام، ثم قال: يا عمه رديه إلى « أمه » كي تفر عينها ولا تحزن، إن وعد الله حق، ولكن أكثر الناس لا يعلمون...» (2)

وفي الروايات الكثيرة أن « حكيمة » كانت تأتي كل فترة فيطلعها الإمام العسكري عليه السلام على المهدي عجل الله تعالى فرجه شريف فتأخذه و تضمه و تنظر إليه و تلاعبه ثم تودعه و تذهب . فضلا عن رؤية الأصحاب وغيرهم للمهدي عجل الله تعالى فرجه شريف ..

ثم بعد أن ولد المهدي عليه السلام ابتهل الإمام العسكري عليه السلام لله تعالى، حامدا شاكرا . وبعث إلى جماعة من أصحابه بخبر ولادة المهدي عجل الله تعالى فرجه شريف ، وقد جاءه قسم منهم إلى سامراء للتشرف برويته المباركة (3). وقد رآه كثير

ص: 16

1- سورة القصص

2- وفي متن آخر قالت حكيمة: فلما كان في اليوم السابع جئت فسلمت وجلست فقال: هلئي إلي ابني، فجئت بسيدي عليه السلام وهو في الخرقه، ففعل به كفعلته الأولى، ثم أدلى لسانه في فيه كأنه يغذيه لبنا أو عسلا، ثم قال: تكلم يا بني، فقال عليه السلام: أشهد أن لا إله إلا الله. وثني بالصلاة على محمد، وعلى أمير المؤمنين وعلى الأئمة الطاهرين صلوات الله عليهم أجمعين، حتى وقف على أبيه عليه السلام، ثم تلا- هذه الآية: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ: وَتُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضِعُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ (5/28) وَنُتِمِّكِنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنُرِي فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُودَهُمَا مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ (6/28) .. [كمال الدين: ج 2 ص 424 ب 42 ح 1-].

3- هناك نصوص تاريخية شديدة العمق في « توزيع ونشر خبر ولادة المهدي عليه السلام» من قبل الإمام العسكري عليه السلام على بعض أصحابه في مناطق وبقاع مختلفة، منها مناطق بعيدة عن مقره، مع التأكيد على ضرورة الكتان وذلك لما يسعى له ولاة وأمراء وخلفاء بني العباس من قتل المهدي عليه السلام.

من أصحاب الإمام العسكري وغيرهم ، ورعوا منه معجزات عظيمة (1). وكان الإمام العسكري عليه السلام يدعو بعض أصحابه أو يستغل حضورهم وغير ذلك ليواجههم بالمهدي عليه السلام عن حضور و مباشرة .

وبعد فترة من المن شاع خبر ولادة المهدي عليه السلام، ولم يقتصر الأمر على شيعاه ، بل وصل إلى حد رؤيته من قبل الأفراد والجماعات ، وظهوره في مقامات محددة وكثيرة على نحو إعجازي ، فكان المهدي عليه السلام يخبر السائل بما في نفسه من الأسئلة الشرعية وغيرها ، ويحبه عليها ، وسط تأييد رباني عظيم (2). ويظهر من النصوص الكثيرة أن الله تعالى أحاط المهدي عليه السلام بمجموع مزايا تشير إلى عظمة مقام الإمامة وما تعنيه (3).

ص: 17

1- ومعلوم أن أمر المهدي عليه السلام تحيطه إرادة الله تعالى ، ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره المشركون ، ولو كره الكافرون . ثم يؤكد عليه السلام أن المهدي له غيبة ، يطول أمدها ، ويكثر منكروها ، وفيها يتنامى حكم الفساد وأهل الطاغوت والجبروت ، فإذا أذن الله له وتمت الشروط والمواصفات التي حددها الله بالمقادير ظهر عليه السلام فأقام العدل الكوني وسار بالناس في ظل حكومة العترة والقرآن . ففي ذلك الزمن تتكاثر المفاسد والقيم الضالة ، وتبرز أمم منقادة في مجتمعاتها على نحو معاند للدين وموافق الشريعة ومبادئ الحكم الكوني والناموس الوجودي . ويقود جبابرة العالم السياسي الإقتصادي الأخلاقي على نحو متهور منحرف بشدة ، بحيث يطال الفساد والظلم الطاغوي العالم بشكل متفاوت لكنه يشكل سمة رئيسية في ذلك العالم ، عالم غيبة المهدي عليه السلام.

2- محصل النصوص أن المهدي عليه السلام ولد مصوناً محمياً بأمر الله تعالى ، وقد أتم الله له ولادته وحضوره وغيبته الصغرى ، ثم بدأت الغيبة الكبرى بوفاة السفير الرابع والتي ما زالت إلى هذا اليوم جعلنا الله من أنصاره وأعوانه والذابين عنه والمستشهدين بين يده بحق محمد وآل محمد عليه السلام . ومن يقرأ متون هذه النصوص وغيرها يجد فيها نماذج متنوعة من رجوع الشيعة إلى حكيمة وغيرها لسماع حادثة الولادة وما فيها من أسرار وإعجاز ، على أن رؤية المهدي عليه السلام تحققت للكثيرين من أصحاب واتباع الإمام العسكري عليه السلام حتى أن العباسيين انتقلوا من حالة الشك في الولادة إلى حالة اليقين ، فأخذوا يفتشون الدور والأمصار عنه للقضاء عليه وقد اعترفوا بفشلهم . ثم من يراجع مجموعة من وقائع ذلك الظرف الأصعب يدرك عمق الخطورة التي كانت تحيط بالإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه شريف ، من هنا كان لا بد من الإحاطة بمجموعة من تدابير ضرورية في مقام الاحتجاج وإيصال الأحكام ، فكان منها إقامة النواب الأربعة ، الذين إذا مات واحد قام الآخر وهم : 1. عثمان بن سعيد العمري . 2. محمد بن عثمان العمري . 3. الحسين بن روح النوبختي . 4. علي بن محمد السمري : [ثم جملة كبيرة من وكلاءهم المنتشرة في الأمصار والآفاق . ذكرناها في كتاب ما قبل نهاية التاريخ]

3- النصوص واضحة في هذا المجال ، والأصحاب والأتباع بدورهم نقلوا ولادة الإمام إلى غيرهم ، وقسم مهم منهم عاين الإمام المهدي عليه السلام ورآه واستمع منه إلى بالغ القول وعظيم الأثر ، بل كان الإمام العسكري عليه السلام في بعض الحالات يعرض على العشرات في مجلس واحد ولادة المهدي ويؤكد عليهم أنه المهدي الذي أخبر به النبي والأئمة عليهم السلام وأنه المعدة لإقامة دولة العدل ونشر دولة القرآن في كافة أقطار الأرض وما يكون فيه أثر لسكني أو وجود الإنسان . حدث التاريخ عن فشل ذريع أصاب هذه الخطط وغيرها ، ومن تلك الخطط محاولة قتل الإمام العسكري قبل ولادة الإمام المهدي ، وقد باءت بالفشل ، وأبى الله إلا أن يتم نوره ، إلى أن تحقق المحتم الذي لا بد منه في ولادة المهدي عجل الله تعالى فرجه شريف... فكان أن وسع الإمام العسكري من خبر ولادته عليه السلام بأنماط وأساليب ونماذج شديدة التنوع والنفوذ. ويستفاد من طائفة أخرى وردت في متون النصوص بعض الإنفراجات التي كانت تسمح للإمام عليه السلام بنشر الخبر أمام العشرات بل إظهار المهدي مباشرة أمام جمع من الأصحاب وشبه ذلك ، ثم يؤكد الإمام العسكري في العديد من النصوص أن أمر المهدي كأمر النبي والإمام ولا بد من الاعتقاد به والإلتزام بولايته.

وقد علم العباسيون في وقت متأخر ، أنهم فشلوا في أمر المهدي، وأنه ولد عجل الله تعالى فرجه شريف. وأن أمره شاع وذاع ، فاعتمدوا وسائل كثيفة للنيل منه عليه السلام، ففشلوا، وقد أعلنوا ذلك مرارا(1).

سفراء الإمام المهدي ، والغيبين

للمهدي عليه السلام غيبتان : الأولى امتدت من سنة 260 للهجرة حتى سنة 329 للهجرة ، أي طيلة زمن النواب الأربعة ، كان يلتقي فيها نوابه ، وبعض الخواص ، وغيرهم مما تحدده وظيفة الإمامة . والثانية ابتدأت من سنة 329

ص: 18

1- وفي شهادات التاريخ العام والخاص تأكيد على عجز العباسيين وبأسهم من المهدي الذي حقق الله ولادته إلى أن حقق الله تعالى غيبته المباركة .. جعلنا الله من انصاره وأعوانه والذابين عنه والمستشهادين بين يديه .

للهجرة ، وما زالت إلى يومنا هذا، وستنتهي بظهوره العظيم عجل الله تعالى فرجه شريف، والنواب فيها على الناس هم الفقهاء العلماء المطيعون لأمر الله تعالى .

على أن سفراء أو وكلاء الإمام المهدي المباشرين ، كانوا أربعة ، في حين وكلاء هؤلاء السفراء كانوا كثيرين ، ومنتشرين في الأمصار والآفاق .

وكان « السفراء الأربعة » يشكلون صلة الوصل المعلنة بين الإمام المهدي علي وأتباع أهل البيت ، وقد استغرقت و كالتهم عن المهدي عليه السلام طيلة الغيبة الصغرى ، ومع موت آخرهم ، بدأت الغيبة الكبرى التي تنتهي بآخر الزمان ، وسفراء الغيبة الصغرى هم على الشكل التالي :

1. عثمان بن سعيد العمري ، كان وكي للامامين الهادي والامام العسكري عليه السلام، ثم وكيلا للامام المهدي عجل الله تعالى فرجه شريف ، وقد دامت سفارته عنه عليه السلام منذ أول الغيبة الصغرى (260 للهجرة) حتى توفي عام 303/304 هجرية .

2. ثم ابنه « أبو جعفر محمد بن عثمان العمري ، وقد بقي حوالي و خمسين سنة في هذا المنصب إلى أن توفي عام 304 أو 305 هـ .-

3. أبو القاسم الحسين بن روح النوبختي ، قام بالسفارة بعد أبي جعفر العمري ، وظل فيه حتى توفي عام 326 هـ .-

4. أبو الحسن علي بن محمد السمرى ، قام بالسفارة بعد بن روح النوبختي إلى أن توفي عام 329، وكان آخر السفراء . ثم صدر

« التوقيع الشريف » من قبل الإمام المهدي عليه السلام يعلم شيعة أهل البيت عليهم السلام وأهل الدنيا بانتهاؤهم دور النيابة الخاصة والغيبية الصغرى ، لتبدأ منذ ذلك الزمن (329 هجرية) الغيبة الكبرى ، مؤكدة أن « النواب العامين » الواجب الرجوع إليهم في زمن الغيبة الكبرى هم « الفقهاء » الذين يعبر عنهم ؛ « نواب الإمام عجل الله تعالى فرجه الشريف العامين » ، وذلك إلى أن يمن الله على البشرية بإظهار بقية الله الأعظم والبشارة الكبرى بظهور مولانا المهدي المنتظر (1) عجل الله تعالى فرجه الشريف .

ص: 20

1- وما تجدر الإشارة له هو أن وكلاء الإمام المهدي الأربعة أقاموا سلسلة من وكلاء لهم عبر تنظيم دقيق في المناطق والأمصا، من أجل تبليغ الشيعة ما يصدر عن الإمام المهدي عليه السلام فكان من هؤلاء الوكلاء المعينين من قبل النواب الأربعة: - حاجز بن يزيد الوشاء . - إبراهيم بن مهزيار . - محمد بن إبراهيم بن مهزيار . - أحمد بن إسحاق الأشعري القمي ، - محمد بن جعفر الأسدي . - القاسم بن العلاء . - الحسن بن القاسم بن العلاء . - محمد بن شاذان .. وآخرون آخرون هم أكثر من الذين احتلوا موقع تبليغ الوظيفة الشرعية الصادرة من الإمام المهدي عليه السلام في ظل سلطة وضعت على رأس القائمة في نظامها التكنيل بالشيعة ، وزجهم بالسجون ، وقتلهم ، ومنعهم من الحقوق المالية والإجتماعية والقضائية والمدنية وشبه ذلك .. ومن يراجع التفاصيل هذه في كتب التاريخ بري ما يثيره من شدة ما تعرض له الشيعة ، من بلد إلى بلد ، ويكفي أن نشير إلى أنه لم يمت أي واحد من الأئمة موة ، بل قتل إما بسيف أو بسم...

شباع حكومة الجور والإنحراف المفاهيمي والسلوكي زمن الغيبة

تؤكد النصوص أن المهدي عليه السلام يظهر في آخر الزمان ، بعد فترة طويلة من محكمات أهل الجور والفساد ، وعالم تقوده أمم سياسية وثقافية تبدو شديدة العناد في إصرارها على الطغيان في شتى المعاني والجهات وأن « حكومات الجور والفساد » تتعدد في انتماءاتها ، لكنها تتفق في مضامين الخروج على قوانين الفطرة ودين الله ، حتى يبدو الإسلام غربيا كما بدأ (1). وأن قيادة « المجتمعات السياسية » من رأس الهرم، وصولا إلى الهيكل الإداري ، تقودها أمة تصر على عزل الدين عن شؤون الحكم وقوانين الجماعة(2).

وتشير إلى أن «عزل الإسلام» من حياة المسلمين يكون شيئا فشيئا(3)، وأن الجماعة تتعلق ببعض ما بقي من الإسلام إلى أن يعود غربيا كما بدأ(4). ويكون من صفات ذلك العالم « وهن القضاء الإسلامي » ، وعزل

ص: 21

1- النصوص واضحة في أن ظهور المهدي عليه السلام يكون بعد وفرة من ظلم وفساد واضطهاد وبغي وآثام يبدو معها الإسلام غربيا في مسرح العالم ومواثيق الدول وأعراف الأمم ، ومنظومات الجماعة والإجتماع.

2- أي تكون منظومة الإجتماع العام واضحة التعارض مع فقه الدين و شريعة الإسلام ، بحيث يتم عزل الإسلام ومنعه من الظهور في عالم المواثيق القانونية وصيغ النظام . وهم مع ذلك يقودون الجماعة السياسية على نحو من منظومة لا قيمة للدين فيها ، بحيث تتناسب مع مفاهيم الفسقة والفجرة والظلمة وأشباههم . وأن رموز هذا النظام يفاخرون بعزل الدين عن شؤون الدولة والحكم والإجتماع .

3- أحمد: ج- 5 ص- 251

4- حيث أهل السلطان ينقضون الدين نقضا ما أمكنهم ، على أن النص صريح ضمنا بضعف الجماعة ، أو تقريرها في الدفاع عن قيم الإسلام ، بحيث يتابع أمل الحكم عزل الإسلام عن المواثيق والمنظومة والأعراف وصيغ التعامل دون مانع فاعل من جماعة الإجتماع السياسي آنذاك .

المنظومة الشرعية عن حل الخصومات ، ثم يتوسع الأمر إلى النواحي الأخرى من شرائح منظومة تلك الأمم ، إلى أن يتم عز الدين عزلا واسعا(1)، بحيث تفصل شؤون الحكم والقيادة ومنظومة الجماعة وأعرافها وثقافتها عن فقه الإسلام (2)..

وقد حددت النصوص الكثير من خصائص ذلك الزمان ، وشؤون ناسه ، فمن العلامات العامة لذلك الزمان : « خروج الام على أمر الله تعالى » ، ومجاهرتهم في ذلك ، وإلزامهم الرعية على طاعة موثيقهم المخالفة لدين الله تعالى . وفي كثير من الروايات الصادرة عن النبي صلى الله عليه وآله ، كان صلى الله عليه وآله يؤكد على حدوث « افتراق مستقبلي » بين القرآن والسلطان . أي يخرج الحاكم على كتاب الله تعالى ، ويتحول إلى غيره . في ظل عالم منجرف بالإنحراف والقيم الفاسدة(3). واللافت جدا إخبار النبي صلى الله عليه وآله عن تحول كثير من المسلمين إلى جماعات مرتزقة للهو ومطالب الشهوة ، والإشباع الغريزي ، والمجاهرة بمعصية الله(4)، في انحراف واضح عن الإسلام . وأن للحكام يدا واضحة في ذلك(5). وأن « السلطان » يعزل الشريعة

ص: 22

-
- 1- أحمد : ج 5 ص 329
 - 2- حلية الاولياء : ج 7 ص 69
 - 3- إسحاق بن راهويه : على ما في المطالب العالية . أيضا : أحمد بن منيع على ما في المطالب العالية . وعبد بن حميد على ما في الدر المنثور . زالطبراني ، الصغير : ج 1 ص 264
 - 4- البزار : على ما في كشف الهيتمي ، ومجمع الزوائد . * أمالي الشجري : ج 2 ص 257
 - 5- وأن بعض الحكام يستبدلون القرآن بغيره ، ويعلنون بوضوح فصل الدين عن شؤون الحكم و منظومة الجماعة ، بحيث لا يشكل الإسلام مصدر التشريع . على أن طائفة واسعة من نصوص النبي صلى الله عليه وآله تؤكد ضرورة الممانعة ، ووجوب التمسك في الإسلام ، ورفض الباطل والآثام سواء كان مصدره الرعية أم الحكام .

الإلهية عن شؤون الحكم ومنظومة الجماعة، ويمارس هذا العزل، ويقود مجتمعه على نحو مغاير لفقهاء الشريعة، جبّرا، وبوسائل الإكراه(1)، التي منها السجن والتنكيل وإسقاط الحقوق المدنية، وصولا إلى القتل والإلغاء(2). وأن من علامات ذلك الزمن: استغلال الدين وتجويفه(3)، والتقاتل على الدنيا، ونصب المال والجاه والإعتبار والقوة ربا ومرجعا للقيم، دون غيره من منظومة الشريعة(4).

وأنه مع هذا التحول « المتعارض » مع الإسلام، يتشرذم المسلمون، ويلعن بعضهم بعضا، ويخوضون عداء مثيرا بينهم، وتبدو قطيعتهم مخيفة، ويصبح الإفتراس والحدق عنوانة بارزة في ذلك العالم، وأنه يشيع في المسلمين مظاهر خطيرة من « الانحراف الأخلاقي » كالتعري وهجران العتمة، وانتشار الزنا، وطغيان السفور، وموضة الغرائز، ونوع واضح من اللواط والسحاق، والشذوذ الجنسي، وأنهم يسقطون أمام موجة التعري والزنا التي تقودها قوى النظام العالمي المدعومة من قوى مختلفة على رأسها الروم وأمم أخرى فاجرة، تصر على انحرافات أخلاقية كبيرة إرضاء لآلهة المال والغرائز. ويتعاطم الطعن بالإسلام، حتى يبدو القابض على دينه كالقابض

ص: 23

1- عبد الرزاق: ج 11 ص 346 345 ح 20179

2- وقد حذر النبي صلى الله عليه وآله من الحكام المفسدين، وكثيرا ما ردد ذلك، مؤكدا أن هؤلاء يخرجون على كتاب الله، ويعملون بما يخالفه، وهم والخطر الأكبر في عملية تحويل المسلمين من جماعة ملتزمة بالدين إلى جماعة خارجة على أحكامه.

3- منه بطبيعة الحال: التحريف المعنوي.

4- ابن حماد: ص 28

على الجمر ، من شدة غربة الإسلام ومحاربه (1). وتطغى علامات الانحراف والضلال في ذلك العالم ، ويكون لها نفوذ وسيطرة كبيرة ، في حين يكون الإسلام بغربة (2) إلا من أمة مؤمنة ، وفرق ملتزمة هنا وهناك (3). وتبدو « جاهلية آخر الزمان (4) » أسوأ بكثير من جاهلية العرب الأولى (5). لتؤكد المتون أنه في هذا الزمن من آمن وصبر واقى وحافظ على دينه ولم يغمس بهوى محرم ، كان عند الله من الصابرين المحترمين . ثم بهذا العالم المنحرف يكون الإسلام غريبا كما بدأ (6)، حيث تتحكم به جاهلية هي أسوأ مما

ص: 24

1- تفسير علي بن إبراهيم : ج 2 ص 302/307

2- عبد الرزاق : ج 11 ص 402 ح 20847

3- مع أن واجب المسلمين الرضا والممانعة ، إلا أن النصوص واضحة في تفریطهم - بصورة عامة - وخذلانهم الإسلام والانحراف مع آلهة الحكم والمال والغريزة وموائد الشهوات .! وعليه : في ذلك العالم الذي تتكون النظم على الباطل والانحراف وعزل شريعة الإسلام تبقى أمة خراسانية مؤمنة قوية ، تجاهد - وهي صاحبة الرايات السود - وتصر على حكم الله وفقه الشريعة ، ولا يضرها من خالفها رغم الجهد والعناء الذي يتعبها إلا أنها تبقى كذلك حتى خروج القائم من آل محمد ، ما عدا هذه الأمة وتلك الفرق ، فإن العالم في الغالب الأعظم من منظومته وأعرافه يكون على نوع واضح من السقوط في دائرة الباطل الميثاقي والعملي بما يعنيه من قيم أشر من الجاهلية الأولى .

4- بحيث يعزل القرآن ، ويتم استبداله بغيره ، ويمنع الإسلام من الحضور في حياة الفرد والجماعة والإجتماع . مع أن هياكل الأبنية تبقى ، مثل المساجد ، لكنها تتحول في وظيفتها إلى منابر لفقهاء الظلمة وحكام الجور ، لدعم مشاريع العلمية التي تعمل على عزل الإسلام وتجويفه وإفراغه من قيمته العملية .

5- وفي الرواية : « يا قوم اعلموا علما يقينا أن الذي يستقبل قائمنا صلى الله عليه وآله من أمر جاهليتكم ليس بدون ما استقبل الرسول صلى الله عليه وآله من أمر جاهليتكم ، وذلك أن الأمة كلها يومئذ جاهلية إلا من رحم الله ، فلا تعجلوا فيعجل الخرق بكم ، واعلموا أن الرفق يمن ، وفي الأناة بقاء وراحة والامام أعلم بما ينكر ، ولعمري لينزع عنكم قضاة السوء ، وليقبض عنكم المراضين (كذا) وليعزلن عنكم أمراء الجور ، وليطهرن الأرض من كل غاش ، وليعملن فيكم بالعدل ، وليقومن فيكم بالقسطاس المستقيم ، وليني أحياءكم لأمواتكم رجعة الكرة عما قليل فيعيشوا إذن فإن ذلك كائن » . ابن أبي الحديد : ج 7 ص 84 خ 99 -

6- وعن قول أمير المؤمنين عليه السلام : « إن الإسلام بدأ غريبا وسيعود كما بدأ ، فطوبى للغرباء ، قال : يا أبا محمد إذا قام القائم عليه السلام استأنف دعاء جديدا كما دعا رسول الله عليه السلام » ، قال : فقامت إليه وقبلت رأسه وقلت : أشهد أنك إمامي في الدنيا والآخرة أوالي وليك وأعادي عدوك ، وأنتك ولي الله ، فقال : رحمك الله » . { النعماني : ص 322 : 22 ح 5 } .

مضى (1). إشارة إلى الإنكماش الشديد الذي يصيب الإسلام، لصالح مفاهيم ومواثيق شديدة التعارض مع الإسلام تعزله وتمنعه من الظهور في حياة الجماعة والأفراد في المال والإقتصاد والسياسة والقضاء والإجتماع والأخلاق والآداب والمظاهر الشخصية والسلوكيات المختلفة (2).

ومن علامات ذلك الزمن أن « المسلمين » يكونون كثيرا، لكن غالبهم الأعظم غثاء كغثاء السيل (3)، مجرد كثرة هزيلة، خائفة، مغلوبة على أمرها، مجرد تبع أذلة، سحقتهم آلهة الشهوة والمال والغرائز. لا يبالون ما نقص من دينهم، أو ما مات من كتابهم! مجرد بضاعة باعون ويشترون، قد خانوا دينهم ورئهم. في حين تكون « الروم » - صاحبة أكبر قاطرة من الفساد - بل يظهر المهدي عليه السلام والروم أكثر الناس. أي صاحبة نفوذ كبير. كما يكون للترك حضور بارز، وكذلك لليهود، ويأجوج ومأجوج، وغيرهم من الأمم، في حين يكون المسلمون على شر هزيمة، وشر ذل، لا رب يعبدون، ولا دين يعتقدون! إلا من أمة تظل ثابتة على دينها، قوية في

ص: 25

1- وفي رواية الفضيل بن يسار قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: « إن قائمنا إذا قام استقبل من جهل الناس أشد مما استقبله رسول الله صلى الله عليه وآله من جهال الجاهلية، قلت: وكيف ذلك؟ قال إن رسول الله صلى الله عليه وآله أتى الناس وهم يعبدون الحجارة والصخور والعيدان والخشب المنحوتة، وإن قائمنا إذا قام أتى الناس وكلهم يتأول عليه كتاب الله، يحتج عليه به، ثم قال: أما والله ليدخلن عليهم عدله جون بيوتهم، كما يدخل الحر والقر، [النعمانى: ص 296 - 297: 17 ح-1].

2- إنه الإنحراف الأخطر، والحرب الهائلة على الإسلام.. رغم كثرة المسلمين وتزايد مساجدهم، إلا أنهم على شفرقة وشر مذهب وشر ضعف وشر فساد!.

3- عن ثوبان مولى النبي صلى الله عليه وآله، قال: « يوشك أن تداعى عليكم الأمم من كل أفق، كما تداعى الأكلة على قصعتها، قال قلنا: يا رسول الله، أمن قلة بنا يومئذ؟ قال صلى الله عليه وآله: أنتم يومئذ كثير، ولكن تكونون غثاء كغثاء السيل، ينتزع المهابة من قلوب عدوكم، ويجعل في قلوبكم الوهن قال قلنا: وما الوهن؟ قال: حب الحياة وكرهية الموت » [الطيالسي: ص 133 ح 992]

إيمانها ، حددتها النصوص بأهل خراسان ، وجملة من رايات الهدى هنا وهناك . على أن هناك نصوص صريحة جدا في أن المسلمين يكون لديهم ثروة ثمينة جدا ، لها قيمة كبرى على مستوى العالم ، لكهم أدلة ، فتسابق إليهم الأمم القوية بالجبروت والغزو والنهش دون أن يتمكنوا من الدفاع عن أنفسهم ، إلا دولة خراسان التي تؤكد النصوص علو همتها ، وقوة عزمها وثباتها.

وبالإضافة إلى « الغربية » التي يعيشها الإسلام ، فإن الفتن تصك المسلمين ، وتدخل كل بيت ، دلالة على الذل الذي أحاط بهم ، والهوان الذي سكن أرضهم (1). وفي رواية أرطاة بن المنذر ، قال :

بلغنا أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال : « تكون في أمتي أربع فتن ، يصيب أمتي في آخرها فتن مترادفة ، فالأولى تصيبهم فيها بلاء حتى يقول المؤمن هذه مهلكتي ثم تنكشف . والثانية حتى يقول المؤمن هذه مهلكتي ثم تنكشف . والثالثة كلما قيل انقضت تمادت . والفتنة الرابعة تصيرون فيها إلى الكفر . إذا كانت الامعة (2) مع هذا مرة ومع هذا مرة بلا إمام ولا جماعة ، ثم المسيح ، ثم طلوع الشمس من مغربها (3) ، ودون الساعة إثنان وسبعون دجالا ، منهم من لا يتبعه إلا رجل واحد » (4).

ص: 26

1- ابن حماد : ص 10

2- الأمانة الذي لا رأي له

3- ملاحظة : النص يشير إلى بعض العلامات ، يبعد النظر عن ترتيبها.

4- ابن حماد : ص 9

أيضا من صفات « ما قبل الظهور » أن الأرض تعاني من جذب وقحط ووهن في عطاءها، لأسباب تشير النصوص أن وراءها يد البشر . فضلا عن اضمحلال الماء(1) .

وتؤكد النصوص أن الفتن والبلايا تكون متعاضمة قبل الظهور ، وتظل كذلك ، إلى أن يتم الله أمر المهدي عليه السلام بالانتصار على الأمم الجائرة وكيانات الجبابرة الذين يعيشون في الأرض فسادا واضطهادا(2) . ويبدو واضحا أن «الفتن» لن تكون واحدة ، بل متعددة ، وهي تصيب المسلمين أيضا . المتون المروية واضحة في « طغيان الفتن » وطولها ، وتعاقبها ، ووطأتها الشديدة ، وبلوغ الإنحراف وفعل الجبابرة مرحلة مخيفة ، وفضاعة هائلة ، في زمن يكون فيه لأهل الكفر والإنحراف سلطان و ظهور متغاضم . كل ذلك يكون في نفس الوقت الذي يطبق فيه الذل على أغلب المسلمين ، وغربة الدين ، وحكم « الإمعة » الذي لا عقل له ولا دين في إدارة الحكم وأمور الجماعة، سوى التسلط والإنتهاز وإشباع الشهوة والرغبة وعزل الإسلام .. ويبدو واضحا أن « أدوات » الحرب والقتال والغزو والعنف تكون عنوانا لامعة في هذه الفتن .

ويكون الطاغي في الفتنة الأولى :

سفك الدم ، .

وفي الثانية : سفك الدم ونهب المال !..

ص : 27

1- فتن السليلي : على ما في ملاحم ابن طاووس . * ملاحم ابن طاووس : ص 124 به 39 -

2- البزار : على ما في كشف الهيتمي ، ومجمع الزوائد . * أمالي الشجري : ج 2 ص 257

وفي الثالثة: سفك الدم، ونهب المال، واغتصاب النساء،

وصولاً إلى الفتنة الرابعة، التي يبدو فيها للدجال طغيان في الدم والمال والأعراض، وفورة هائلة للغريزة والشهوات والأساطير، في ظل تجويع، وقتل، واستغلال، واحتكار لأسباب الحياة والمعيشة بشيء من الجهد والوظيفة (1)..

على أنه «عدد الفتن» أكثر من أربعة، وما العدد هنا إلا للإشارة إلى بعض الفتن ومظاهرها المتنوعة (2). وستكون «فتنة» لا يهدأ منها جانب إلا- جاش جانب آخر، وهي الفتنة الأخيرة لما قبل الظهور (3)، وتظل متلاطمة حتى ينادي مناد من السماء: أمير كم المهدي (4) عليه السلام.

ويبدو أن هذه «الفتن» تكون للدنيا، وعلى الدنيا. ومن تلك الفتن «فتنة السبيطة»، قتلاها في النار، تقع بين فريقين مسلمين؟ يتغالبون على أمر الدنيا ولم يتغالبا على أمر الله (5). ويكون لهذه الفتنة أثر ظاهر على المزيد من هشاشة المسلمين وضعفهم وانهارهم، وتغريب الإسلام.

با ما تماس با ما اطلاعات بيمارستان است اما اين سوا لات امتحانات

ص: 28

- 1- الطبراني، الأوسط: ج 1 ص 313 ح 516. عقد الدرر: ص 101 ب 4 ف 3. وكذا في فتن السليلي وعند ابن حماد وغيره.
- 2- كل ذلك في وقت يبدو أن المسلمين يكونون في شر غربة وابتعاد مثير عن قيم الدين وصيغ الشريعة إلى ظهور القائم المهدي عليه السلام إلا من فئة قليلة قياساً على عدد العالم وكيانات الأمم.
- 3- الطبراني، الأوسط: على ما في مجمع الزوائد، ومقدمة ابن خلدون، وعرف السيوطي، والاذاعة والعطر الوردي.. النهاية: ج 1 ص 324 أوله، مراسلاً.
- 4- تأكيداً على تتابع الفتن وصعوبتها الفظيعة، واختلاف آثارها وشدة وطأتها، حيث يشهد المسلمون منها آثاراً مميتة وشديدة الصعوبة. النصوص مجمعة عند كافة «علماء المسلمين»، القدماء والمعاصرين، منذ الزمن الأول، على تلاحق الفتن حتى خروج قائم آل محمد المهدي عليه السلام. وهذا من الضرورات النهائية عند المسلمين وعلماءهم.
- 5- فتن السليلي: على ما في ملاحم ابن طاووس. *: ملاحم ابن طاووس: ص 121 : 32

وأنة قبل ظهور المهدي عليه السلام تكون « كوارث » منها ما هو بفعل بشري ، مثل الفتن ، والحروب ، والتدمير ، وسفك الدماء ، والإحتلال ، واحتكار الثروات ، وغزو الأراضي ، وغير ذلك ، ومنها الآخر يكون لأسباب كونية أو طبيعية ، مثل الزلازل ، والفيضانات والجفاف والقحط والتصحر ووهن الطبيعة وغير ذلك(1). الممون صريحة جدا ب-«نكبات الطبيعة» وجرائم الإنسان . يقول النص : « يبعث المهدي عليه السلام في أمتي على اختلاف من الناس وزلازل ..»(2)، تأكيد على طغيان البشر من جهة ، وانهايار قدرة الطبيعة من جهة أخرى(3).

ويكون ظهور المهدي عجل الله تعالى فرجه شريف زمن تقاوم الفتن وخطورتها البالغة ، في ظل ظلم وحيف وفساد هائل يجتاح العالم . تقول الرواية : « يخرج رجل من أهل بيتي عند انقطاع من الزمان ، وظهور من الفتن ..»(4). ويبدو أن « الطغيان الإعلامي » والانحراف الثقافي ، يكون على نحو نافذ وجبار ، فضلا عن سطوة تجار الغرائز ، وأباطرة الشهوات ، في ظل « تدليس » وخدع ثقافية متفاقمة . يقول النص : « ستكون فتن صبح الرجل فيها مؤمنة ، ويمسي

ص: 29

1- ولا يبعد أن تكون الأسباب الكونية متعلقة بالإستنزاف الخطير للبشر ، خاصة تلك التي تتعلق بالأمراض والزلازل والجفاف والقحط والتصحر ووهن قوانين الطبيعة وقد دلت جملة من النصوص على ذلك.

2- عبد الرزاق : على ما في سند أحمد ، وابن طاووس . * أحمد : ج 3 ص 37

3- صدر النص كان بوارد الإشارة إلى الظلم الطاغى للبشر ، الذي ينتج عنه حروب وفتن وجوع وإنهاك شديد للطبيعة ، وظلم مالي اقتصادي ومواثقي شديد ، وصولا إلى قيادة الجبابرة ملفات أهل الأرض بشئ ظاهر من الغزو والنهب والإبادة ، إلى أن يبعث الله المهدي عليه السلام فيقيم فيهم الحق الرباني في الإعتقاد والعدل المالي والنقدي والسياسي والإجتماع وغيره .

4- ابن حماد : ص 100

كافرا، إلا من أحياء الله بالعلم» (1). إنها واحدة من أنواع «فتنة الثقافات ومحارقتها» التي تتربع على مصيدة الغرائز والشهوات والهيكل القانونية المنحرفة .

على أن من «أشراط» ذلك العالم تبدل الأخلاق، وانكماش المحبة، وانتشار الحسد، وتبادل الحقد، وسوء الجوار، وقطيعة الأرحام، و تعطيل سيف الجهاد، وانتشار طغيان الجبابة (2)، وتسليع القيم، واتباع الهوى (3)، وترك الدين للدنيا (4) ..

أيضا من مظاهر ذلك الزمن أن حكاما مسلمين يشكلون أداة تنفيذية طبيعية للروم (المسيحية الغربية)، فيقومون بإصلاحات أخلاقية وأدبية وثقافية محرمة، يراد منها عز الدين وقوانينه، وتحويل المجتمع بذكره وأناه إلى قرد متحلل، هممه الزنا، والخمرة، والتعري، واللهو الغرائزي. إن هذه الشعوب هي المقصودة ب-«رحابني مرح» (5) التي أشارت لها

ص: 30

1- ابن ماجة: ج 2 ص 1305 ح 3954

2- ذكر أخبار أصبهان، أبو نعيم: ج 1 ص 274

3- الطيالسي: ص 35 د 263

4- بالإضافة إلى النصوص التي تشير إلى تلاشي أمر المسلمين وانحرفهم عن دينهم، وتلكوهم، وتركهم حتى لواجب الدفاع عن أنفسهم!. ومع غيره من النصوص يشير إلى مرحلة عنيفة من الإستعمار الذي يصيبهم عبر جحافل أهل الكفر، حيث تتداعى الأمم عليهم من الروم والترك وغيرهم كما تتداعى الذناب إلى قصعتها، ويكون على رأس الحكم فيهم جماعة من الحكام المفسدين الذين يخرجون على حكم الله وفقه شريعته، ومع ذلك يخشون القوى، ويخافون الموت، فيتآمرون على قيم الدولة والشعب، فيحللون ما حرم الله ويحرمون ما أحل.

5- وفي رواية معاذ بن جبل عن النبي صلى الله عليه وآله قال: «خذوا العطاء ما دام عطاء، فإذا صار رشوة على الدين فلا تأخذوه، ولستم بتاركه، يمنعكم الفقر والحاجة، ألا إن «رحابني مرح»، قد دارت وقد قتل بنو مرح. ألا إن رحا الاسلام دائرة فدوروا مع الكتاب حيث دار. ألا إن الكتاب والسلطان سيفترقان فلا تفارقوا الكتاب. ألا إنه سيكون أمراء يفضون لكم فإن أطعموهم أضلوكم، وإن عصيتوهم قتلوكم. قال: يا رسول الله فكيف نصنع؟ قال كما صنع أصحاب عيسى بن مريم نشروا بالمناشير وحملوا على الخشب. موت في طاعة الله خير من حياة في معصية الله عز وجل، [إسحاق بن راهويه: على ما في المطالب العالية. * أحمد بن منيع: على ما في المطالب العالية. * عبد بن حميد: على ما في الدر المنثور. * الطبراني، الصغير: ج 1 ص 264]

النصوص ، وهي التي تعكف على عبادة آلهة الشهوة والنشوة والغريزة والخمرة والسفور والتبرج ، بقيادة حكام مفسدين وقوانين منحرفة .

ثم بين يدي ظهور المهدي عليه السلام أيام هرج (قتل) و مرج (فرضى)(1)، أيام يزول فيها العلم، ويظهر الجهل ، وتعم الفتن ، ويكثر طغيان الحراب والعدوان ، فتأكل الأمم بعضها ، وينكر الله جهرة ، وينبعث الفساد من كل ناحية بشكل متعظم ، ويكون له قوة السلطان والقانون والأعراف(2) . ويتقارب الزمان ، وتتقارب البلدان ، [إشارة إلى ثورة في عالم المواصلات والإتصالات] ، وتعم الفتن ، ويتعظم الشح، ويكثر الهرج (القتل).

على أن النصوص صريحة جدا في غزو الأمم ، وافتراس الضعفاء ، واحتكار الأموال ، وحروب الأسواق ، ونهب الموارد ، وحبس الأرزاق ، وتسليع الأشياء ، وأشباهاها في آخر الزمن .

كما من علامات ذلك الزمن : تعاضم الطغيان والعدوان ، وقد أجمعت النصوص أن ظهور المهدي عليه السلام يكون في عالم ينوء بالفساد والإضطهاد والفتن والإنحراف والطغيان . في النص : «لا تقوم الساعة حتى

ص: 31

1- ج11 ص 364365 ح 20751

2- الطيالسي : ص 35 و 263

تمتلئ الأرض ظلما وعدوانا»(1). وقال صلى الله عليه وآله: « ثم يخرج المهدي عليه السلام من عترتي (2)، يملؤها قسطا وعدلا كما ملئت ظلما وعدوانا»(3). النصوص متواترة عند المسلمين في أن المهدي عليه السلام يقوم قبل قيام الساعة، فيقود الأمم، ويقوم دولة العدل الإلهي، ويقضي على الجبابة والمفسدين.

يقول النبي صلى الله عليه وآله: « لثملأين الأرض ظلما وعدوانا، ثم ليخرجن من أهل بيتي ممن يملؤها قسطا وعدلا كما ملئت ظلما وعدوانا (4)»(5). المتون صريحة في أن المهدي - الذي هو من نسل النبي - هو المعد لذلك الزمن الأعظم، وهو من أئمة أهل البيت عليهم السلام، من ولد فاطمة وعلي عليه السلام، من نسل الحسين عليه السلام. بحيث يشكل ظهوره أعظم تطور في ساح الكون آنذاك(6).

ص: 32

1- أحمد: ج 3 ص 36

2- البزاز: ج 1 ص 281

3- في نصوص كثيرة استعمل النبي صلى الله عليه وآله اسم الساعة ليشير إلى آخر الزمن، ثم يشير صلى الله عليه وآله إلى أن الذي يقيم العدل في ذلك الزمن هو المهدي عليه السلام. وفي بعض النصوص «لا تقوم الساعة حتى يلي رجل من أهل بيتي، يواطئ اسمه إسمي»

4- أحمد: ج 3 ص 17

5- النصوص في هذا المعنى كثيرة، بل في بعضها تأكيد مطلق على أن الأرض لا يمكن أن تنتهي إلا بعد ظهور المهدي وإقامة العدل الإلهي. يقول النبي صلى الله عليه وآله: « لو لم يبق من الدنيا إلا يوم واحد، لطول الله عز وجل ذلك اليوم حتى يبعث فيه رجلا من ولدي إسمه إسمي».

6- حتى الكتاب المقدس أقر بأن الذي يخرج بعضا من حديد في آخر الزمن فيملأ الأرض حقا وعدلا إنما هو الثاني عشر من كواكب وار كان أورشاليم الجديدة (الكعبة)، ومن نسل النبي المبعوث في جبال فران (مكة)، من ولد تلك المرأة الجلييلة المقدسة المتسريلة بالشمس والقمر، التي على رأسها إكليل من إثني عشر كوكبا، ولدت ذكرا عتيدا أن يقود الأمم بعضا من حديد. ثم هذه المتون تحتضن مضمون الكثير من النصوص التي صرحت بالأئمة الاثني عشر، الذين جعلهم الله بابا إليه، ودعاة لهديه، وأئمة قادة، وأنوارا مرشدين، بهم يعرف الدين، وتقام الحدود، وعبد الله تعالى. ويذهلك أن تقرأ في الكتاب المقدس وشروحات اللاهوتيين مضمون هذه المعاني... عن الإثني عشر قال رسول الله صلى الله عليه وآله: « الأئمة بعدي اثنا عشر، أولهم أنت يا علي وآخرهم القائم عليه السلام الذي يفتح الله عز وجل على يديه مشارق الأرض ومغاربها» [كمال الدين: ج 1 ص 282: 24 ح 35]. النصوص مطبقة على أن الأئمة الإثني عشر من ولد النبي صلى الله عليه وآله عبر فاطمة الزهراء عليها السلام وعلي بن ابي طالب عليه السلام، وأن الأئمة عليهم السلام اثنا عشر، أولهم علي، وثانيهما وثالثهما الحسن والحسين عليهما السلام، في حين الثاني عشر منهم (المهدي) هو من ولد النبي عبر الحسين عليه السلام.

في الخلاصة العامة : تبدو التجربة البشرية في آخر الزمان على نحو انحرافي هائل في القيم والغايات ودواعي الفعل وتطبيقاته ، وضوابط المسير الإنساني الضروري . إلى أن يظهر المهدي عجل الله تعالى فرجه شريف، فيقيم الدولة الربانية المقدسة في ربوع الوجود.

بعض علامات الظهور المبارك

إشارة

للمهدي عليه السلام قبل ظهوره علامات مختلفة ، منها ما هو عام ، ومنها ما هو خاص ، ومنها ما هو قريب من ظهوره عجل الله تعالى فرجه شريف، ومنها ما هو ليس كذلك . وقد جاءت الآثار بذكر علامات لزمان ظهور القائم المهدي عليه السلام، وحوادث تكون أمام قيامه ، و آيات ودلالات ، منها - كما وردت بقلم الشيخ المفيد قدس الله سره - :

« خروج السفيناني ،

وقتل الحسيني ،

واختلاف بني العباس في الملك الدنيوي ،

وكسوف الشمس في النصف من رمضان ، وخسوف القمر في آخره على خلاف العادات ،

وخسف بالبيداء ،

ص: 33

وخسف بالمغرب ،

وخسف بالمشرق ،

ور كود الشمس من عند الزوال إلى أوسط أوقات العصر وطلوعها من المغرب ،

وقتل نفس زكية بظهر الكوفة(1) في سبعين من الصالحين ،

وذبح رجل هاشمي بين الركن والمقام ،

وهدم حائط مسجد الكوفة ،

واقبال رايات سود من قبل خراسان ،

وخروج اليماني ،

وظهور المغربي بمصر وتملكه الشامات ،

ونزول الترك الجزيرة (العراق)،

ونزول الروم الرملة (فلسطين)،

وطلوع نجم بالمشرق يضئ كما يضئ القمر ، ثم ينعطف حتى يكاد يلتقي طرفاه ،

وحمرة تظهر في السماء وتنتشر في آفاقها ،

ونار تظهر بالمشرق طويلا ، وتبقى في الجو ثلاثة أيام أو سبعة أيام ، وخلع العرب أعتتها وتملكها البلاد ، وخروجها عن سلطان العجم ،

ص: 34

1- اظهر الكوفة هو « النجف» ، وتسمي في الأحاديث أيضا نجف الكوفة ونجفة الكوفة أي مرتفعها وجبلها . وتسمي الغري والغريين ، باسم عمودين بناهما النعمان بن المنذر ملك الحيرة وغراهما بالبياض أي صبغهما باللون الأبيض .

وقتل أهل مصر أميرهم ،

وخراب الشام ، واختلاف ثلاث رايات فيه ،

ودخول رايات قيس والعرب إلى مصر ، ورايات كندة إلى خراسان ،

وورود خيل من قبل الغرب حتى تربط بفناء الحيرة (1)،

واقبال رايات سود من المشرق نحوها (2)،

وبثق في الفرات حتى يدخل الماء أزفة الكوفة (3)،

وخروج ستين كذابا لهم يدعي النبوة ، وخروج اثني عشر من آل أبي طالب لهم يدعي الإمامة لنفسه ، واحراق رجل عظيم القدر من بني العباس بين جلولاء وخانقين ،

وعقد الجسر مما يلي الكرخ بمدينة السلام،

وارتفاع ريح سوداء بها في أول النهار،

وزلزلة حتى ينخسف كثير منها ،

وخوف يشمل أهل العراق وبغداد ، وموت ذريع فيه (4)،

ص: 35

1- وردت روايات في خيل المغرب التي تنزل في فناء الحيرة ، أي تستقر قرب الكوفة ، وأن هذا الحدث يكون في أيام السفيناني أو قبله . ولكن الملفت في نص المفيد قوله « وورود خيل من قبل الغرب حتى تربط بفناء الحيرة ، والسؤال : هل لفظها الغرب أم المغرب . وهل ذلك يعني أن تكون هذه القوات غربية تدخل العراق لمعاونة السفيناني في مواجهة أصحاب الرايات السود ، أو تكون قبل السفيناني . كله ممكن ...

2- رايات المشرق مي الرايات السود الخراسانية التي تدخل مع قوات اليماني لمواجهة السفيناني عندما يغزو العراق .

3- بثق الفرات وفيضانه في الكوفة ، ورد في الأحاديث أنه يكون في سنة الظهور ، فعن الامام الصادق عليه السلام قال عام الفتح ينبثق الفرات حتى يدخل أزفة الكوفة .. [البحار ج 52، ص 217]

4- عن الحكم الإسلامي في العراق قبل الظهور هناك مجموعة من الأصول الروائية منها: رواية خطبة البيان تقول « ألا يا ويل بغداد من الري ، من موت وقتل وخوف يشمل أهل العراق إذا حل بهم السيف فيقتل ماشاء الله . فعند ذلك يخرج العجم على العرب ويملكون البصرة » [الزام الناصب ج 2 ص 191] وتتصل بها رواية أخرى عن الامام الصادق عليه السلام تقول « ثم يقع التدابر والاختلاف بين أمراء العرب والعجم ، فلا يزالون يختلفون إلى أن يصير الأمر إلى رجل من ولد أبي سفينان » [الزام الناصب ج 2 ص 160] . كما توجد رواية « تحرك الحسيني » ، الذي تشير قرائن إلى أنه يكون في العراق ، والذي قد يكون قتله بعد حكمه .

ونقص من الأموال والأنفس والثمرات ،

وجراد يظهر في أوانه وفي غير أوانه ، حتى يأتي على الزرع والغلات ،

وقلة ريع لما يزرعه الناس ،

واختلاف صنفين من العجم ، وسفك دماء كثيرة فيما بينهم ،

وخروج العبيد عن طاعات ساداتهم وقتلهم مواليتهم ،

ومسخ لقوم من أهل البدع حتى يصيروا قرده وخنازير ،

وغلبة العبيد على بلاد السادات ،

ونداء من السماء حتى يسمعه أهل الأرض ، كل أهل لغة بلغتهم ،

ووجه وصدر يظهران للناس في عين الشمس ،

وأموات ينشرون من القبور حتى يرجعوا إلى الدنيا فيتعارفون ويتزاورون ،

ثم يختم ذلك بأربع وعشرين مطرة ، تتصل فتحيابه الأرض بعد موتها ، وتعرف بركاتها . ويزول بعد ذلك كل عاهة عن معتقدي الحق من شيعة المهدي عليه السلام ، فيعرفون عند ذلك ظهوره بمكة ، فيتوجهون نحوه لنصرته ، كما جاءت بذلك الأخبار [\(1\)](#).

ص: 36

1- هذا ما رواه الشيخ المفيد قدس سره (الارشاد ص : 336). أقول : هذا التعداد إجمالي لعلامات الظهور : البعيدة والقريبة ، ولا يقصد أنها متسلسلة حسب ما عددها ، ثم منها علامات قريبة لا ومنها بعيدة . والمحتوم من هذه العلامات قبل ظهور المهدي عليه السلام يعني أنه لا بد أن يقع ، مثل خروج السفيناني واليماني والدجال وقتل النفس الزكية والنداء السماوي والخسف بجيش السفيناني وغير ذلك . ومنها ما هو مشروط بأحداث أخرى في علم الله سبحانه وتعالى . [ثم شهادة الشيخ المفيد بأن هذه العلامات والأحداث التي ذكرها أنها ثبتت في الأصول الحديثية تعطيها قيمة كبيرة جدا] .

كل هذه من « العلامات » التي تقع قبل الظهر الشريف ، ومنها ما يكون قريبة جدا من الظهر، كذبح الحسيني بين الركن والمقام ، ومنها ما يكون بعيدة عن لحظة الظهر المبارك.

آية الحدثن

آية الحدثن(1) نائبة كبيرة ، تقع في « شهر رمضان » ، هي علامة في السماء ، بعدها يقع « اختلاف في الناس » ، لذا جاء في النص : « إن أدركتها ، فأكثر من الطعام ما استطعت(2)»(3). هي نائبة خطيرة جدا ، يتبعها جوع وأزمة اقتصادية ، وقحط وحكرة وشبه ذلك ، في ظل فتنة متعاضمة . وفي رواية خالد بن معدان قال : « إذا رأيتم عمودا من نار ، من قبل المشرق في شهر رمضان في السماء ، فأعدوا من الطعام ما استطعتم ، فإنها سنة جوع »(4). وفي متون أخرى ورد : « نار في الحجاز ». إشارة إلى ظاهرة متعاضمة ، ذات أثر خطير على الإنسان في تلك البلدان ، وتبيننا لفن بشرية واسعة يكون منها حرب الجوع والوجع والقهر والموت ، وقال ابن قاذويه : « آية الحدث في رمضان ، نار تكون في السماء شبيها بأعناق الجب ، أو كأعمدة

ص: 37

-
- 1- الحدثنان : جمع حدث مثل أحداث و حوادث ، أي الوقائع الكبيرة ، ويطلق أيضا على النوائب خاصة .
 - 2- ابن حماد : ص 60
 - 3- ذيل النص وارد من باب : إياك أعني واسمعي يا جارة .
 - 4- ابن حماد : ص 60 وفي : ص 61

الحديد . فإذا رأيتها فأعد لأهلك طعام سنة » . إشارة إلى حدث إستثنائي ، وفتنة هائلة ، تصيب كثيرا من الناس .. حيث تنتشر فتنة ، وتظهر نار في الحجاز - وهي نار غير نار عدن - إيذانا أو إكمالا لفتنة جبارة .. بقاع العالم آنذاك - خاصة بقاع الإسلام - تكون مضطربة . الأمم منقسمة ، العدا مستحكما ، ويقع في الناس دم وجوع ..

وقد وردت « روايات تشير إلى «النداء السماوي» في شهر رمضان ، و« نار » من المشرق ، و«اختلاف» يكون بين الناس .. وعليه : وقع الفتنة المتعاضم ، يؤثر بشدة على المشرق ، خاصة بلاد العرب والمسلمين . وإبان هذه الهائلة يختلط الجوع بالدم والعذاب والقهر .

النجم المذنب

ما قبل الظهور القريب ، تشابك الآيات ، فمنها ما هو أرضي ومنها ما هو سماوي . ومنها ما هو بشري ومنها ما هو طبيعي . علامات ذات إشارة إلى قرب حدث عظيم يراد بأهل الأرض .

وقد ورد في الأخبار : « يطلع نجم بالمشرق ، يضيئ كما يضيئ القمر ، ينعطف حتى يلتقي طرفاه أو يكاد »⁽¹⁾ . وكان النجم علامة على ولادة النبي المسيح عليه السلام ، وعلامة على ولادة « النبي الأعظم محمد صلى الله عليه وآله » ، وهو ذاته علامة على « ظهور المهدي عجل الله تعالى فرجه شريف في آخر الزمن » . هذا النجم

ص : 38

المذنب ، انتظره الكهنة والقساوسة والعلماء منذ الأزمان البعيدة ، هكذا قررت الكتب ، وهكذا حدث التاريخ ، وبذلك شهدت المعجزات . بهذا المذنب تبدأ « أحداث نهاية التاريخ البشري » في آخر الزمان : « يطلع نجم من المشرق ، قبل خروج المهدي له ذناب » (1). إشارة سماوية هائلة إلى حدث عظيم يقع على الأرض : مذنب : « له ذنب يضيئ لأهل الأرض ، كإضاءة القمر ليلة البدر » (2). وقبل ظهور المهدي عليه السلام يقترب هذا المذنب ، ويراة أهل الأرض ، ويكون في ظهوره « الخاص » علامة على موعد عظيم من السماء لأهل الأرض (3).

على أن هذا المذنب يقترب من الأرض فيراه الناس : « .. يخرج نجم له ذنب يضيئ .. » (4) وفي التقريب العلمي : مذنب « هالي » يقترب من الأرض كل 76 عام ، ويبلغ طول ذيل هذا المذنب « 30 مليون كيلو متر » وهو يحتوي على الدخان والأتربة . [مثال تقريبي] . وفي الكتب والحقائق الثابتة : ظهر المذنب عند ميلاد المسيح عليه السلام وعند ميلاد النبي الأعظم صلى الله عليه وآله كما ظهر يوم فتح القسطنطينية بقيادة محمد الفاتح . لذلك منذ هذا التاريخ يعتبر الأوروبيون علامة سوء بالنسبة لهم . لأنه مع ظهوره انهارت أسوار القسطنطينية (عاصمة المنعة الرومية) ، ودخلتها جيوش الإسلام . وقد أطلق

ص: 39

-
- 1- ابن حماد : ص 61. رواية كعب
 - 2- ص 46 ب- 71. رواية ملاحم ابن طاووس عن ابن حماد .
 - 3- ربما يكون مذنب هالي ، أو غيره . المهم المقصود نفس المذنب الذي خرج زمن ولادة المسيح عليه السلام ، وولادة النبي محمد صلى الله عليه وآله .
 - 4- [نعيم بن حماد / عقد الدرر 111]. وقد سمي مذنب هالي نسبة إلى مكتشفه « آدموند هالي » الذي اكتشفه عام 1682.

«البابا كاليبسيس» عليه إسم «عميل الشيطان» (1). على أن لفظ القرآن الكريم جاء على بالتعبير التالي: «وقارتقب يوم تأتي السماء بدخان مبين و(10/44) .. إشارة إلى «المستقبل» ، وتأكيذا لحتمية محددة بهذا النجم ، وتركيزا على علامة خاصة يرتبط بها جزء رئيسي من مصير أهل الأرض .

وعليه : ظهور هذا المذنب (الجرم) ، يشكل علامة موصوفة قبل ظهور المهدي عليه السلام، له صورة وهيئة لافتة : « ينعطف حتى يلتقي طرفاه أو يكاد » (2). تركيزا على دلالة وصفية خاصة به ، لها لغتها في الدلالة على قرب الحدث العظيم . .

آية الشمس

لا بد من « آية الشمس » ، وهي علامة خاصة جدا ، تقع على خلاف العادة ، وعلى خلاف « الجدول العلمي » للفلكيين ، وفي النص « لا يخرج المهدي عليه السلام حتى تطلع مع الشمس آية » (3). هذه العلامة تدل على

ص: 40

1- وسوف يظهر هذا المذنب أو غيره عند ظهور المهدي عجل الله تعالى فرجه شريف الذي سيفتح روما ويهزم جبابرة الأرض ويقيم العدل الإلهي بشموله العام. مع التذكير بأن مذنب هالي يحمل الدخان . وذيله يبلغ طوله 30 مليون كيلو متر ، ويحتوي على الدخان والأتربة ..! وقد قال الله تعالى : (بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ يَلْعَبُونَ (9/44) فَازْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ (10/44) يَغْشَى النَّاسَ هَذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ (11/44) رَبَّنَا اكْشِفْ عَنَّا الْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ (12/44) أَنَّى لَهُمُ الذُّكْرَى وَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مُّبِينٌ (13/44) ثُمَّ تَوَلَّوْا عَنْهُ وَقَالُوا مُعَلَّمٌ مَّجْنُونٌ (41/44) إِنَّا كَاشِفُو الْعَذَابِ قَلِيلًا إِنَّكُمْ عَائِدُونَ (15/14) يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَى إِنَّا مُنْتَقِمُونَ (16/44) وَلَقَدْ فَتَنَّا قَبْلَهُمْ قَوْمَ فِرْعَوْنَ وَجَاءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ (17/44) أَنْ أَدَّوْا إِلَىٰ عِبَادِ اللَّهِ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ (18/44) وَأَنْ لَا تَعْلُوا عَلَى اللَّهِ إِنِّي آتِيكُمْ بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ (19/44) [في هذا المجال راجع سعيد أيوب في كتابه المسيح الدجال] .

2- م . س .

3- عبد الرزاق : ج 11 ص 373 ح 20775 .

قرب قريب لظهور المهدي ، و تسارع الأحداث الكبرى ، في ظل توحش بشري - تقوده أمم ظالمة منحرفة - وفساد عظيم ، يلف الأرض وناسها ، إلا- من « قلة » يبقون على دين الله ومطالب السماء ، فإذا انكسفت الشمس على غير العادة ، وظهرت فيها الآية ، تهباً الكون لاستقبال «قائد معسكر الرب » وفي النص :

«قبل خروج المهدي تنكسف الشمس في شهر رمضان مرتين»(1).كسوف موصوف، لم ولن يتوقعه أهل الفلك ولا أهل الأرض ، تظهر معه وفيه آية .. ويشترك « القمر» في بيان لغة الإعجاز والعلامة السماوية ، ويتحدث الناس بذلك ، ويدب السؤال بينهم عن المغزى ، و تظهر الحيرة عليهم بسبب ما يرون : « . آيتان لم يكونا من خلق الله السماوات والأرض : ينكسف القمر لأول ليلة من رمضان ، وتنكسف الشمس في النصف منها»(2). كسوف وخسوف محير للعلماء والناس ، يظهر ليدل على حدث عظيم طراً، والأمر الأكيد أن شيئاً وقع كونياً ، لا يمكن تفسيره وفق المجرى العلمي والجدول الموجود .

إنها لحظة تختلط فيها «لغة السماء مع لغة الأرض» ..

تأكيد مطلق على : أن أرض الإنسان على موعد رباني عظيم ..

ص: 41

1- ابن حماد : ص 61

2- القول المختصر : ص 20 ب-30 ح-30. في رواية شريك - ولم بسنده إلى النبي صلى الله عليه وآله- قال : لمهدينا عليه السلام .. ثم تابع الحديث ..

[سيطرة الكفار على الأنهر الخمسة]

يبدو واضحاً من النصوص أن ظهور المهدي عليه السلام لا يكون إلا بعد فتن عاصفة ، تعم العالم، خاصة العالم الإسلامي ، وسيكون من أثر تلك الفتن : سفك دماء ، ومجاعات، وخوف، ووجل، وهلع، واستعمار ، واضطهاد ، وفوضى ، وهتك ، وتنكيل فظيع ، وغير ذلك .. ويكون للكفار سطوة وظهور، بعد أن يهجر الإسلام ، ويملك من نمحي الدين جانباً ، وينكب القوم على الدنيا ، ويتناسون أمر الآخرة ، وتأخذهم الشهوات ، ويذلهم الهوان [حب الدنيا و كراهية الموت] ، فيعود الإسلام غريباً كما بدأ إلا من قلة على رأسهم دولة أهل خراسان ، الذين يصرون على اعتناق الدين ، وحمل ثقل نبي المرسلين عليه السلام، وقد جاء في الخبر :

« .. أبشرك يا رسول الله بالقائم عليه السلام من ولدك ، لا يظهر حتى يملك الكفار الخمسة الأنهر ، فعند ذلك ينصر الله بك على أهل الضلال ، ولم يرفع لهم [أي للكفار] راية أبداً إلى يوم القيامة . فسجد النبي صلى الله عليه وآله شكراً لله ، وأخبر المسلمين وقال لهم :

بدأ الإسلام غريباً ، وسيعود غريباً كما بدأ ، فسئل عن ذلك ؟ فقال صلى الله عليه وآله : هي الخمسة الأنهر التي جعلها الله لنا أهل البيت وهي : سيحون وجيحون والفراتان ونيل مصر . إذا ملكت الكفار الخمسة الأنهر ، ملك

الاسلام (كذا) شرقا وغربا، وذلك الوقت ينصر الله أهل بيتي على أهل الضلال، ولم يرفع لهم راية أبدا إلى يوم القيامة» (1).

هذا يعني: سيطرة الكفار، وتمدد نفوذهم، وسعة وطأتهم في العراق وإيران ومصر وبقاع مختلفة من أرض الإسلام. وفعلا ظهر للكفار نفوذ كبير، وسيطرة مطبقة في هذه المناطق من العالم في القرون الماضية، زمن الإستعمار الذي شنه الإنكليز وغيرهم. وها هو العالم الإسلامي يعاني اليوم من نفوذ هائل للروم الأمريكيين في أنحاء العالم الإسلامي. وقد بدت الصورة أكثر ضبابية وقسوة بعد غزو الأمريكان لبغداد، ودخولهم لها في التاسع من نيسان عام 2003..

وتؤكد الروايات أن خراسان (أرض إيران) قبل الظهور يكون لها دولة قوية، ونفوذ إقليمي عظيم، ودرع حصينة، وسلاح ماض، وتكون صريحة جدا في تبنيها الإسلام، ودعوتها إلى القرآن والعترة النبوية. وهي التي تشكل أكبر عائق في وجه الروم الغربيين وأتباعهم. وفي فترة ما، تزحف لفتح بيت المقدس، فتحريره من أيدي اليهود الغاصبين، وتطأ جباة الأنظمة، وتهزم جيوشهم، حتى تنصب رايات أهل الحق في إيلياء (القدس).

ص: 43

1- ثواب الاعمال: على ما في ملاحم ابن طاووس. ملاحم ابن طاووس: ص 197

تشهد الدنيا علامات كثيرة قبل الظهور الأعظم للمهدي عجل الله تعالى فرجه شريف منها: ما يقع في السماء، ومنها ما يقع في الأرض، ومنها ما يكون عاما، ومنها ما يكون خاصة في أرض محددة، منها ما يكون على نحو الحدث، ومنها ما يكون على نحو الوصف، ومنها ما يكون من هذه وتلك، فقد جاء في الأثر: «لا تقوم الساعة حتى تعود أرض العرب مروجاً وأنهاراً، وحتى يسير الراكب بين العراق ومكة، لا يخاف إلا ضلال الطريق، وحتى يكثر الهرج. قالوا: وما الهرج يارسول الله؟ قال صلى الله عليه وآله: القتل» (1).

النص صريح في: عمارة أرض العرب، وتحول الجزيرة إلى مروج من أنهار (أي وفرة الماء)، مع ما يعني ذلك في الثمار والمنافع، واللافت في أكثر من نص: الإشارة إلى «أبنية مشيدة» كما في غير هذا المتن. وأن هذه البلاد يسودها الأمن، إلى أن يصيب هذه البلاد اضطراب الفتن، وأزمة الحكم، وانهيار الأمن، وطمع الروم، وتبعية خطيرة تحكمها الروم، وصولاً إلى الجوع الأغبر والموت الأحمر.

إذن: للعرب علامة، في عمارة أرضهم، وارتقاع بنائهم، وكثرة منافعهم، ووفرة ماءهم، لكنهم على موعد مع فتنة متعاضمة، يقع على أثرها القتل وانهيار الأمن، وصولاً إلى الجوع والدم..

ص: 44

عن خليفة العراق

في إشارة إلى علامات ذات صلة بسلوك واحد من الحكام ، جاء في الأثر : « فإذا قتل الخليفة بالعراق ، خرج عليهم رجل مربع القامة ، كثر اللحية ، أسود الشعر ، براق الثنايا ، فويل لأهل العراق من أتباعه المراق . ثم يخرج المهدي عليه السلام منا أهل البيت ، فيملا الأرض عدلاً ، كما ملئت جوراً »(1).

وفي أكثر من نص ، تم الحديث عن « حاكم العراق » ، وعن أن موت هذا الخليفة من العلامات القريبة لظهور المهدي عليه السلام . على أن هذا لا يمنع من موت خليفة آخر في منطقة ما ، مثل الحجاز مثلاً ، حيث قد يستفاد من بعض النصوص مثل هذا الأمر ، لكن العلامة ظاهرة في موت حاكم العراق الظالم ، القتال ، المنحرف ، الذي يتقاتل قومه على ملكه ، حيث يجلس على كرسي الحكم خليفة ضعيف ..

وتعتبر أرض العراق مهد الأزمات ، ومحنة أتباع أهل البيت عليهم السلام ، خاصة زمن « عبد الله العباسي » الشديد ، ثم يوم السفيناني الذي يبيع العراق الجيشه ، وكذا ما يحصل قبله من تداعي جيوش الروم والترك وغيرها إلى هذه المنطقة ، طمعاً في كنز أو مال ينكشف عنه الفرات [مال جوفي ، له قيمة هائلة بالنسبة إلى قوى العالم ، ما يدعوها للزحف نحوه ، والتقاتل

ص: 45

عليه .. ويلاقي شيعة علي عليه السلام بلاء عظيمة من الحكام الظلمة في هذه النواحي إلى أن يفرج الله عنهم.

استنزاف بلاد المسلمين

تشير الروايات إلى علامات ، تتصل بأثر الإستنزاف الذي يلحق ب- « بلاد الإسلام » ، منها قول النبي (1) صلى الله عليه وآله : [(إذا) .. منعت « العراق » قفيزها ودر همها، ومنعت « الشام » مدها ودينارها ومنعت « مصر » إردبها ودينارها، وعدتم من حيث بدأت، وعدتم من حيث بدأت، وعدتم من حيث بدأت] (2)، بحيث تحدث أزمة ذات أثر بالغ ، حصار وعزل ، دهم وترويع .. يبدو من طائفة النصوص أنها تكون ذات « وصف حربي » يتبعها أزمة اقتصادية مالية نقدية معيشية عسير على المسلمين في العراق والشام ومصر ، ونواحيها ، فيظهر الجوع والوجع ، والحسرة والأنة ، وتضيق الدنيا .

كل ذلك في ظل هجمة رومية ، وطمع مستشر ، وجيوش مجهزة ومتنوعة .. هذا المتن وغيره واضح في الإشارة إلى الضيق الشديد الذي يضغط على بلاد المسلمين ، في حين تكون أنظمة موالية للروم وغيرها في هذه الأرض ، تعمل على محاولة إجهاض « مشروع الأسلمة » الذي تنادي به دولة خراسان.

ص: 46

1- رواه يحيى قال : إن رسول الله صلى الله عليه وآله ذكر القفيز والدرهم قبل أن يضعه و «عمر» ، على الأرض . وفي الحديث عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله .

2- القفيز والمد والأردب : ميكاييل للغلات في العراق والشام ومصر . المصادر : إسحاق بن راهويه : على ما في سنن البيهقي . * : أحمد :

في ظل هذا العصف، وفي زمن ما، تذكر النصوص ظهور « ثلاث ثورات إمامية(1) » تقوم في زمن الغيبة، بفترة ما، وتبقى حتى عصر ظهور المهدي عليه السلام، وهي:

1. ثورة « أبدال الشام » الذين يقاومون اليهود الغزاة، ويبدو واضحاً من: النصوص أنهم يكونون في لبنان، وأكناف بيت المقدس، أي نواحيه. ويؤكد النصوص ثبات الأبدال، وقوتهم وتقانيهم، حتى أن « الكور الخمس » تسقط زمن السفيناني، إلا بلادهم، حتى يبايعوا المهدي عليه السلام وينخرطوا بين يديه. 2. ثورة «نجباء مصر» الذين يكادون أن يستلموا الحكم في مصر، في ظل دعم شعبي كبير، لكن الحاكم هناك يهرب إلى الروم مستنجداً بها، فتأتي جيوشها إلى مصر، وتقع هناك أول ملحمة، وهي ملحمة الإسكندرية.

3. ثورة « عصاب العراق » أو أخبار العراق في أرض العراق(2). ويبدو أن لهم نوعاً من التضحيات الكبيرة، والنفوذ المتعظيم ..

ص: 47

1- تحدثنا بالتفصيل عن هذه الرايات الثلاث في آخر الزمن، في كتاب خاص .
2- وهل هذه الأزمة التي تطل العراق والشام ومصر تكون في ذلك الحين، خاصة أن الروم (الغرب المسيحي) يتدخل عسكرية في مصر . كما يتدخل بأكثر من شكل في الشام حتى يتم انقلاب السفيناني ويجلس على عرش دمشق، ثم يطلب منه أن يدخل مصر لقمع ثورة النجباء الإمامية فيفعل، كما يقوم بمهاجمة الأبدال في الشام لكنه يفشل ويعجز عن دخول بلادهم . كما أيضا يهاجم العراق .. فيدعمه الغرب المسيحي بكافة الوسائل الممكنة، التي منها الحصار الإقتصادي والضغط النقدي والمالي وغيره ..؟ هذا احتمال دارد و متون عدة نشهد له، على أن طائفة من النصوص تشير أيضا إلى إطباق القوى الكبرى، بالأخص الروم على بلاد الإسلام، التي منها الشام والعراق ومصر، فتعاني هذه البلاد من الجوع والضعف وأزمات المال والإقتصاد وغير ذلك .. أما موضوع الرجوع إلى الحجاز، فهو يعني تباشير الظهور . أي يظل الأمر مرهونا بالحدث الرئيسي الذي يجب أن يتم في الحجاز من ظهور قائم آل محمد المهدي عليه السلام الذي يملأ الأرض قسطا وعدلا كما ملئت ظلما وجورا.

إسم المهدي وكنيته وألقابه :

تحدثنا النصوص بإسهاب موصوف أن اسم المهدي عليه السلام كإسم النبي محمد صلى الله عليه وآله ، وأنه هو محمد ابن الحسن العسكري، من ولد الحسين الشهيد عليه السلام، من فاطمة الزهراء وعلي بن أبي طالب عليهما السلام .. وأن لقبه المهدي عجل الله تعالى فرجه شريف . وتقول النصوص في ألقابه : أنه المهدي ، مهدي هذه الأمة ، وأنه المهدي في الأرض والمهدي في السماء ، ومهدي الخير ، ومهدي عباد الله . وأن المهدي يهدي إلى الله عز وجل، يهدي الناس إلى الصلاح والفلاح ، يهدي الأمم إلى أمر قد خفي ، بعدما طمست معالم الإسلام، وغزل القرآن ، ونحيت الشريعة وتعاضم الكفر وعبدت الأوثان . وتؤكد طائفة من الأخبار أن العرب تهتدي بالمهدي عليه السلام ، وأن أمما كثيرة تهتدي به ، وأن العالم في النهاية يهتدي به . ثم تعدد الأحاديث بعضا من صفاته عليه السلام مثل أنه الامام الحجة ، وآخر الأئمة الإثني عشر ، وأنه خليفة الله عز وجل، وولد النبي محمد صلى الله عليه وآلهم وإبنته فاطمة الزهراء ووصيه علي بن أبي طالب عليهما السلام ، وأنه خليفة مكرم من بني هاشم ، وولي الله ، والامير ، والقائم ، وطالب الثأر ، وأمير الطائفة الظاهرة . ثم تصف النصوص الطائفة الظاهرة على الحق بأنها التي تكون على الإسلام وولاية النبي وأهل بيته عليهم السلام . وأن المهدي يكون أمير الناس في آخر الزمان .

ص: 48

ثم تعطيه بعض الطوائف المروية عنهم عليهم السلام صفات تدل على عظيم أمره، منها: أنه عجل الله تعالى فرجه شريف القائم بالحق، والقائم للحق، والقائم المنتظر، والقائم المأمول، وأنه خير الله من خلقه، وخير أمة محمد صلى الله عليه وآله، وخير الناس، وخير أهل الأرض، وابن خيرة الانبياء، ونجم المؤمنين، ويعسوب الأمة، والرجل الصالح، صالح من مضى وخير من بقي، وأنه العدل المبارك الزكي، المنصور، الهاشمي، الغلام، العائد بالبيت، وأن اسمه كإسم النبي محمد صلى الله عليه وآله، يواطئ إسمه إسم النبي ويوافقه. وفي بعضها الآخر كان يقول صلى الله عليه وآله: إسمه إسم نبي، إسمه إسمي، إسمه يوافق إسمي.. وما إلى ذلك من نصوص.

صفاته البدنية والخلقية :

وعن صفاته البدنية عجل الله تعالى فرجه شريف..؟ قالت طائفة من النصوص بأنه أجلى الجبهة، اقني الأنف، أجلى الجبين، وفي نص آخر: أعلى الجبهة وأملا الجبهة وأقنى الجبهة، براق الجبين، أفرق الشايبا، أزج، أبلج، أعين، أشم الانف، أقنى، أجلى، أجلى الحاجبين، في خده الأيمن خال أسود، شاب حسن الوجه. وأن وجهه كالقمر الدرّي، وفي لفظ آخر: كأن وجهه الكوكب الدرّي. بكفه اليمنى خال، عليه عباءتان قطوانيتان، شمائله كشمائل النبي صلى الله عليه وآله، وهو أشبه الناس بالنبي صلى الله عليه وآله خلقا وخلقا، يظهر صلى الله عليه وآله شابا بعمر ما بين الثلاثين إلى الأربعين سنة، وورد في بعض المتون: يظهر ابن اربعين سنة. النصوص تؤكد أنه عليه السلام يظهر وهو شاب ما بين

ثلاثين وأربعين من العمر. وأنه شبيه النبي عليه السلام وشبيه موسى بن عمران عليه السلام ، وفي طائفة أخرى أنه أشبه الناس بعبسى عليه السلام خلقا وخلقاً وسمت وهيبة، وأن لونه لون عربي ، فيما الجسم جسم إسرائيلى ، وفي بعضها : كأنه رجل من بني اسرائيل ، كأنه من رجال شنوءة.

مقامه عند الله تعالى :

إشارة

تؤكد النصوص أن مقام المهدي عليه السلام عند الله عظيم جدا ، فهو المعد لإقامة دولة الله في الأرض ، ودحر الجبابرة والظالمين ، وأنه قائد معسكر الله في آخر الزمان ، الذي يملأ الأرض قسطا وعدلا كما ملئت ظلما وجورا .

ثم تؤكد طائفة أخرى أنه لأنه هو الذي بشر به النبي صلى الله عليه وآله وفاخر بأنه من ولد وأهل بيته ، وأنه الذي يظهر في آخر الزمان ، فيقيم أمر الله ، ويقود دولة الحق الإلهي فيقطع دابر الكفر والنفاق ، وأنه الذي يصلي النبي المسيح عليه السلام مؤتما به ، بل وينزل من السماء بإذن الله لنصرته ، ويكون وزيرة الأيمن ، وقائد جبهته في لحظة تاريخية كبرى ، وأنه يقود جيش المهدي عليه السلام لهزيمة الدجال الذي يقصد القدس لاحتلالها. كما أن النبي المسيح عليه السلام هو الذي يحتج بالمهدي عجل الله تعالى فرجه شريف على نصارى الروم والصين وغيرهم من اليهود والنصارى في أرجاء الأرض ، فضلا عن احتجاجه على أهل الدنيا كلهم بما يظهر من حجج وبنات معجزة على يد المهدي عجل الله تعالى فرجه شريف.. وتضيف النصوص في بيان كرامات المهدي عليه السلام أن الجنة تشناق إليه ، وأنه

طاووس أهل الجنة ، وأحد سبعة هم سادة أهل الجنة ، وفي بعضها أنه يعدل بنبي ، وأنه فضل على بعض الأنبياء ، ويعطيه الله ما يعطي الأنبياء ويزيده من فضله .

وهنا لا بد من الإشارة إلى أن مقام الإمامة عظيم جدا ، وفي النصوص التي تؤكد أفضلية أهل البيت والأئمة عليهم السلام ما يشير إلى علو مقامهم العظيم منذ الخلق الأول . .

ثم تشير الأخبار إلى أن مع المهدي عليه السلام عهدا معهودا من النبي المصطفى صلى الله عليه وآله ، وأنه سيظهر ومعه سيف النبي ذو الفقار الذي كان يحمله الإمام علي عليه السلام ، كما تكون معه راية النبي المغلية ، وهي التي تشير إلى استعمال الإعجاز ، فما تفرد في معركة إله النصر الإلهي . وهناك نص يشير إلى أنه أفضل الأئمة من ذرية الحسين عليهم السلام ، لكن النص ضعيف السند ولا يمكننا أن نفاضل بين الأئمة ، بل الله تعالى هو الذي يفاضل خاصة أن هناك بعض النصوص التي تقول بفضلهم جميعا . وعليه : الفصل في التفضيل هو الله رب العالمين ..

ثم تؤكد أن المهدي عليه السلام هو ولي الله ، الذي يعمر الله به أرضه بتسييحه ونشر دينه ويظهره على الأسرار والضمائر ، وتصفه بعض النصوص بأنه خاشع لله مثل خشوع النسر بجناحه ، وأنه يكون من الله على حذر ، أي يعطف نفسه على الحق في كل شئى جاهدا نفسه في عبادة الله ، وأنه لا يغتر بقرابته من النبي صلى الله عليه وآله . وأنه عليه السلام تكون عليه جلايب النور تتوقد من شعاع

القدس ، وأن على رأسه غمامة فيها ملك ينادي : « هذا خليفة الله فاتبعوه » ، كما ينادي مناد باسمه من السماء : « ألا إن أميركم فلان » ، وهو جبرائيل عليه السلام الذي يصدح في المساء ينبئ أهل الأرض أن المهدي قد ظهر .

وتؤكد النصوص أن الملائكة تكون بين يديه ، وأن الله يمدّه بملائكته ، ويكون جبرئيل عليه السلام على مقدمة جيشه ، وميكائيل على ساقته ، ومكتوب في رايته : البيعة لله . اسمعوا وأطيعوا . وأن رايانه عليه السلام : أبيض وصفرة مرقوم ، فيها اسم الله الاعظم ، ومكتوب على راحتيه : « بايعوه » .. وطالما كان النبي صلى الله عليه وآله يقول : من أطاعه فقد أطاعني ، ومن عصاه فقد عصاني . ومن تبعه نجا ومن تخلف عنه هلك (1).

وأنه عليه السلام يصلي عليه أهل السماء والأرض وطير السماء ويفرح به ساكن الأرض والسماء . وأنه أمر من أمر الله ، وسر من سر الله عز وجل . وأن به عجل الله تعالى فرجه شريف يختم الله تعالى «الدين» كما فتحه بالنبي صلى الله عليه وآله . وأن خلقه خلق النبي صلى الله عليه وآله ، فهو رحيم طيب مع المؤمنين ، قد بسط جناحه لمن اتبعه ، وعطف على الناس ، ولا يدخل أرضا إلا دخلتها الرحمة .. وأنه عليه السلام لم تلبسه الفتن ولم يلبسها ، ويغضب في ذات الله ويرضى في ذات الله تعالى . يكون زاهدا ، شديدا في تقاه ، ورعا ، عابدا ، خاشعا ، قد تجلبب بورع وتقى رسول الله وأهل بيته عليهم السلام .. ثم تؤكد المتن أنه عليه السلام لا يضع لنفسه حجرا على حجر ، فهو من الدنيا زاهد ، لا طمع له فيها ، وأنه لا يقرع

ص: 52

1- للوقوف على هذه المتن بتفاصيلها وأسانيدها يمكن مراجعة موسوعة الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه شريف للمؤلف .

أحدًا بسوط الـ في حد. وفوق ذلك : هو جواد بالمال ، كريم النفس واليد، هو أعطى الناس ، يكون عطاؤه هنيئًا ، ولا يأخذ شيئًا أعطاه ، يفيض المال فيضة على الناس ، يحثو المال حثيا ولا يعده عدة، قد أكره الله بالخير والبركات العظيمة ، ينشر الخير والبركات والعم والعلم في الناس ، فلا ترى إلا غنيا مستكفيا راضيا مستأنسا ببركات الله تعالى (1).

نسبته من النبي محمد صلى الله عليه وآله

تواترت النصوص بلا خلاف على أن المهدي عليه السلام هو من ذرية النبي صلى الله عليه وآله وأنه ولده عبر ابنته المطهرة فاطمة الزهراء عليها السلام وقد اتفقت كلمة علماء المسلمين وأصحاب الحديث كلها على أن المهدي رجل من عترة النبي محمد صلى الله عليه وآله وأنه حفيده من ابنته فاطمة الزهراء ووصيه علي بن أبي طالب عليهم السلام . في نصوص النبي صلى الله عليه وآله وأهل بيته عليهم السلام وخيرة الأصحاب نصوص كثيرة منها :

- المهدي رجل من أهل بيتي .

- المهدي من ولدي .

- المهدي رجل من ولدي .

- المهدي مني . المهدي رجل مني ومن عترتي .

- المهدي من ذريتي .

ص: 53

1- اللوقوف على هذه الروايات ومضامينها المتشعبة وما يتلوها ، يمكن مراجعة معجم أحاديث الإمام المهدي عليه السلام للعلامة الشيخ علي الكوراني .

- المهدي رجل من قريش من عترتي .

- المهدي شاب منا أهل البيت .

- المهدي قائم للحق منا .

- المهدي رجل من بني هاشم .

- المهدي رجل من قريش له اتصال برسول الله صلى الله عليه وآله .

- المهدي رجل من أمتي .

- المهدي اسمه إسمي .. وهو محمد ابن الحسن بن علي بن محمد ، بن علي ، بن موسى ، بن جعفر ، بن محمد ، بن علي بن الحسين ، ابن علي بن أبيطالب وفاطمة الزهراء بنت رسول الله عليهم السلام [النصوص كثيرة وشديدة الوضوح في ذلك](1).

وقد تواترت الأحاديث عن النبي صلى الله عليه وآله، أن المهدي حفيده ، وولده ، من إبنته فاطمة ووصيه علي بن أبي طالب عليهما السلام وأنه عليه السلام الإمام الثاني عشر من أهل بيته، وأنه ولد الإمام الحسن العسكري عليهما السلام وخاتم الأئمة الثاني عشر عليه السلام، وحجة الله على أهل الدنيا ..

نسبته من الإمام علي عليه السلام:

أطبقت النصوص على أن المهدي عجل الله تعالى فرجه شريف من ولد علي بن أبي طالب وفاطمة الزهراء . النصوص تقول : إنه من ذرية علي وفاطمة . من عترة

ص: 54

1- راجع الجزء الثالث من موسوعة الإمام المهدي عليه السلام للمؤلف . وكذا معجم أحاديث الإمام المهدي عليه السلام للعلامة الشيخ علي الكوراني .

علي ، من نسل علي ، من صلب علي ، من ذرية النبي من إبنته فاطمة وابن عمه علي ، وهكذا . النصوص مطبقة ومتواترة على أن المهدي عليه السلام وله النبي من إبنته فاطمة ، وابن عمه ووصيه علي بن أبي طالب عليه السلام ، وأنه الإمام الثاني عشر ، الذي يختم الله به الأئمة عليهم السلام ..

نسبته من السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام

أطبقت النصوص على أن المهدي عليه السلام هو من ذرية فاطمة الزهراء ، عبر ولدها الحسين الشهيد عليه السلام . الأخبار تقول : المهدي من ولد فاطمة ، بعضها الآخر يقول : المهدي من أولاد فاطمة ، من بني فاطمة ، من ذرية فاطمة .. وهكذا .. النصوص مفققة بالتواتر وباتفاق المسلمين جميعا ، سنة وشيعة ، على أن المهدي عليه السلام من ذرية : علي بن أبي طالب ، وفاطمة بنت رسول الله عليهم السلام ..

نسبته من الإمام الحسين عليه السلام:

تؤكد النصوص بتواتر كامل ، أن المهدي عليه السلام من ولد الحسين بن علي عليه السلام ، وأنه التاسع من صلب الحسين ، وتتكاثر النصوص التي تقول : إنه من الحسين : من ذرية الحسين ، التاسع من صلب الحسين . التاسع من أولاد الحسين . المهدي من الحسين .. وهكذا .. وهي مروية عند السنة والشيعة .

إذا المهدي عليه السلام - وباتفاق النصوص - هو حفيد النبي وحفيد فاطمة وعلي والحسين عليه السلام . وهو الإمام التاسع من ذرية الحسين ، والثاني

عشر في عدد الأئمة عليهم السلام .. وأنه هو الذي يخرج في آخر الزمان ، فيملأ الأرض قسطا وعدلا ، كما ملئت ظلما وجورا ..

خريطة القوى العالمية والقيم والمعالم في آخر الزمان

إشارة

[نفوذ الروم في ذلك الزمان]

ذكرت بعض الأحاديث أن الروم(1) هم أشد الناس على المسلمين ، إشارة إلى نفوذهم وقدرتهم وأساطيلهم مقابل ضعف المسلمين وهشاشتهم وانحرافهم ، وأن الساعة تقوم والروم أكثر الناس ، تأكيدا على حضورهم الكبير والنافذ في أحداث آخر الزمان(2). وأن المسلمين سيتبعون سنن الروم والفرس واليهود والنصارى(3). أي سيخضع المسلمون لنفوذ غربي ، سياسي ثقافي وسلوكي كبير ، يكون من آثاره تشبه المسلمين والمسلمات ، بأبناء الروم المنحرفين وبناتهن الفاسقات(4).. وفي هذا إشارة

ص: 56

1- الروم في النصوص مقصود منها : قوة ، أو قوى غريبة ، ذات أصل مسيحي على نهج الحملات الصليبية ، تعلن عدائها للإسلام. وتسميهم أخبار آخر الزمن بني الأصفر كما تسميهم بالروم وفي الرواية : « تقوم الساعة والروم أكثر الناس » (صحيح مسلم 4/2222) . وفي حديث آخر : « أشد الناس عليكم الروم ، وإنما ملكتهم مع الساعة ، (مجمع الزوائد 6/212) . أي في آخر الزمان وقيام المهدي عليه السلام ..

2- عقد الدرر : ص 46 ب 4 ف 1

3- عن النبي صلى الله عليه وآله قال «التبعن سنن من كان قبلكم شبرا شبرا ، وذراعا بذراع ، حتى لو دخلوا حجر ضب تبعتموهم ، قلنا: يا رسول الله ، اليهود والنصارى ؟ قال : فمن ؟ » الكنى والأسماء : ج 2 ص 30

4- عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال « .. لتركن سنن من كان قبلكم شبرا . حتى لو أن أحدهم دخل حجر ضب دخلتم ، وحتى لو أن أحدهم ضاجع أمه بالطريق لفعلتم». كما في الكنى والأسماء بتفاوت ، وفيها حتى لو أن أحدهم جامع امرأته بالطريق لفعلتموه « .! [فاعتبروا يا أولي الألباب ..] .

إلى نفوذ ثقافي، إعلامي، تربوي وغيره، يكون بيد الروم، كما هو دليل عميق على الضعف العنيف في جانب المسلمين، بحيث يبدو الوجه العام، كاشفا عن نفوذ الروم في السلوك والثقافة والأخلاقيات المختلفة آنذاك(1).

اختلاف الجيوش العالمية

صراع القوى في منطقة الشرق الأوسط، منطقة النفط الخليجي أولا)

على مستوى السياسة ومواقع الصراع والحرب، تتحدث النصوص عن أنه سيقع « اختلاف » بين الروم والترك(2)، قريبة من ظهور المهدي عليه السلام ما يعني أن خريطة «الصراع العالمي» ستكون متنوعة ومعقدة، خاصة أن الروم تحتل آنذاك موقعا في النظام الدولي يضعها في رتبة سابقة لغيرها، فيما الترك، تكون على موقع استراتيجي نافذ أيضا(3).

ويبدو للمتبع أن الترك - من ناحية موقعها - تكون أقرب للشرق، أو في مناطق ذات نفوذ، تحتاجه الروم في صراعها، لذلك تحالف الروم معها في أكثر من قضية تتعلق بالشرق الأوسط، وبالأخص المنطقة التي نطلق عليها اليوم « المنطقة النفطية ». ويبدو أن الروم والترك يتشاركان في أهداف محددة، تتقاطعها ضرورة إضعاف « دولة خراسان » في ظرف

ص: 57

1- غيبة الطوسي : ص 268

2- غيبة الطوسي : ص 268

3- ابن حماد : ص 92 ملاحم ابن المنادي : ص 44

وزمن محدد ، خاصة بعد « تحرير بيت المقدس » من قبل الخراسانيين ، ما يستدعي إعلان حلف كبير بين الروم والترك وجملة من قوى إقليمية(1)، تتدخل الروم على أثره بأشكال كثيرة في منطقة الشرق الأوسط(2)، منها الشكل العسكري .

فيما الترك تعلن حربا من طرفها ، ومن دون سابق إنذار ، على بلاد خراسان ، فتحتل جزءا منها، وذلك عبر استغلال وجود معظم القوة الخراسانية الإيرانية في مناطق الزحف الطويلة بين إيران وبيت المقدس بفلسطين ، الذي تحرره من اليهود الغاصبين ، ومع كل هذا يصمد الجيش الخراساني في فلسطين ، رغم تشكيل « حلف دولي كبير » يضم الروم ، والترك ، واليهود ، وجملة من بعض جيوش العرب ، خاصة الراية المغربية(3) ، إلى حين دعم الروم للسفياي ، الذي سيشكل حركة عسكرية قوية ، فيقلب

ص: 58

1- وعلى الأثر تنزل القوات الرومية على سواحل فلسطين لمساعدة الجيش اليهودي في هذه المعركة ، وفي الرواية : .. وتنزل الروم فلسطين ، (الغيبة للطوسي 278).

2- ابن حماد : ص 76

3- الدولة المغربية : تكون في المغرب العربي دون أن تحدد لنا الروايات موقعها الجغرافي بشكل تفصيلي ، تلعب هذه الدولة دورا إقليميا بارزا ، وتكون لها صلة بالروم ، أو دعم أو ولاء وشبه ذلك. المهم أنها تناصر الروم في أكثر من نضية ، وتكون على عداء كبير اتجاه الدولة الخراسانية . تحاول بكل طاقتها منع النفوذ الخراساني ، تقف مع الروم ، ومع اليهود ، ومع حاكم مصر المخلوع ، وتشارك في تحالف الجيوش التي تقاوم الخراسانيين في فلسطين . وحين تزحف نحو مصر وتدخلها يكون ذلك علامة على اختلاف الرايات في دمشق وقيام راية السفياي ، رواية عمار بن ياسر تقول : « يخرج أهل المغرب ، فينحدرون إلى مصر ، فإذا دخلوا فتلك إمارة السفياي ، ويخرج قبل ذلك من يدعو لآل محمد ، (عقد الدرر 46) وهدف دخول المغاربة إلى مصر يكمن في دعم الروم ، ومحاولة القضاء على نجباء مصر الإمامين ، على أنه تتنافس الراية المغربية مع راية السفياي ، ويكون الاختلاف على النفوذ ، بل يبدو من بعض المتون أن الراية المغربية يكون لها طمع في عرش دمشق ، كما تطمع في ثروة قرقيسيا. وتذكر بعض الروايات أن قائد الدولة المغربية اسمه عبد الله بن عبد الرحمن ، وأنه يلقب نفسه بأمر المؤمنين ، ويحاول إخضاع الدول العربية أو بعضها كلها لنفوذه لكنه يفشل خاصة مع هزيمته أمام السفياي ، وتكون علامة جيوشه في الحرب الرايات الصفراء .

على حاكم دمشق ، ويقا تل جملة من الرايات ، وينتصر عليها ، بدعم متعاضم من الروم (1). ومع هذا الحدث المفاجئ والتطور الإستثنائي ، مجرد السفيناني حملة عسكرية كبيرة، داعمة لبعض الجيوش العربية التي تقا تل الخراسانيين(2)، بالإضافة إلى الروم واليهود والترك ، ما يشكل تطورا في «الميزان العسكري» ، ورغم كل هذه القوى ، فإن الخراسانيين يصمدون بقوة في بيت المقدس ، إلى أن تتم مهاجمتهم من الترك بشكل مفاجئ حيث تحتل جزءا من الأراضي الخراسانية ، عندها يقرر الخراسانيون الإنسحاب من بيت المقدس ، فيعودون ليخوضوا أعنف معركة ضد الترك ، تصفها النصوص بشيء من التضحيات الكبيرة ، والثبات الهائل للخراسانيين .

على أنه قبل ظهور المهدي عليه السلام تكثر الحروب في الأرض ، وتكون العراق ، وسوريا ، مهذا لأكبر الحملات العسكرية التي تعلنها الترك والروم مع جمع من الحلفاء . وتنزل قوات كبيرة مختلفة الجنسية في العراق ، وتخوض معركة هائلة في منطقة قرقيسيا ، تتلاحم فيها جملة من القوى العسكرية طمعا في مال جوفي عظيم ، ينكشف عنه الفرات ، أي ناحية الفرات .

ص: 59

1- في رواية الشيخ الطوسي و يقبل السفيناني من بلاد الروم متنصرا ، في عنقه صليب ، وهو صاحب القوم ، [الغيبة للطوسي 278] . وفي نهاية مطاف حركة السفيناني يبدو أن التنصر عنوان داعميه وشرط رئيسي ، ففي رواية عن الإمام الباقر عليه السلام قال : « إذا قام القائم عليه السلام وبعث إلى بني أمية بالشام هربوا إلى الروم ، فيقول لهم الروم لا ندخلكم حتى تنتصروا ، فيعلقون في أعناقهم الصلبان ويدخلونهم ، فإذا نزل بحضرتهم أصحاب القائم ، طلبوا الأمان والصلح فيقول أصحاب القائم عليه السلام: لا تفعل ، حتى تدفعوا إلينا من هرب قبلكم منا ، قال : فيدفعونهم إليهم ، [البحار 377/52] .

2- ابن حماد : ص 59

وعلى أثر أحداث حربية عنيفة ، وتجييش الجيوش ، وفتن متتقلة ، وخط عسكري متعرج في منطقة الشرق الأوسط، وبالأخص منطقة النفط الخليجي ، تنزل قوات الروم في العراق ، وكذلك في فلسطين ، وقرب دمشق ، ويمنع الروم أهل الشام الدينار والمد . إشارة إلى الحرب العسكرية وتدايعات اقتصادية كبيرة ، وضغط معيشي هائل، في ظل حلف دولي كبير ، نوائه الرئيسية الروم .. ويبدو واضحاً من الروم ، إعلانها الحرب على الإسلام والمسلمين ومناطقهم وثوراتهم الجوفية .

حرب الثروة الجوفية

تحدثت النصوص العديدة ، عن حرب كبيرة تقع بسبب مال ، مال جوفي ، معدن ، ذهب(1) ، وما إلى ذلك من العبارات التي يراد منها التعبير عن مال عظيم ، يدفع جيوشة دولية ، وأخرى إقليمية ، لخوض حرب وصفت با « الملحمة » طمعا في السيطرة على هذا المال الذي ينكشف في الفرات . ما يشير إلى حرب « ثروة جوية » تكون سببا في حرب الروم ، وحلفاءها على منطقة الخليج ، بل منطقة الشرق الأوسط فيما بعد ، على اعتبار أن النصوص تؤكد أن الحرب تبدأ لأسباب مهمة ، منها سبب كبير يتعلق بثروة جوفية في العراق ، ثم تتوسع لتشمل منطقة الشرق الأوسط(2).

ص: 60

1- عبد الرزاق : ج 11 ص 382 ح 20804 ابن حماد : ص 92

2- عقد الدرر : ص 90 - 99 ب 4 ف 2

غربة الإسلام في [العالم الفاسد ، ودولة خراسان ، وباقي الجيوب]

تؤكد النصوص « غربة الإسلام » في آخر الزمان ، وأن الإسلام يعود غريبة كما بدأ ، لكن هذا لا يعني عدم وجود أي دولة إسلامية مطلقا . بل النصوص تؤكد بشكل مسهب على وجود دولة إسلامية ، هي دولة خراسان الإمامية ، التي تجاهر بالولاء لآل محمد عليهم السلام وتصبر على تطبيق الإسلام ، وتبذل جهدا كبيرا بسبب تعلقها بالإسلام ، ومع ذلك تصر على خيارها الإسلامي ، وتهين نفسها لتكون دولة قوية في ذلك العالم الظالم ، لتدافع عن شرعتها ، وما تتمسك به ، فتحوز في سبيل ذلك قوة رهيبه ، هذه القوة

بها في سكة دولة عظمى على مستوى ما نطلق عليه اليوم إسم « منطقة الشرق الأوسط » ، بل دولة مرهوبة الجانب على المستوى العالمي . هذا ما تؤكد جملة من النصوص .

لكن في المقابل : النصوص الشريفة تؤكد على « غربة الإسلام » في ذلك العالم ، بل على غربته في كثير من الدول الإسلامية ، التي تعزل الإسلام عن مجتمعاتها ، ومواثيقها ، وشرائعها ، وأخلاقياتها وقطاعاتها(1) .. حتى يصبح الإسلام أشد غربة(2) ، وفي بعض النصوص : القابض على دينه

ص : 61

1- صفة المهدي لأبي نعيم : على ما في عقد الدرر . * أربعون أبي نعيم على ما في كشف الغمة ، وغاية المرام ، وحلية الأبرار . عقد الدرر :

ص 62 ب4 ف1

2- ابن حماد : ص 28

كالقابض على الجمر ، أو الشوك ، دلالة على المعاناة الفظيعة التي يعانها المتمسكون بالإسلام(1) في كثير من بقاع أهل الدنيا بما فيها بلاد أهل الإسلام.

وفي النصوص أن الذين ينحسر(2). وفي بعض الأوقات تضيق الدنيا على المسلمين ، خاصة قبل ظهور المهدي(3) عليه السلام. ثم يعيش المسلمون محنة أخرى زمن الدجال ، ففي زمنه وفي بعض الأوقات من تلك الفتنة : الاسلام يأرز إلى مكة والمدينة . إشارة إلى أول قوة الدجال وفتنته التي تحاول دخول مكة والمدينة فلا تستطيع ، عندها تطلب القدس بهدف قتل المهدي عليه السلام، وهناك تكون نهاية الدجال . على أن دولة المهدي عليه السلام تكون قد قضت على جبهة الروم قبل فتنة الدجال ، ووصلت جيوش المهدي عليه السلام إلى غرب الأرض .

تحالف القوى العالمية على الإسلام

تشير النصوص بوضوح إلى تحالف العديد من القوى العالمية في آخر الزمان على الإسلام ، في ظل خرائط شديدة التعقيد ، وضمن مسارات دبلوماسية وسياسية واقتصادية وثقافية وغيرها، تقودها قوى معادية للإسلام . لتؤكد النصوص أن المهدي عليه السلام هو الذي يقيم أمر الإسلام في

ص: 62

1- أحمد: ج 4 ص 273

2- أحمد: ج 5 ص 251

3- عبد الرزاق: ج 11 ص 345346 ح 20179

بلاد العرب والمسلمين والعالم كله ، ثم تخصص دولة خراسان التي تبقى على الإسلام ، وتقيم أمر الإيمان في آخر الزمان ، وتلفت إلى أن الموطنين الخراسانيين يمهدون للمهدي عليه السلام سلطانه .

وفي وقت من الأوقات تشتعل نار العرب بأعرابها ، حتى يقاتلوا الروم .. وأن العرب تعود لتصف مع المهدي عليه السلام بعد هزيمة السفيناني على يد المهدي عليه السلام . نعم هناك قوم من العرب ، يقفون مباشرة مع الإمام المهدي عليه السلام ، بل أتباع اليماني يعلنون مباشرة ولائهم للمهدي عليه السلام ،

فيما أبدال الشام ، ونجباء مصر ، وعصائب العرق ، أصلا يكونون حركات عريقة وهامة ، تدعو لآل محمد عليهم السلام وينادون بالمهدي سلطانا للأرض ، وهذه الرايات تنتزل على سلطان الخراساني الذي يوطى للمهدي سلطانه (1).

ص: 63

1- رايات أهل الدين والإيمان في عصر الظهور خاصة التي تصل بظهور المهدي عليه السلام هي كالتالي : * راية أهل خراسان (إيران) وهي بمثابة قطب الرحى للرايات الأخرى . * راية الأبدال المقاومين لليهود في بلاد الشام والمشاركين في تحرير بيت المقدس وجملة من التطورات المهمة . * راية العصائب العراقيين والتي تشكل نفوذا مهما في العراق . * راية النجباء المصريين الذين يكادون أن يستلموا الحكم . * ثم في زمن الظهور الشريف تقوم راية المناصرين للمهدي عليه السلام في اليمن ، وهي راية مهمة ، تغير ميزان القوى ، ويكون لليماني قيمة مهمة للغاية بل يكون على اتصال بالمهدي في الظهور الخاص . ويبدو بوضوح أنه راية خراسان ، هي أول راية ظهورا ، ولقد بشر بها الرسول صلى الله عليه وآله في مشات الأحاديث المروية عند السنة والشيعنة منها قوله صلى الله عليه وآله : « يخرج قوم من الشرق ، يوطنون للمهدي عليه السلام سلطانه » (مجمع الزوائد 7/318). على أن قادة الراية الخراسانية كلهم من قریش من بني هاشم ، والمشار إليه في النصوص من قادتها أربعة هم: قائد ثورتهم الفقيه العالم الذي يقود قيام هذه الراية . والسيد الخراساني ، والسيد الحسنی . وهؤلاء من ذرية أهل البيت عليهم السلام . في حين شعيب بن صالح تميمي قرشي . وفي الرواية « إذا ظهرت راية الحق لعنها أهل المشرق والمغرب ، أتدري لم ذلك ؟ فقال الراوي : لا ، فقال عليه السلام : للذين يلقي الناس من أهل بيته قبل خروجه ، (الغيبة للنعمانی 299) . وفي رواية الإمام الباقر عليه السلام « إذا رفعت راية الحق لعنها أهل المشرق والمغرب ! قيل له : مم ذلك ؟ قال عليه السلام : مما يلقون من بني هاشم قبله ، (المصدر السابق) . إشارة إلى قادة هذه الراية الهاشميين .

ومع المهدي عليه السلام تنضم فرق من العرب كانت على غير موقفها معه ، وأن العرب تهتدي بالمهدي عليه السلام ، وأن أهل المدينة الذين يعلنون ولاءهم للمهدي عليه السلام يشاركون مع المهدي عليه السلام في قتال الروم في الملحمة الكبرى . على أن هذه الملحمة الموعودة تكون بعد ملحمة المسلمين مع الترك ، وبعد جملة من التطورات الإقليمية والدولية . وتكون عندما يملك العتيقان عتيق العرب وعتيق الروم .

وأن منطقة : الحجاز ، العراق(1)، بلاد الشام ، خراسان ، وأطراف هذه المنطقة ، كلها تعلن الولاء للمهدي عليه السلام ، بعد سلسلة من أحداث وصدامات وتطورات ، أهمها : انتصار أهل خراسان على العباسيين والسفليانيين في العراق ، وانتصار المهدي عليه السلام على السفلياني في معركة طبرية . على أن « القوى الكبرى » في العالم آنذاك ، وهي قوى تعلن عدائها للإسلام ،

ص: 64

1- هناك روايات تشير إلى قيام الدولة العباسية في آخر الزمن ، ثم طغيانها وانتقامها في أوقات محددة من أتباع أهل البيت، ثم انهيارها بقوة هائلة على أيدي الخراسانيين من أتباع أهل البيت عليهم السلام. ففي الرواية عن الإمام علي عليه السلام قال : ولا تقوم الساعة حتى تقف عين الدنيا ، وتظهر الحمرة في السماء ، وتلك دموع حملة العرش على أهل الأرض ، حتى تظهر عصابة لا خلاق لهم .. أي يوم للمخبتين بين الأنبار وهيت ، وذلك يوم فيه صيلم الأكراد والشراة ، وخراب دار الفراعنة ومسكن الجبابرة ، ومأوى الولاة الظلمة وأم البلاء وأخت العار ، تلك ورب علي يا عمر بن سعد بغداد .. إن لبني العباس يوماً كيوم الطموح ، ولهم فيه صرخة كصرخة الحبلي ، الويل لشيعة ولد العباس يوماً من الحرب التي تفتح بين نهاوند والدينور ، تلك حرب صعاليك شيعة علي ، يقدمهم رجل من همدان اسمه على اسم النبي صلى الله عليه وآله منعوت موصوف باعتدال الخلق وحسن الخلق ونضارة اللون له في صوته ضجاج وفي أشفاره وطف ، وفي عنقه سطح ، أفرق الشعر ، مفلج الثنايا ، على فرسه كبدر تمام إذا تجلى عند الظلام ، يسير بعصابة خير عصابة أوت وتقربت ودانت لله بدين تلك الأبطال من العرب ، الذين يلحقون حرب الكريهة والديرة يومئذ على الأعداء ، إن للعدو يوم ذاك الصيام والإستئصال ، (الغيبة للنعماني (147)

تتحالف ضمن نواة، يبدو أن الروم عمقها المركزي، من أجل السيطرة على بلاد المسلمين، ولأجل هذا الهدف تتحالف الروم مع الترك ضد المسلمين ..

وهنا تجدر الإشارة إلى أنني « قوى العالم الظالمة » تكون كثيرة، إلا أنها ليست جميعا تعلن الحرب على المهدي عليه السلام في وقت واحد، ف- « يأجوج ومأجوج » يترثون في إعلان حربهم حتى يعتبرون آخر الجبهات في إعلان الحرب (1).

ص: 65

1- وفي الرواية قال: « فعند ذلك خروج يأجوج ومأجوج . قال : فيوحى الله عز وجل إلى عيسى عليه السلام (وزير جبهة المهدي) أحرز عبادي بالطور طور سنين . قال حذيفة : قلت يا رسول الله : وما يأجوج ومأجوج ؟ قال : يأجوج أمة ومأجوج أمة ، كل أمة أربع مائة ألف أنة ، لا يموت الرجل منهم حتى ينظر إلى ألف عين تطرف بين يديه من صلبه . (إشارة إلى أمة ضخمة ، تعدادها السكاني كبير جدا ، لديها من الجند والأتباع الكثير .. يبدو من النصوص الأخرى إشارة أن لديهم من وسائل الحرب في البر والبحر والفضاء ما يدفعهم إلى شن حرب يتقاتلون فيها مع أمة ضخمة ويكون إنتصارهم بعد حرب تجري في الفضاء فيقولون : غلبنا أهل الأرض ، ثم يتجهون لقتال المسلمين) ، قال : قلت يا رسول الله ، صف لنا يأجوج ومأجوج ؟ قال : هم ثلاثة أصناف ، صنف منهم أمثال الارز الطوال ، وصنف آخر منهم عرضه وطوله سواء عشرون ومائة ذراع في مائة وعشرين ذراعا ، وهم الذين لا يقوم لهم الحديد، وصنف يفترش إحدى أذنيه ويلتحفه بالآخرى . (مما لا شك فيه التعابير هنا مجازية ، استعارة ، كناية ، للإشارة إلى فئات مختلفة الأوصاف من حيث العدة والعدة والقدرات ، بعضهم لا يقوى عليهم إلا بقوة إستثنائية ، وبعضهم الآخر أقل قدرة من ذلك ، وهم متسلحون بأدوات ممانعة .. هذا ما يريد النص أن يشير له ، وهو الذي يضمن لهم ربح معركة تعتبر قياسية بالنسبة لهم فيقولون : غلبنا أهل الأرض ثم يتجهون لقتال المسلمين) ، قال حذيفة : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : يكون جمعا (كذا) منهم بالشام ، وساقتهم بخراسان ، (إشارة إلى عددهم الكبير) ، يشربون أنهار المشرق حتى تيبس (تعبير عن حركتهم وسيطرتهم على الماء وعددهم الكبير الذي يهدد الموارد المائية في تلك النقطة بالخصوص) ، فيحلون بيت المقدس (وهذا يعني انه خريطة الإنتشار العسكري لهؤلاء واسعة ، حيث يخوضون حرية ضخمة مع أمة غير مسلمة فينتصرون فيها ، ثم يتجهون نحو الشرق لقتال المسلمين ، ويدخلون بيت المقدس ، ولا أدري إن كانوا يدخلونها حربا أو سلم أو معاونة لجبهة تكون هناك) وعيسى والمسلمون بالطور (لا بد من تنقيح النصوص والتركيز على أن عيسى بن مريم عليه السلام يكون وزير جبهة الإمام المهدي عليه السلام ، في حين يكون المهدي القائد الذي يخوض حروب الإنتصار ، ومن غير البعيد أن الراوي هنا استبدل إسم المهدي عليه السلام بإسم عيسى بن مريم عليه السلام ، وهذا الأمر غير خفي لمن اطلع على مجموعة من النصوص لا يمكنها طمس معالم المهدي فحاول دس بعض العبارات التي تعطي الأدوار لغيره ..!) ، فيبعث عيسى طليعة يشرفون على بيت المقدس ، فيرجعون إليه فيخبرونه أنه : ليس ثرى الأرض من كثرتهم ! ، قال : ثم إن عيسى يرفع يديه إلى السماء فيرفع المؤمنون معه ، فيدعون الله عز وجل ويؤمن المؤمنون فيبعث الله عليهم دودا يقال النغف ، فتدخل في مناخرهم حتى تدخل في الدماغ ، فيصحبون أمواتا . قال : فيبعث الله عز وجل عليهم مطرا وابلا أربعين صباحا ، فيغرقهم في البحر » [جامع البيان ، الطبري : ج 15 ص 17 ابن أبي حاتم : على ما في الدر المنثور * الطبراني ، الاوسط : على ما في مجمع الزوائد . * الكامل ، ابن عدي : ج 6 ص 21772178 بعضه ، كما في الداني ..

فيما قوى أخرى، ترى في الصدامات بين الروم والمهدي عليه السلام فرصة لإنهاك الطرفين ، لذا تنتظر ، بهدف تأمين ميزان قوة لصالحها ، بهدف التمدد في العالم ، لكن الإنتصارات الضخمة التي يحققها المهدي عليه السلام تغير ميزان القوة في العالم .

المهدي عليه السلام يبعث بقتال الروم

تذكر النصوص أن المهدي عليه السلام بعث بقتال الروم . إشارة إلى عداوتهم للإسلام ، ونفوذهم الكبير ، وانتشارهم الواسع في البلدان ، وإصرارهم على أن يكون لهم قرار تنظيم العالم أوقيادته . وفي بعض النصوص تتحدث عن أن هلكة الروم مع الساعة . إشارة إلى تمركزهم وجبروتهم القوي وانتشارهم الهائل ونفوذهم المتعظم ، الذي لا ينقضي إلا مع ظهور الإمام المهدي عليه السلام الذي هو والساعة قريبان جدا ، كما في دلالات النصوص الكثيرة . على أن القرب الزمني نسبي ، لعدم معرفتنا بوقت الساعة .

ص: 66

المهدي عليه السلام وحجج الله الظاهرة

تؤكد الروايات أن المهدي عليه السلام يظهر في آخر الزمان ، بعد غيبة طويلة ، والحجج جلية ظاهرة بين يديه ، فيحتج على كل أهل دين بدينهم ، وعلى كل ملة بحجتهم ، وعلى أهل الكفر والزندقة بالعقول القاطعة والمعجزات ، وترى الناس الحجة ساطعة ، والبراهين الواضحة ، فور صيحة أهل الكفر والنفاق ، وأجج نار الفتنة والحروب ، لتمنع المهدي عليه السلام من بيان أمر الله وهديه .

وتذكر المتون أن المهدي عليه السلام يستخرج التوراة والإنجيل من غار بأنطاكية ، فيحاجج اليهود والنصارى بهما . وأنه يبعث إلى تلك الغار عشرة أشخاص لاستخراجهما . ويظهر من تراث النبيين موسى وعيسى عليهما السلام ما يحجج العقول ، ويثير ذوي الألباب ، فتثور ثائرة الروم وحلفاءها ، غربا وشرقا ، لمنع المهدي عليه من بيان حقيقة الدين ، وكتب المرسلين .

وتخبرنا الأحاديث أن قسما من النصارى واليهود يعلنون الإسلام، في ظل تعاظم الحجج . لكن النصوص بالمقابل تؤكد سطوة الإعلام الرومي ، وفساد كثير من الناس ، وتعاظم الفتك الثقافي والدعائي للروم وحلفاءها الدوليين والإقليميين الذين يدلسون في مجالات هائلة على أهل العالم ، فيما كثير من الناس ، يصرون على الباطل ، ويفاخرون بالآثام . حتى

الصيحة السماوية بالمهدي عليه السلام يجابهونها بصيحة من الأرض ، مضادة معاندة ، بهدف إبطال مفعول الإعجاز السماوي المبين .

الهدنة مع الروم وانقلاب الروم عليها

تذكر مضامين النصوص ، أنه مقابل خطوط الحرب الملتهبة ، هناك خطوط سلام ، وهدنة ، وصلاح ، ودعوة ، ودبلوماسية وشبه ذلك ، مثلاً تحدثنا الأخبار المروية أن المهدي عليه السلام يعقد هدنة مدتها « سبع سنوات » مع الروم ، لكنهم يتحينون الفرصة فيغدرون ، وينكثون الهدنة ، ويعلنون الحرب على المهدي عليه السلام بعد أن يتخلصوا من خصم كبير وهو الترك،

ثم ينزلون ما بين صور إلى عكا ، في حملة حربية هائلة ، يراد منها توجيه ضربة قاضية لجبهة المهدي عليه السلام ، على أن ذلك يحدث في وقت متأخر عن هزيمة السفيناني على يد المهدي عليه السلام في معركة طبرية التي ذكرتها النصوص . ويكون وقته بعد هزيمة الترك على يد دولة المهدي والروم بعد الصلح بينهما والحملة العسكرية المشتركة لهزيمة الترك. فإذا أمنت الروم جانب الترك، قررت التخلص من دولة المهدي عليه السلام، فتغدر بجماعة من جيش المهدي عليه السلام ثم تبدأ الإعداد لحملة عسكرية ضخمة جداً ، تقصد بها الشرق ، وبالأخص ما بين صور وعكا. وكأنها تريد أن تحتل القدس من جديد. .

تشير النصوص إلى محاولة من الروم واليهود ، للتستر بالعقيدة الدينية ، والإختباء وراء المسيح عليه السلام، وذلك بعد نزوله « الإعجازي » من السماء ، ومعلوم أن المسيح عليه السلام ينزل من السماء بإذن الله تعالى في فترة متأخرة نسبيا عن أول الظهور ، فهو ينزل بعد خروج الدجال بفتنه المشهورة . لذا في بعض الروايات هو الذي يقود جيش المهدي عليه السلام لقتال الدجال ، الذي يمزق جيشه وينهي حركة الدجال بشكل هائل ..

ومع نزول المسيح عليه السلام تبعث الروم واليهود - إلى المسيح عند نزوله من السماء لنصرة الامام المهدي - يريدون منه أن يقف معه لقتال المهدي عليه السلام ، فلا يقبل عرضهم ، بل يحتج بالمهدي عليه السلام عليهم ، وعلى نصارى الروم والصين ، وغيرهم من نصارى ويهود العالم ، وملل أهل الأرض كلهم . ويبدو واضحا أن المسيح عليه بما يملك من إعجاز وحجة ربانية كبرى ، وهو يحتج على النصارى واليهود وغيرهم . فمنهم من يؤمن ومنهم من ينكر ويصر على تعبئة الحرب على دولة المهدي والمسيح عليهما السلام..

وفي بعض ما لدينا من معلومات روائية إجمالية ، فإن طبيعة الحدث العالمي آنذاك ، تأتي بعد سلسلة كبيرة من التطورات ، منها « خسارة الروم » المعركة الفاصلة والضخمة بوجه المهدي عليه السلام، الذي يخوض بوجهها

معركة نهائية في مركز قرارها وعاصمتها السياسية (1)، وذلك بعد جملة من حروب روما التي تزحف من الغرب نحو الشرق ، ثم تتراجع من الشرق نحو الغرب .. الروايات تحدثنا عن « الملحمة الكبرى » بين الروم والمهدي عليه السلام التي يهزمهم المهدي على أثرها ، ثم يتوجه بجيشه إلى بلادهم ، فيفتح روميه وما وراءها . وفي حديث أن المسلمين يتوجهون إلى بلاد الروم من عكا .

إلا أن خريطة الروايات التي تتحدث عن «قوى العالم» ، تظل تشير إلى « تعدد قوى دولية » مناهضة للمهدي عليه السلام، فبعد مدة - بعض الروايات تحددتها بالأشهر وروايات أخرى تحددتها بالسنين - تخرج راية الحرب التي يقودها « الدجال » . واللافت في هذه الراية التي يتصدرها اليهود بزعامة الدجال ، أنها لا تخرج من فلسطين ، وهي قطعاً لا تخرج من بيت المقدس ، بل تخرج من منطقة أخرى ، هناك طائفة من الأخبار يستفاد من لوازمها أن تلك الراية تخرج من منطقة الإتحاد السوفياتي السابق .. يعني من منطقة أوروبا الشرقية أو بعض نواحي آسيا الوسطى أو جنوبها ، والأرجح أوروبا الشرقية ، لأن لسان المضامين يؤكد بطريقة وأخرى طابع معسكر الكفر وليس أهل الإسلام رغم إمكان أقل للإطلاقات ، المهم أنها تخرج بعيداً عن فلسطين ، التي تكون بيد جيش المهدي عليه السلام.

ص: 70

1- لقد ذكرت معركة لافتة جداً في أصول أهل الكتاب هذه المعركة لها ملامحها الواضحة في مصادر النصوص عن النبي ، وهي معركة ستقع في المستقبل . قال أهل الكتاب عن أطرافها : ستكون هناك فوتان متضاربتان متنافستان على مركز السيادة على العالم ، دول غرب أوروبا، والآشوري ، [تفسير حزقيال . فكري : 231 ، تفسير دانيال . حنا: 139]

والذي لا بد من الإشارة إليه حول راية الدجال ، أن رايته اليهودية ، تكون « تحالفنة » أو مكونة من عدة قوى ، منها فلول الروم ، وقوى أخرى تريد استتصال جبهة المهدي عليه السلام. وتؤكد بعض الأخبار المروية أن بعضا من المسلمين المنحرفين ، يخرجون مع هذه الراية ، طمعا بالمنافع والأرزاق ، كما أن الروم المنهزمين على أثر الملحمة الكبرى مع المهدي عليه السلام ينضون تحتها ، وكذلك تتحالف معها قوات من تلك المنطقة التي تخرج منها ، إلا أن القيادة العليا تكون للدجال ، وصف قيادته الأول المشكل من اليهود (1)..

وتحدثنا طائفة من الروايات عن «مسارات حرب» هذه الراية اليهودية التي عاد بناءها على يد الدجال ، حيث تنساب من منطقتها - السوفياتية كما نسميها اليوم - إلى قسم من الأراضي الإيرانية التي يكون معظم جيشها مرابطين في الغرب وغيره (2) بعد الانتصار الكبير الذي يحققه جيش المهدي عليه السلام على روما ، ثم تجتاح قوة الدجال إلى جزء من مناطق دولة الإمام المهدي عليه السلام تبدأ بجزء من الأراضي الإيرانية كمعبر نحو الخليج ، ثم تحاول دخول مكة والمدينة ، ثم القدس (3). لكنها تفشل في

ص: 71

1- قيل : قبل خروج الدجال تكثر الزلازل والبراكين ، وتجف الأرض مما فيها ، فيكون لهذا الجفاف أثر على الزراعة والصناعة وحاجات الإنسان المتنوعة . عندها تجول الذئاب البشرية وهي تمزق جسد الضعفاء للسيطرة والنهب .

2- للوقوف على هذا الموضوع واشترك الخراسانيين في حرب الأعماق والملحمة ، وغيرها ، يمكن مراجعة كتابنا نهاية أحداث التاريخ البشري ، ويمكن مراجعة جملة من التعليقات أيضا حول الأشوري ، الفارسي ، وأصحاب الرايات السود وشبه ذلك أيضا في نفس الفصل الأول من الجزء الأول .

3- وعن خروجه بين الشام والعراق ، يعني أنه يأتي من الخارج من مرو ، ويتجه نحو الشام ، فيفسد يمنا وشمالا .. وقد اطلق اسم الشام في فترة ما على سوريا ثم تم تقسيمها إداريا كما قال ابن الفقيه الهمذاني : أحياء الشام أربعة : حمص ودمشق وفلسطين والأردن [مختصر كتاب البلدان . ابن الفقيه] . وبعد احتلال فرنسا لدمشق طبقت إتفاقية سايكس بيكو على بلاد الشام ، وفرض الإنتداب الفرنسي على شمال الشام وقسموه على كيانين هما سوريا ولبنان . وفرض الإنتداب البريطاني على جنوبه وقسمه على كيانين هما الأردن وفلسطين . ودون اشام تلتقي مع العراق فيما يسمى بدول الهلال الخصيب ، فإذا وضع الهلال على الخريطة يبدأ طرفه الشرقي في حوض دجلة والفرات ثم ينحرف إلى الغرب ليضم سوريا ولبنان ثم ينحرف على الجنوب ليشمل فلسطين والأردن [أجمع المؤرخون على أن الأردن وفلسطين هما جنوب الشام] .

اختراق مكة والمدينة والقدس . فيما جيش الإمام المهدي عليه السلام في ذلك الوقت يكون قد وصل إلى أعماق الغرب ، لذلك يستغل الدجال والقوى المتحالفة معه هذا الانتشار الواسع لينقض على مركز القيادة في الشرق ، وبالأخص على منطقة تواجد الإمام المهدي عليه السلام ،

ويبدو من النصوص أن للمهدي عليه السلام جملة من مراكز قيادة عسكرية تتصل بضرورات الواقع والحروب ، فضلا عن اتخاذه مقار دينية في القدس ومكة والمدينة ، بالإضافة إلى إعلانه الكوفة عاصمة دولته الإلهية ..

على أن جبهة الدجال يبدو أنها تنمو وترعرع وتتأسس وتخرج من منطقة تقع ضمن دائرة المرئع السوفياتي(1)، ما يعني - لو صحت الروايات - اتخاذها موقعمتصلا بأوروبا من جهتها الشرقية ، وآسيا الوسطى من جهة أخرى أو بعض النواحي الكافرة وأشباهها . في حين الملاحظة الأكيدة : أن

ص: 72

1- وفي بعض المتون : « يخرج المسيح الدجال من «مرو، من يهودينها» ، (نعيم بن حماد كنز 14/599). ومرو تاريخيا تقع داخل «الحدود السوفياتية، ضمن إقليم « تركمانستان». ورغم ضعف الحديث ، بل في مثل هذه الروايات خلل ما، ومع ذلك يمكن نظرية أن يكون خروج الدجال من ناحية الإتحاد السوفياتي ، حيث يعيد الدال تشكيل قوة جبارة ، اعتمادا على مجموع قوى يكون لفلول روما وأحلافها دور رئيسي فيها ، على أن اليهود يشكلون الأبرزبل رمز القيادة مع الدجال اليهودي .

الدجال يزحف من خارج فلسطين (1)..!(2) وتؤكد طائفة من النصوص ظهورا متناميا للدجال(3)، وفشلا ذريعا في دخول مكة والمدينة ، ومحاولة كبيرة وفاشلة لاحتلال القدس(4).. كما شكل « هزيمة روما » من قبل ، أعنف ضربة لقوى الشرق والغرب ، من هنا تعمل هذه القوى جاهدة لإعادة تجميع قوات ضخمة لمهاجمة المهدي(5).. في بعض المتون : يهجم الدجال على بعض أراضي دولة المهدي عليه السلام من الشرق - وحسب رواية

ص: 73

1- كما يبدو من لحن طائفة ضعيفة : نحو من تجزأة في فلسطين . أو نواحيها. حسب هذه الطائفة يبدو أن هذا التموضع اليهودي يكون متجددا مع ظهور الدجال . ففي الحديث : « .. يقاتل بقيتكم المسيح الدجال على نهر الأردن أنتم شرقية وهم غربية .. » [رواه الطبراني والبخاري وابن سعد. وقال خزعم ولا أدري أين الأردن يومئذ (كنز 14/327) الزوائد 7/348] . وفي رواية ثانية : « أنتم غربي النهر وهم شرقية .. » وفي رواية أخرى : « معقل المسلمين من الملاحم دمشق ، ومعقلهم من المسيح الدجال بين المقدس ، ومعقلهم من يأجوج ومأجوج الطور » (ابن أم شيبه (كنز 38646)]. إشارة إلى تموضع تتخذه قيادة الدولة الإسلامية في ظل ظروف مختلفة من الحرب والملاحم .. إلا ان تمامية السند في مثل هذه الطائفة ذات « الإشارة التقسيمية » غير ملحوظة هنا . وعلى سبيل التسليم التاريخي : فإن أهمية الرواية أنها تشير إلى وضعية بسط دولة المهدي عليه السلام سلطتها على فلسطين (وهذا أمر قطعي في النصوص المعتمدة) . ثم تؤكد على وصف تموضعي أو شبيه بذلك أو هدف افتراضي لليهود في جزء منها ، يبدو أنه يتجدد زمن الدجال .

2- مثلا أصبهان يخرج منها ثلثة من اليهود لملاقاة الدجال ، وهو ينحدر صوب بعض أرض إيران قادما من الداخل السوفياتي أو روسيا . وقيل : اليهود يعرفون أصبهان منذ سبي بابل .

3- لكن غالب هذه النصوص ضعيفة السند . نعم بالجملة يمكن القول بأن الدجال يشكل خطورة متقدمة وتأثيرا مباشرا وفتنة جديدة .

4- نجد في الروايات أن سوريا والأردن ولبنان لهم أدوار لافتة في أحداث آخر الزمان ، أما فلسطين فالجزء الذي تقع فيه القدس يكون تحت القيادة الإسلامية وقت خروج الدجال . أما الجزء الآخر يقول النبي صلى الله عليه وآله : « .. يقاتل بقيتكم المسيح الدجال على نهر الأردن ، أنتم شرقية وهم غربية .. » . [رواه الطبراني والبخاري وابن سعد (كنز 14/327) الزوائد 7/348] وفي رواية أخرى : « أنتم غربي النهر وهم شرقية . » معقل المسلمين من الملاحم دمشق ومعقلهم من المسيح الدجال بين المقدس ومعقلهم من يأجوج ومأجوج الطور » (ابن أم شيبه (كنز 38646)].

5- وهل يستفيد الدجال من قواعد عسكرية رومية تكون منتشرة في الأرض ..؟ أم من قوات حليفة ..؟ أو من أنظمة يكون لليهود فيها نفوذ ..؟ أم من أنظمة تتقاطع مصالحها مع الروم واليهود وتتعارض مع قيم ومواثيق دولة المهدي ..؟ تبدو هذه الاحتمالات ممكنة جدا ، سواء كانت مستقلة أم منضمة بعضها إلى بعض ..

ضعيفة سندا - يحتل جزءا من أراضي إيران . الرواية أشارت إلى « كرمان » أي يحتلها ويحتاز منها إلى غيرها متجها نحو الخليج ثم بلاد الشام ، مستغلا بذلك إنتشار القسم الكبير من جيش الخراساني في رومية والمناطق الأخرى التي بسطت دولة المهدي سلطتها عليها حديثا (1)...

وتخبرنا بعض الأحاديث عن أن جيش الدجال مزود بسلاح وأدوات حرب متقدمة وجيش كبير . وأنه يكون له سطوة في أول أمره . على أن أكبر هم الدجال يكون في ترويج الفساد والشعوذة ، وإثارة الباطل ، وتعظيم الإنحراف ، والخروج على الأخلاقيات ومعالم الدين ، وبث الظلم والطغيان والنفاق ، في ظل أزمة تنوء بها نواحي مختلفة .

هذا يعني أن « مسارات الحرب » تعود إلى الشرق الأوسط ونواحيه ، عبر تجميع « قوة تحالفنة » من الروم ، ويبدو أيضا من الترك الكفار ، وجملة من المسلمين المنحرفين وغيرهم من الناس فضلا عن اليهود الذين يقودون هذه الراية . وفي ظل مرحلة يبدو - من طائفة مروية - أنها « حرجة » حيث تطال جملة من مناطق يضمها شريط جزء من بلاد الخليج ، ثم محاولة فاشلة

ص: 74

1- بعض المتون صريحة في أن جيش الخراساني يشارك بقوة في حرب المهدي عليه السلام ضد رومية . ويكون تحت قيادة المهدي عليه السلام . ما يعني أن الدجال - حسب تلك الرواية الضعيفة سندا - يستغل هذا الأمر ويدخل كرمان ، ثم يتوجه منها إلى مناطق أخرى نحو الشام والحجاز . وفي حديث النبي صلى الله عليه وآله : « يكون للمسلمين ثلاثة أمصار : مصر بمصر بملتقى البحرين ، ومصر بالحيرة ، ومصر بالشام » [أحمد وأبو يعلي وابن عساكر (كنز 38829) ، الحاكم (4/478) ، الطبراني ، الزوائد 7/342] ، أي يكون للمسلمين ثلاث مناطق رئيسية قريبة من الصراع : مصر بملتقى البحرين ، وهو الذي بين خليج فارس والبحر الأحمر ، أي الجزيرة القريبة . ومصر الحرة ، وهي كما في عقد الدرر : محلة نيشابور بإيران وتشمل جزءا من إيران والعراق . ومصر بالشام وهو بلاد الأردن وسوريا وفلسطين ، بما فيها لبنان . تدخل هذه في معاركها ضد الدجال .

باتجاه الحجاز ، ثم يصوب ناحية بلاد الشام ، وربما بعض المناطق الأوسع منها(1) ، وفي لحظة مهمة للغاية ، يتجلى الإعجاز الرباني العظيم ، بنزول المسيح عليه السلام إلى الأرض ، فينتشر خبره ، وتظهر الحالة الإعجازية لهذا النزول ، ويتحدث بها أهل الأرض .

فما يكون من اليهود والروم إلا محاولة استغلال هذا الأمر عبر الإستنجاد به عليه السلام ليكون في جبهتهم ضد المهدي عليه السلام ، لكن المسيح عليه السلام يرفضهم ، ويعرض عليهم الحجج والبنات العظام ، التي تؤكد حجة الله المتجلية بالمهدي عليه السلام ، ويبين انحرافهم عن طريق النبوات ، إلا أن « جبهة الكفر » العدواني ، تظل على موقفها و تشن حملة إعلامية ضد المسيح أيضا بعد أن يرفض ما هي عليه ويصف في جبهة المهدي عليه السلام ، نعم هناك نصوص تحدثنا بوضوح عن اعتناق جملة من المسيحيين واليهود للإسلام ..

وتشير الأخبار إلى أن المهدي عليه السلام يستخرج « حلي بيت المقدس » وغيرها من الكنوز والمواريث النبوية ، التي منها مائدة النبي سليمان عليه السلام ويردها إلى بيت المقدس . وتعرض هذه الآيات على أهل الدنيا ، حتى يروا حقيقة الأمر وما فيه من بنات معجزات . هنا تؤكد طائفة من النصوص أن قسما من المسيحيين واليهود يعلنون اعتناقهم للإسلام . وتؤكد - لاحقا - الإنهزام العنيف الذي يلاقيه الدجال وجبهته ، وأن المسيح عليه السلام يقود جيش الإمام المهدي عليه السلام في هذه المعركة ، وتذكر أن الدجال يذوب ذوبانا على

ص: 75

1- هناك إجمال في النصوص حول السعة والضيق .

يد المسيح عليه السلام ، يبدو أنها إشارة إلى أداة حربية هائلة تؤكد القوة والتفوق النوعي الذي تحظى بها دولة المهدي المنتظر عجل الله تعالى فرجه شريف . البعض تحدث عن ضربة هيدروجينية . وفي الحقيقة : الأخبار تؤكد ضربة مثيرة يذوب على أثرها الدجال . لكن لا نعرف طبيعة هذه الضربة .

اليهود :

إشارة

اليهود ذكر واضح في روايات آخر الزمن . النصوص صريحة في أن لليهود جبهة ونفوذًا .. الروايات تحدثنا عن عز لليهود ، ثم ل ، ثم عز ثم ذل ، كمحطتين نوعيتين ، لتؤكد أن آخر « وجود جبهوي » لليهود يكون مع الدجال ، حيث يشكل اليهود صف القيادة البارز وتكون نهايتهم ساحقة على يد جيش المهدي عليه السلام الذي يبدو من بعض الأخبار أن المسيح عليه السلام الذي ينزل للتو من السماء ، يقود جبهته العسكرية في تلك اللحظات التاريخية(1).

وتلاحظ النصوص قسما من اليهود على أنهم أدوات فساد وانحراف وعدوان وأصحاب فتن وشعوذة وأباطيل .. على أن الأحاديث تخبرنا أن اليهود يأتون المسيح عليه السلام عند نزوله ليكون معهم ، فلا يقبلهم ، وكذا

ص: 76

1- هنا لا بد من الإشارة إلى أن بعض النصوص تقول بأن المهدي عليه السلام هو الذي يقتل الدجال ، وبعض أخرى تقول بأن المسيح عليه السلام هو الذي يقتله ، فك التعارض بينهم متعدد منه أن طائفة من النصوص كانت صريحة جدا في أن المسيح عليه السلام حين ينزل ، يشكل وزير دفاع جبهة المهدي عجل الله تعالى فرجه شريف..

النصارى ، بل يحتج عليهم . وأن الدجال يكون معه سحرة اليهود ومشعوذيهـا ، ومعه جنود من اليهود وأصناف الناس وما تبقى من فلول الروم والترك ، في حين بعضها تقول بأنه من يهودية أصفهان [أي أصله من هناك(1)] ، ومعه من يهودها وغيرها من اليهود سبعون ألفا . إشارة من المتون إلى تمايز اليهود وعلوهم في جبهة الدجال التي تنهار على يد المهدي عليه السلام الذي يكون المسيح عليه السلام آنذاك على رأس جنده في تلك المعركة .

تخطب المسلمين في آخر الزمان والكارثة الأخلاقية التي يصابون بها :

تحدثنا الأخبار المروية أن قسما كبيرا من المسلمين في آخر الزمن ، يصابون بذل الخروج عن تعاليم الإسلام ومواثيقه ، وأنهم يسقطون في الفتن الصعبة ، والآثام الشنيعة ، ويجاهرون بالحرام ، ويقعون أسرى الغرائز والفروج والبطون والدرهم والدينار والذل والتبعية والهوان . كما ذكرت الأحاديث أنه ستأتي على المسلمين فتنة يتخبطون فيها في الظلم كتخطب اليهود . وأنه في تلك اللحظات «الحرجة» يظهر الأمراء الكذبة ، والوزراء الفجرة ، والأمناء الخونة ، والقراء الفسقة(2) ، الذين يكون ظاهرهم كظاهر الرهبان ، لكنهم بقلوب شياطين(3) ، همهم الدنيا وشهواتها ، فيفتنون بها ،

ص: 77

1- كما في رواية غير تامة السند ، لكنها مروية .

2- عبد الرزاق : ج 11 ص 330 329 د 20680

3- أحمد: ج 1 ص 458

ويقعون في شركها (1)، وهناك تقع « الفتنة الغبراء » المظلمة ، فيتهوك المسلمون فيها ويتهورون ويتخبطون ، كتهوك اليهود في الظلم .

وتؤكد النصوص أن المسلمين سيتركون الأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر ، ويهجرون القرآن والسنة ، ويتشبهون بأعداء الله من اليهود والروم ، ويعطلون الأحكام (2) ويهجرون لوائح الحلال والحرام ، كما فعل اليهود ، فيحكم شرارهم ، ويعظم فساهم ، ويستبد سلطانهم ، فيضعف خيارهم ويعم الفساد في البلاد ، ويشيع الإنحراف ، ويتعاضم البلاء ، ويعصى الله جهرة ، وفاخ بالآثام (3).

وتتعري نساؤهم ، وتهجر الأحكام ، وتزوين بالحرام ، وتخرج سافرات عاريات ، همهن في إظهار عوارتهن وهتك عفتهن . وتجاهر فتياتهن بالزنى ، وتصبح كالروميات ، عاريات مبتذلات ، سافرات خالعات ، يجاهرن بالسفاح والحرام ، ويعرفن به (4) .. وأن شبابهم كنساءهم ، يتبعون الروم في فسقها وانحرافها وفجورها : زنا ، وحرام ، وآثاما ، يقلل الزواج فيهم ، ويكثر الزنا ، وأولاد الحرام ، وقتل الأجنة ، وتجارة النسوان والإسترزاق من الفروج ، والمعارضة بالشهوات والتفاخر بالتعري ، والتكاثر بالسفاح ، والسخرية والقلبة في العفة والنكاح (أي الزواج) (5).

ص: 78

-
- 1- البزار: على ما في كشف الهيتمي ، ومجمع الزوائد . * أمالي الشجري : ج 2 ص 257
 - 2- تفسير علي بن إبراهيم : ج 2 ص 302/307
 - 3- ابن أبي الدنيا : على ما في الدر المنثور . ابن عدي ، الكامل : ج 3 ص 1125
 - 4- الكافي: ج 8 ص 37 ح 7 -
 - 5- مختصر إثبات الرجعة : ص 217 ح 20 - أربعون الخاتون أبادي : ص 187 ح 32

وأن آخر الزمان يشتهر بتنامي السحاق واللواط ، والفحش مع الأطفال ، وتجارة الشهوات ، وبيع الفروج ، وتعظيم دور المرأة في التعري ومال الغرائز ، واكتساحها وجوه الناس ببضاعة جسمها وفرجها ، واستثمارها لعورتها حتى يصبح لها حضور كبير في السلطة ، والسوق ، والمجتمع ، عن

طريق عريها وإباحيتها وسلاح شهوتها (1)..

إلا- أن أمة من أهل الإسلام ، وفرقة هنا وهناك - رغم الفساد الهائل والكفر الصائل - تبقى على الدين في حياتها وأخلاقها وسلوكها وخياراتها السياسية والاجتماعي والثقافية ، وتبذل في سبيل ذلك جهدة عظيمة، وأن أهل خراسان يمثلون موقعا عظيما في الإلتزام بالإسلام الأصيل ، وأن الأبدال الشاميين (2) الإماميين ، والعصائب العراقيين ، والنجباء المصريين ، يكونون من الرايات المشهورة بدعوتها وتطبيقاتها وتضحياتها في سبيل الإسلام.

وأنه في آخر الزمان يتعاضم الجور ، وتضيق على المؤمنين بقاع الدنيا ، ويعم الظلم والفساد حتى يعصى الله في الليل والنهار على يد العامة من الناس ، ويحمى السلطان (3).. وتذكر بعض المتون أن المسلمين إذا سلموا أمرهم إلى الله تعالى ، عجل لهم في ظهور المهدي عليه السلام كما عجل في بعثة موسى عليه السلام بسبب تسليم المؤمنين من بني اسرائيل .

ص: 79

1- م، س .

2- نسبة إلى بلاد الشام . وهي تاريخية تشمل سوريا ، ولبنان، وفلسطين ، وأبدال الشام يكونون في بعض نواحيها ، وقد ألفنا في ذلك كتابا كاملا ، حددنا فيه أن مركز الأبدال النافذ في آخر الزمن يكون في لبنان ..

3- كتاب إثبات الرجعة ، الفضل بن شاذان : على ما في إثبات الهداة . * مختصر إثبات الرجعة : ص 217 ح 20 - أربعون الخاتون أبادي : ص 187 ح 32 -

وأن الروم تذل قسما وافرا من بلاد الإسلام ، وأن جملة من الحكام المسلمين يكونون شبه « وكلاء سياسيين » للروم في بلاد الإسلام ، فيطغون ، ويروجون الفسق والفجور والآثام . وأن بعض حكام بلاد الإسلام (حاكم مصر) يهرب إلى الروم ، يستعديها على ثائرة المصريين فتليه (1) . ويكون من قصة هذا الحاكم أنه ينهب ثروات وطاقت المصريين لصالح الروم الكفرة فتثور عليه ثائرة النجباء المصريين الإماميين الذين يكادون أن يستلموا الحكم ، فيأتي حاكمها المعزول بالروم ، وتقع هناك أول ملحمة ، وهي ملحمة الإسكندرية .

وأن قسما من حكام بلاد الإسلام يهجرون القرآن ، ويمنعون السنة النبوية ، ويجاهرون بالحرام ، ويفاخرون بالآثام ، ويحكمون بأحكام لا تمت إلى الدين بصلة ..

وأن رقاب المسلمين في ذلك الزمن تكون ذليلة ، وثوراتهم منهوبة ، وأسواقهم عاجزة ، وسمعتهم سيئة ، وأن للروم سطوة على المسلمين وبلادهم ، كما أن لليهود سطوة أيضا ..

وتؤكد الأخبار محنة شديدة تقع على المسلمين ، وذلك مدقعا يصيبهم بسبب تخليهم عن الإسلام ، إلى درجة تتداعى عليهم الذئاب

ص: 80

1- وفي الرواية : « يخرج قبل السفيناني مصري ويماني » [البحار 210/52] . وفي رواية أخرى : وسيكون في مصر رجل من قریش أخنس بلي سلطانا ، ثم يغلب عليه أو ينزع منه ، فيفر إلى الروم ، فيأتي الاسكندرية ، فيقاتل أهل الإسلام ، وذلك أول الملاحم « [فيض القدير للمناوي 131/4] . وهناك طوائف نتحدث عن هذه المضامين تؤكد هذا الطابع من قيام الثورة المصرية الإمامية التي تبلغ مرحلة كبيرة من النصر والظفر ، تطيح بطاغية مصر ، وتعمل على إسقاط نظامه السياسي ، وتذكر الروايات أن طاغية مصر المخلوع يلجأ إلى الروم الجبارة فيحتمي بهم ويستنجدهم ، فيأتي بجيوشهم ويقا تل أهل الإسلام على سواحل الإسكندرية ، وهذه أول الملاحم الدامية كما في لسان الرواية وذلك في عصر الظهور .

البشرية [أي قوى العساكر الكبيرة] فتنهب ثرواتهم ، وتقتل رجالهم وتغتصب نساءهم ، وترميهم بالخوف والجوع(1).

إلا أهل خراسان الذين يخوضون غمار ثورة كبيرة يقودها سيدة قرشي محمدي يدعو إلى الحق ويكون سببا لقيام دولة خراسان الإمامية (2) فيثبت أهل هذه الراية على الحق، وبينون قوة مرهوبة الجانب، بالإضافة إلى رايات هناك وهناك، تبقى على الإسلام، مصررة عليه، وتكون قوية، عزيزة في نفسها وبمواجهة أعداءها، رغم اللواء الذي يصيبها، فتصمد في وجه قوى الكفر والطغيان والانحراف، وثبتت على ما هي عليه من دين

:وفي نص الصادق عليه السلام بخصوص السيد المؤسس لدولة خراسان قال: « فإذا انقرض ملكهم ، أتاح الله لأمة محمد برجل منا أهل البيت يشير بالتقى ، ويعمل بالهدى ، ولا يأخذ في حكمه الرشا ، والله إنني لأعرفه باسمه واسم أبيه ثم يأتينا .. القائد العادل الحافظ لما استودع ، يملأها عدلا وقسطا كما ملأها الفجار ظلما وجورا ، (البحار 269/52) ، أي يكون قيام هذا القائد بعد انقراض دولة بني العباسي الأولى ، دون تحديد لوقت الزمن الفاصل بين نهاية زمن الأولى وقيام الدولة الثانية ، أي دولة الموطئين ، وفي نص آخر قال : « وليكونن من يخلفني من أهل بيتي ، رجل يأمر بأمر الله ، قوي يحكم بحكم الله ، وذلك بعد زمان مكلم مفضح ، يشتد فيه البلاء ، وينقطع فيه الرجاء ، ويقبل فيه الرشاء ، فعند ذلك يبعث الله رجلا من شاطئ دجلة لأمر حزبه يحمله الحقد على سفك الدماء قد كان في ستر وغطاء ، (كنز العمال 39680/14) . لاحظ : هذا الخارج هو شخص آخر ، يخرج من جهة شاطئ دجلة ، أي من العراق ، فيعلن الحرب الظالمة على حاكم خراسان ، ثم أكد النصوص أن هذا الحاكم العراقي طاغية خبيث ظالم مفسد ، سفك الدماء ، وحاقد على المؤمنين ، ويستفاد من المتن أن هذا الحاكم العراقي لا يكون بارزة في قيادته للعراق قبل قيام ثائر أهل البيت عليهم السلام ، لكن بعد نجاح ثورة السيد المحمدي ببرز العراقي ويعرف بسفك الدماء ، ومن علاماته أنه يعتدي على أهل خراسان ظلمة النص يقول : « .. رجلا من شاطئ دجلة لأمر حزبه يحمله الحقد على سفك الدماء قد كان في ستر وغطاء » . وفي حديث الإمام الكاظم عليه السلام : « يخرج رجل من قم بدعو الناس إلى الحق ، يجتمع معه قوم ، قلوبهم كزبر الحديد ، لا- تزلهم الرياح والعواصف ، لا- يملون من الحرب ولا- يجبنون ، وعلى الله يتوكلون ، والعاقبة للمتقين » (البحار 216/60) . بحيث تنتهي نتيجة الحرب أو الحروب لصالحهم . وفي الرواية عن النبي صلى الله عليه وآله : « تجيئ الرايات السود من قبل المشرق ، كأن قلوبهم زبر الحديد ، فمن سمع بهم فليأتهم فيبايعهم ولو حبوا على الثلج » (عقد الدرر 129 / الحاوي للفتاوي 64/2) .

ص: 81

1- الطيالسي : ص 133 ح 992

-2

باعزاز، وتملك - خاصة خراسان - من القوة ما تحمي به دولتها، بل ما تردع به رايات الكفر عنها، ويكون لها نفوذ متعظم، يكبر شيئاً فشيئاً، إلى درجة أنها تزحف بقوة جبارة في طريق طويل، لتحرير بيت المقدس، وتنجح في ذلك. بعض المتون تتحدث عن أنه لو استقبلتها الجبال لهدمتها واتخذت فيها طرقاً لتشير إلى قوتها وتعظم أمرها.

وتؤكد الأحاديث أن اليهود عدو لدود (1)، يتحالف مع الروم، فلا يبقى في خط المواجهة إلا قلة، على رأسهم راية خراسان الإمامية، ثم تحدثنا عن نهاية المطاف بالنسبة إلى اليهود الذين يخرجون براية الدجال (2).

وأن المسلمين سيقاتلون لا محالة، فيهزمهم المسلمون آنذاك بقيادة المهدي عليه السلام الذي يكون على رأس الجند عنده المسيح عليه السلام في تلك اللحظات من فتنة الدجال، حتى يقول الحجر والشجر: يا مسلم، هذا يهودي ورائي فاقتله (3). وتؤكد أن تلك النهاية الأبدية تكون في عصر المهدي عليه السلام عند نزول عيسى المسيح عليه السلام وخروج الدجال.. كما تشير الأحاديث إلى أن المهدي عليه السلام يستخرج أسفار التوراة لليهود من « جبال الشام »، فيحاججهم بها فيسلم جماعة كثيرة، ويستخرج « تابوت السكينة » من « بحيرة طبرية » ويوضع بين يديه في بيت المقدس، فيسلم قسم مهم من

اليهود.

ص: 82

1- عبد الرزاق: ج 11 ص 399 ح 20837

2- ابن حماد: ص 159

3- ابن ماجه: ج 2 ص 1359 ح 4077

ويكون ظهور المهدي عليه السلام أعظم أمر على الإطلاق في ذلك الزمن ، الذي تكاد الأرض فيه أن تختنق من الظلم والفساد والانحراف الهائل الذي يطال ناموس الأرض وقدرتها على التجدد ..

الترك :

السؤال الأولي : من هم الترك ..؟ هل المقصود منها المعنى الوارد في العبارات التاريخية ، بحيث يراد منها الكفرة الأعداء الذين كانوا يشكلون جبهة مناوئة ، فيما نطلق عليه إصطلاحاً إسم وسط آسيا وشرق أوروبا . أي جزء مهم من مناطق الإتحاد السوفياتي السابق كما نسميها اليوم ..؟ تاريخياً هذا الإسم كان يطلق على هذه الجبهة وما وراءها من وسط آسيا وصولاً إلى أوروبا الشرقية .. فهل تساعد النصوص على ذلك ، أم أنها يمكن أن تكون أكثر دلالة واستيعاباً لشعوب أخرى ؟ يبدو أن الإحتمالين ممكن ، وقانون اللغة والتميز يؤيده ..

الأكيد أن إطلاقات النصوص تشير إلى أن جبهة من الترك ، تكون عدواً لخيار الإسلام قبل ظهور المهدي عليه السلام وبعده ، وأن هذه الجبهة قوية ، ولها حضور نافذ في النظام الدولي آنذاك(1). إلا أن ثقلها الإقليمي أكبر فيما نطلق عليه اليوم إسم آسيا الوسطى أو جنوب آسيا ، والشرق الأوسط .

ص: 83

نعم يستفاد من الأخبار المروية أن جبهة الروم ، القوية في النظام العالمي آنذاك ، واللامعة الصيت ، وذات الإنتشار الأكبر ، تكون عاصمتها ومركزها في « الغرب » ، فيما الترك ، يبدو واضحا أنهم في «الشرق»(1).

وفي أكثر من نص أنهم (أي الترك) يزحفون لقتال الخراسانيين ، بعد أن يحرر الخراسانيون بيت المقدس من غاصبيه ، وذلك بتواطئ كبير مع « الروم » الذين يخوضون هذه الحرب أيضا في وجه الخراسانيين ، لكن الروم تفشل في منع الخراساني من تحرير بيت المقدس ، فيما الترك تهاجم الأراضي الخراسانية فيما بعد ، بهدف الضغط على الخراساني للإسحاب من فلسطين ..

على أن بعض النصوص تشير إلى «اختلاف مصالح» ملحوظ جدا بين الروم والترك ، وأن لهاتين القوتين أطماعا ببلاد المسلمين ، وأنهم يخوضون حروبا مختلفة في بلاد المسلمين لأجل الثروات والمصالح ، منها مثلا : معركة قرقيسيا . إلا أن الأحاديث ذكرت أيضا أن الترك والروم يتحالفون أحيانا حين تتقاطع مصالحهم على أمر معين ، ومن ضمن تحالفاتهم تلك ، تحالف يحاولون من خلاله إضعاف الدولة الخراسانية ، وبناء تحالف دولي إقليمي لإضعافها بل لإسقاطها ، لكنهم يفشلون ..

واللافت أن بعض الأحاديث ذكرت أن الترك يختلفون مع الروم قبل ظهور المهدي عليه السلام وتكثر الحروب في الأرض ، وتثور ثائرة الموت ،

ص: 84

وأن من علامات ظهوره عجل الله تعالى فرجه شريف أن ينساب الترك على المسلمين ، وأن ينزلوا الجزيرة(1) (العراق) ، ومعهم شعوب الخزر، ثم يجتمعون مع الروم قبل خروج السفيناني .

وأن السفيناني يقاتل الترك ، بل يقاتل الروم والترك بسبب ثرورة قرقيسيا ، بعد أن تقوي شوكة ، وذلك بعدما يكون قد استولى على «عرش دمشق» ، وقوي في فتوحاته بدعم من الروم في أول الأمر . فإذا تمكن من القوة العسكرية ، فإنه يخوض معركة قاسية في وجه جيشين : للروم والترك(2) ، على مال جوفي ينكشف عنه الفرات [العراق] ، وينتصر السفيناني في تلك المعركة، لكنه لا يحوز ذلك المال لأسباب تتعلق بتعقيدات الحروب ومسارات المعارك والإشغال بالحرائق الحربية المنتشرة في منطقة الشرق خاصة في الشام والحجاز والعراق وخراسان .. ولا تقنى جبهة الترك قبل ظهور المهدي عليه السلام ، بل تبقى حتى الظهور ، لتؤكد بعض النصوص أنه وفي ظرف خاص لا نعرف تفاصيله ، وبعد جملة من الحروب والملاحم التي تلتها في الأرض ، هادن الروم جبهة المهدي عليه السلام وتخوض الجبهتان معركة حاسمة ضد الترك ، لأسباب لا نعرفها ، فتتهار جبهة الترك وتنتهي .

ثم بعد ذلك ، وطمعا بتعزيز موقعها في النظام العالمي ، تغدر الروم فجأة بالمسلمين ، وتقع «معركة قاسية» بينهم وبين المسلمين في «لبنان» ،

ص: 85

1- هذا الإسم يطلق على العراق : بلاد ما بين نهري الفرات ودجلة .

2- وفي الرواية : « .. خرج الروم والترك فيظهر عليهم السفيناني ، (كنز العمال 11ح: 31509) . المقصود بها في المتن وغيره معركة قرقيسيا .

وعلى الأثر تجهز الروم جيشا كبيرا تزحف به من الغرب نحو الشرق ، إلى منطقة البحر المتوسط، وبالأخص إلى منطقة بلاد الشام ، في شريط عسكري قبالة شاطئ صور إلى عكا ، ثم تخوض معركة هي الأعنف ، ناحية سوريا (حلب) وصفتها النصوص بالملحمة ، [ملحمة الأعماق(1)]، يبدو أن هذه المعركة تكون صعبة على الجبهتين ، إلى أن يكتب الله النصر فيها لجبهة المهدي عليه السلام .

ويظهر من بعض الأحاديث أن « حروب المهدي » بعد تصفية الوضع الداخلي ، تكون مع الترك ، وأنه يفتح جبال الديلم .. على أن جبهة المهدي عليه السلام قبيل حربه مع الروم ، تكون قد أسست شريط دولة كبيرة ، أوسع مما نطلق عليه اليوم إسم « منطقة الشرق الأوسط ».

ومعلوم أن الإمام عجل الله تعالى فرجه شريف يسيطر على الحجاز ، فيما أهل خراسان يكونون في الأصل مسيطرين على منطقة «الشرق» المتمثلة بدولتهم خراسان ، ثم يزحفون نحو العراق برايتين : الراية الحسنية ، والراية الخراسانية ، فيفتحونها(2) . وتدخل إليها جيوش المهدي عليه السلام من طريقين :

ص: 86

- 1- أي أعماق بلاد الشام وفلسطين أو الشام وحدها .
- 2- وفي رواية الأصبع بن نباتة عن الإمام علي عليه السلام : « كَأني بالعجم في فساطيطهم ، في مسجد الكوفة ، يعلمون الناس القرآن كما أنزل ، (الغيبة للنعماني 318). ويكون هؤلاء الخراسانيون مشهورين بدعوتهم إلى كتاب الله تعالى . ففي الرواية قال النبي صلى الله عليه وآله « ما من قوم أحب إلى الله تعالى من قوم حملوا القرآن وركبوا التجارة التي ذكرها الله : «تُجِيبُكُمْ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ» وقرأوا القرآن وشهروا السيوف ، يسكنون بلدة يقال لها قزوين ، يأتون يوم القيامة وأوداجهم تقطر دما ، يحبهم الله ويحبونه ، تفتح لهم ثمانية أبواب الجنة ، فيقال لهم ادخلوها من أيها شئتم » . (كنز العمال 12/ حديث : 35105). كما يعرفون بالدعوة إلى أهل بيت النبي عليهم السلام ، ففي الرواية : « .. فتى من قبل المشرق ، يدعو إلى أهل بيت النبي صلى الله عليه وآله ، (كنز العمال 14/ حديث : 39680) ... وأيضا : «يوطى أو يمكن لآل محمد» ، (سنن أبي داود 4/ حديث 3290).

واحد عن طريق اليماني ، وواحد عن طريق الخراسانيين بشعبتيه الخراسانية والحسنية . ويدخلها المهدي عجل الله تعالى فرجه شريف على الأثر ..

: ثم من العراق ، كما في طائفة من الأخبار ، يخوض المهدي عليه السلام معركة فاصلة مع السفيناني الذي يسيطر على بلاد الشام إلا منطقة الأبدال . النصوص تؤكد أنها معركة ضخمة ، وتكون أعظم تلك المعارك قرب بحيرة طبرية ، وتنتهي بذبج السفيناني .. وبذلك تكون بلاد الشام ، والحجاز ، واليمن ، والعراق ، وخراسان والنواحي بيد الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه شريف ..

الخراسانيون :

إشارة

أولا : لهذه الراية الخراسانية مدح وثناء عظيم ، بلسان النبي وأهل بيته عليهم السلام

ثانيا : هذه الراية ، من الرايات التي يمر بها النبي وأهل بيته عليه السلام ، وأنها من الرايات العظيمة التي تكون في آخر الزمان ، وهي بصريح النصوص غير راية بني العباس الأولى التي تخرج من خراسان . بل هي راية أخرى ، من رايات آخر الزمان ، راية إمامية، تنادي بالمهدي ، وتعلن الإسلام وسنة الرسول وعترة أهل البيت عليهم السلام خيارها الحصري في قيادة الأمة والدولة والمجتمع .

ص: 87

ثالثا : هذه الراية ، راية إمامية إثنا عشرية ، تعلن ولاءها المطلق لآل رسول الله صلى الله عليه وآله بشخص الأئمة الإثني عشر عليهم السلام ، كأوصياء للرسول الأعظم صلى الله عليه وآله ، وتنادي بالمهدي عجل الله تعالى فرجه شريف سلطانا للأرض في آخر الزمان ، و تجهر في نوادي أهل الدنيا بولائها الكامل للمهدي عليه السلام ، ثم تؤكد النصوص أنها هي التي توطئ للمهدي سلطانه .

رابعا : النصوص صريحة جدا ، في نفوذ وقوة هذه الجبهة الخراسانية ، رغم النظام العالمي الفاسد، وأنها جبهة تمتلك من القوة وأدوات الحرب والنفوذ ، والصمود ، والثبات والتضحية والزحف ما تستطيع معه أن تشكل قوة إقليمية كبيرة في هذه المنطقة ، إلى حد أنها ورغم عدائها الشديد للروم ، واليهود المحتلين ، والترك (1)، وجملة من جيوش ظالمة تكون في منطقة الشرق الأوسط والعالم تزحف ، لتحرير بيت المقدس(2)، في خط طويل ، متعرج، لتصل إلى قنطرة في مصر ، وجملة من النواحي ، منها ناحية الأبدال الذين يكونون في أكناف [ناحية] بيت المقدس ، فتححرر بيت المقدس ، وتنصب رايا تها هناك ..

ص: 88

-
- 1- اشارت الروايات إلى الترك بوصفهم قوة منافسة للروم ، في صراع النفوذ على المسرح الدولي ومنافعه. يشترك الأتراك على الأقل في 3 معارك بارزة في عصر الظهور : الأولى ضد الخراسانيين ، والثانية ضد العراق ، والثالثة في معركة قرقيسيا .
 - 2- وفي نص الإمام علي عليه السلام : « يخرج رجل قبل المهدي عليه السلام من أهل بيته بالمشرق ، يحمل السيف على عاتقه ثمانية أشهر ، يقتل ويمثل به ، ويتوجه إلى بيت المقدس ، فلا يبلغه حتى يموت ، (كنز العمال 39669/14). على أن « الثمانية أشهر » قد تكون رمزية . أو وردت خطأ بلسان الرواي . نعم مي تشير إلى رقم ثمانية .

خامسا : لا ندري الزمن التفصيلي لظهور هذه الراية ، لكنها قطعاً من رايات آخر الزمان ، وأنها - يقينا - تكون موجودة في لحظة ما، من زمن الغيبة الكبرى ، وأنها تستمر حتى الظهور ، رغم اللواء والجهد والعناء في ظل عالم يقوم على الظلم والفساد والإضطهاد والانحراف ، فتبذل قصارى جهدها لبناء قوتها وخياراتها ، فتبرز في الساحة الإقليمية كدولة عملاقة ، لها حضور متزايد ومثير ، وقدرة على الثبات والنفوذ والرهبة ، وأدوات تمكنها من مقارعة مشاريع الروم والترك واليهود وغيرهم في أزمان محددة ..

سادسا : هذه الراية ، تبقى مستمرة وقوة حتى ظهور المهدي عليه السلام ومع ظهوره تتعاضم ، وتشكل جزء رئيسيا من نواة جيش المهدي عليه السلام ، ويكون قائد جيوش المهدي عليه السلام منها . وعلى الأثر تخبرنا النصوص عن تضحيات عظيمة ولافتة ، تبذلها جيوش خراسان بين يدي المهدي عليه السلام ، منها التضحيات الجبارة التي تبذلها في ملحمة الأعماق [أعماق بلاد الشام وفلسطين وربما حلب وناحياتها]، في مواجهة أعنف جيوش الروم الزاحفة نحو جبهة المهدي عليه السلام.

وتصرح بعض الأحاديث بتلكو بعض العرب وخوفهم ، في تلك المعركة ، فبيعت المهدي بطلب جيوش خراسان واليماني . وتقع معركة هائلة ، تنتهي بعد مدة من القساوة الشرسة والقذف بالشهب [إشارة إلى الصواريخ] ، وتلطي النار ، وتعاضم الأمر ، بانتصار جيش المهدي عليه السلام .. وتذكر بعض الأخبار المروية أن النبي صلى الله عليه وآله أخبر المسلمين بأنهم سيفتحون

« بلاد فارس » ، وأن أهلها سيعتقون الاسلام ، وينالون العلم والدين كما نزل و كما يؤول ولو كان في الثريا . ولقد مدحهم النبي صلى الله عليه وآله بشكل الافت ، مؤكدة أنهم سيضربون العرب على التأويل في ذلك الزمن ، كما ضربهم العرب من قبل على التنزيل(1).

وتؤكد طائفة أخرى من النصوص أن العصاة الثابتة على الحق والولاء لآل البيت عليهم السلام ، في آخر الزمن ، تكون في ناحية من أكناف [نواحي] بيت المقدس ، وبلاد الطالقان ، في جبال البرز ، ويكون فيهم أنصار المهدي عليه السلام .

وكذلك العصائب العراقيين ، والنجباء المصريين ، الذين يقودون ثورة جهادية متعظمة في وجه خليفة مصري [حاكم] ، يتواطئ مع الروم الكافرة الظالمة على خيرات وقدرات وانتماء ودين أهل مصر . فيساعدهم المصريون ، ويكادون أن يستلموا الحكم لولا زحف الروم بطلب من الخليفة المصري المعزول ، حيث تخوض الروم هناك أول ملحمة ، وهي ملحمة الإسكندرية .. لكن جبهة النجباء لا تنتهي ، ما يستدعي طلب الروم - كما يبدو من لوازم المتون - المساعدة من الراية المغربية [بعض جيوش المغرب العربي] ، حيث تزحف جيوشها ناحية مصر ، ونفهم من بعض

ص: 90

1- وفي حديث مستفيض عن النبي صلى الله عليه وآله: « وليضربنكم على الدين عودا كما ضربتموهم عليه بدءا » ، (كنز العمال 14/ حديث 1172 . المطالب العالية 4227/4 - رواه المتقي الهندي عن ابن جرير وصححه وقال صاحب المطالب العالية سنده صحيح)

الأحاديث أن النجباء المصريين آنذاك يتعرضون لبلاء صعب ، لكن يبقى لهم وجود و ثغور

وتكون المرحلة الثالثة لهم مع السفيناني ، الذي يزحف جيشه باتجاه مصر ، وتقع على أثره فظاعة هائلة ، من قتل الرجال وذبحها، واغتصاب النساء ، والفتك بالأطفال ، ونهب الأموال ، وغير ذلك. إلا أن الأحاديث تخبرنا أن النجباء المصريين يبايعون المهدي عليه السلام. ما يعني أنهم يتقون حتى الظهور الشريف ، من دون أن نعرف تفاصيل ثغورهم أو حضورهم . ومع ظهور المهدي عليه السلام يكون لهم موقع لافت في صف قيادة جبهة المهدي عجل الله تعالى فرجه شريف. نعم الجبهة المصرية تضعف بشكل واضح بعد فعلة السفيناني ..

وهنا لا بد من الإشارة إلى أن زحف الراية المغربية ودخولها مصر علامة على قيام الراية السفينانية في دمشق ، ما يعني تسارع الأحداث ، وتعقيدات الحروب ، ودخول المنطقة مرحلة هائلة من الصدمات الحربية ، على أن خروج السفيناني علامة على ظهور المهدي عليه السلام الظهور الخاص الذي يدوم لأشهر . ثم يتم الإعلان عن الظهور العام . النصوص واضحة في ذلك .

واللافت في موضوعنا أن المصريين يلتفتون حول هذه « الراية الإمامية » لعزل الخليفة المصري الذي يتواطئ مع الروم كما يقفون معهم في مواجهة الراية المغربية وكذا راية السفيناني ..

أما الثناء العظيم والتركيز المهم جدا ، فهو على الراية التي توطئ للمهدي سلطانه ، لذا تحدثنا النصوص عن أن قوما موالين لأهل بيت النبي صلى الله عليه وآله يخرجون من المشرق ، من خراسان ، يمهدون ويوطؤون للمهدي علي سلطانه . وأن هؤلاء هم أصحاب الرايات السود ، رايانهم سود ، وثيابهم بيضاء(1)، ولا يبعد أن يكون المقصود بالراية أي العلامة التي يتميز بها قادتهم الدينيين ، وهي العمامة السوداء ، هذا غير بعيد في الإستعمالات اللفظية وكناياتها .

وتؤكد الأخبار أن قائدهم يكون من ذرية الإمام الحسين عليه السلام ، وتطلق عليه النصوص إسم الخراساني . ولا ندري هل هو لقب أو كنية أو إسم أو إشارة إلى رايته ودولته ، أي دولة خراسان .؟ يبدو الإحتمال الأخير هو الأرجح في الإستعمالات اللفظية والقرائية .

على أن تعبير « الخراساني » يطلق نسبة إلى دولة خراسان ، أي هو زعيم خراساني ، ديني ، سياسي ، يقود جبهة أهل الحق الخراسانيين في آخر الزمان ، ويصمد في وجه الطغيان العالمي ، ويوطئ للمهدي سلطانه .

ص: 92

1- وفي الرواية عن النبي عليه السلام : « سيصيب أهل بيتي قتل وتطريد وتشريد في البلاد ، حتى يتيح الله لنا راية تجيء من المشرق من يهزها بهز ومن يشاقها بشاق ، (دلائل الإمامة 230) ، وأيضا قال : « بلاء بلقاء أهل بيته حتى يبعث الله راية من المشرق سوداء من نصرها نصره الله و من خذلها خذله الله ، (عقد الدرر 130) .

أهل خراسان وموضوع الحق الذي يطالبون به

تلفتنا النصوص بشدة وانتباه ، إلى حق لأهل خراسان ، هو في غاية الأهمية ، فيتمسكون به ، فيما أطراف دوليين أو إقليميين يعترضون عليه ، ويحاولون منع الخراسانيين منه ، لذا ، تخبرنا النصوص أن الدولة الخراسانية ، طالب به مرتين أو ثلاثا ، وهي في كل مرة تمنع من ذلك فصر عليه ، وفي بعض المتون : « يطلبون الحق فلا يعطونه ، فيقاتلون حتى يدفعوا الراية إلى المهدي عليه السلام » . النصوص متعددة وواضحة ، وهي تؤكد أزمة متفاقمة بين الخراسانيين ، وجملة من الأقطاب ، يبدو أنهم من بعض الأطراف الدوليين والإقليميين .

أهمية هذه النصوص أنها تشير و كأن هذه الواقعة تكون قريبة نسبيا من ظهور المهدي عليه السلام ، خاصة أن الروايات التي تحدثت عن لائحة الحروب الخراسانية ، ربطتها في نهاية الأمر بظهور المهدي عليه السلام بل بصريح الأخبار أن الخراسانيين يقاتلون حتى يدفعوا الراية إلى المهدي ، ويبدو للمتبع أن حرب هذا الحق التي تخوضها خراسان ، تشير جملة من الحروب تكون قريبة من خروج السفيناني واليماني (1) والمهدي عليه السلام .. ثم الميزة

ص: 93

1- عن اليماني قال الإمام الصادق عليه السلام : « لا يحل لمسلم أن يلتوي عليه .. لأنه يدعو إلى الحق وإلى طريق مستقيم ، [الغيبة للنعماني 253] .

الأخرى في هذه المتون المروية، أن هذا الحق الذي تطلبه الدولة الخراسانية، يحتاج إلى اعتراف أو بذل من قبل الأطراف الدوليين الآخرين، إلا أن هؤلاء الأطراف يصرون على الإمتناع، وينتهي الأمر إلى الحرب ..

تخبرنا بعض المتون الروائية أن هؤلاء الأطراف يعودون فيعطون الدولة الخراسانية حقها هذا بعد الحرب، إلا أن أصحاب الرايات السود الإيرانيين يواصلون حربهم تلك ..

أما ماذا عن موضوع ذلك الحق..؟ هل هو سياسي، أم أممي، أم تقني، أم يتعلق بمقدسات محددة، أم ببلاد أهل الإسلام، بالقدس مثلا، أو بأي أمر آخر، مادي أم معنوي، محلي أم إقليمي أم دولي..؟ النصوص لم تفصح عن ذلك، لكنها أكدت أن هذا الحق، يكون موضع نزاع كبير و متفاقم، إلى درجة أنه ينتهي بالحرب، ويتحول إلى قضية ملتهبة .. على أن هذا النزاع الكبير، يبدو أنه يحدث قبل شريط الأحداث المتراكمة، التي تدخل بعدها إيران في حرب شرسة متمادية، تكون الجيوش الرومية واليهودية، وبعض العربية، والتركية طرفا فيها ..

الخراساني :

إشارة

تؤكد النصوص أن الخراساني « شخصية عظيمة»، متفان في ذات الله تعالى، أعطته بعض المتون أوصافا في القوة، والتضحية والجهاد والنفوذ والثبات ما يوطى معه للمهدي سلطانه .. وبشكل اعتيادي، عبرت النصوص

عنه دوما ب-« الخراساني»، للإشارة إلى زعيم وقائد دولة خراسان التي توطئ للمهدي سلطانه، ويبدو في نص نادر تم التعبير عنه ب-« الحارث»، ولا أدري هل هو وصف، أم إشارة ما إلى نسل أو قبيلة، أو أصل محدد أو صفة أو رمز خاص بأحداث معينة..

ويبدو بوضوح تام، أن للخراساني ودولته خطا متصاعدا من الوجود والقدرة، والنفوذ، فهو يخوض حرب الحق الذي تمنع منه خراسان، ثم حرب تحرير القدس، وحروب «الطوق الدولي» على خراسان، وحروب السفيناني، ثم حرب رد عدوان الترك، ثم حرب إسقاط الفتنة الداخلية(1)،

ثم حروب أخرى وأخرى، في ظل توطئة في غاية الأهمية لظهور المهدي عليه السلام إلى أن يخرج بزحف كبير على جبهتين، واحدة يقودها بنفسه، والأخرى يقودها الحسيني(2) وذلك لفتح العراق، بعد أحداث عظيمة تقع في العراق، خاصة بعد موت العباسي القوي، واختلاف على الملك، ثم زحف السفيناني نحو العراق للسيطرة عليها، وأمور أخرى جليلة وعظيمة.. فتقع أعنف المعارك بين الموطنين للمهدي عليه السلام وبين العباسيين

ص: 95

1- وفي رواية أخرى للإمام عليه السلام قال: تربة قم مقدسة، وأهلها منا، ونحن منهم، لا يريد هم جبار بسوء إلا غلت عقوبته، ما لم يخونوا إخوانهم، (البحار 218/60).

2- السيد الحسيني: شخصية عظيمة يكون في عصر الظهور من أبرز أصحاب المهدي عليه السلام، يخرج من منطقة طبرستان، مناصرا للسيد الخراساني، يظهر على أثر فتنة داخلية تقع في خراسان، ويكون له يد مباركة في الانتصار لآل محمد والوقوف مع السيد الخراساني و تدمير جبهة المنحرفين الانقلابيين المدعومين من أهل الكفر والنفاق. يمكن مراجعة: (الأنوار النعمانية 87/2).

والسفيانيين(1)، والتي تنتهي بفتح العراق(2)، وعلى الأثر يسلم الحسيني (الخراساني) والحسني (الطالقاني) الراية المقدسة لمولانا المعظم المهدي المنتظر عجل الله تعالى فرجه شريف. ليكونا من خيرة القادة بين يديه(3)..

وهناك قائد لـ«قوات الخراساني» يقود العسكر، ويكون قائدا للجيش خراسان، أكدت النصوص أن له قوة وصفة عظيمة في الفتح والجهاد، وقد قيل في وصفه أنه شاب، قوي. وصفته بعض النصوص بأنه

ص: 96

1- تقوم دولة العباسيين قبل دولة السفياني، وحين يحكم السفياني عرش دمشق يعمل على إسقاط دولة العباسيين عبر حروب التوسعية لكنه لا- يستطيع السيطرة على عرش بغداد لذا في معركته الأخيرة يحاول السيطرة على العراق، فيخرج إليه أهل خراسان بجيش هائل، فيجتاح القوة العباسية والسفيانية وسيطرون على البلاد. وفي سؤال الحسن بن الجهم للإمام الرضا عليه السلام قال: أصلحك الله إنهم يتحدثون أن السفياني يقوم وقد ذهب سلطان بني العباس؟ فقال عليه السلام: كذبوا، إنه ليقوم، وإن سلطانهم لقائم، (الغيبة للنعماني (303). أي تتجدد دولة بني العباس الثانية قبل قيام راية السفياني.

2- قال الإمام علي عليه السلام في وصف جيوش أهل خراسان بقيادة الحسن من جهة، والخراساني من جهة أخرى، في مواجهة العباسيين في آخر الزمن: «إن لبني العباس يوما كيوم الطموح، ولهم فيها صرخة كصرخة الحبل، الويل لشيعه ولد العباس من الحرب التي تفتح بين نهاوند والدينور، تلك حرب صعاليك شيعة علي عليه السلام بقدمهم رجل من همدان اسمه على اسم النبي صلى الله عليه وآله منعوت موصوف باعتدال الخلق وحسن الخلق، ونضارة اللون، له في صوته ضجاج، وفي أشفاره وطف، وفي عنقه سطح، أفرق الشعر، مفلج الشايبا، على فرسه كبدر تمام، إذا تجلى عند الظلام، يسير بعصابة خير عصابة أوت و تقريت ودانت الله بدين تلك الأبطال من العرب، الذين يلحقون حرب الكريهة، والدائرة يومئذ على الأعداء، إن للعدو يوم ذاك الصليم والإستصال» (الغيبة للنعماني 147). وفي نص آخر له عليه السلام: «تقبل رايات من شرقي الأرض غير معلمة، ليس بقطن ولا كتان ولا حرير، مختوم في راس القناة بخاتم السيد الأكبر، يسوقها رجل من آل محمد، تظهر بالمشرق وتوجد ريحها بالمغرب، كالمسك الأذفر، يسير الرعب أمامها بشهر، حتى تنزل الكوفة طالبين بدماء آبائهم، بينما هم على ذلك، إذا أقبلت خيل اليماني والخراساني يستبقان كأنهما فرسارهان، شعر غير جعد..» (البحار 81/52).

3- من الوثائق التاريخية الخاصة بالسيد الحسيني الخراساني ما جاء في كتاب المأمون الذي كتبه للعباسيين بعدما اعترضوا على تنصيبه الإمام الرضا عليه السلام ولما للعهد، مطالبين بعزله وتصيب ولده العباس لولاية العهد مكانه فكتب المأمون إليهم كتابا مطولا منه: «. فأما إن أبيتم إلا كشف الغطاء وقشر العصا، فإن الرشيد أخبرني عن آباءه وعمما وجد في كتاب الدولة.. ما لكم إلا السيف يأتيكم الحسيني الثائر فيحصدكم حصدا، والسفياني المرغم، والقائم المهدي عليه السلام، وعند القائم تحقن دماؤكم إلا بحقها، (غاية المرام 199).

أصفر الوجه ، خفيف شعر اللحية ، يقال له « شعيب بن صالح » . ولا ندري هل هذا إسم له ، أو رمز محدد ، أم كنية عسكرية أو صفة جهادية أو غير ذلك . ؟ المهم أن هذا الإسم طالما ردد في الروايات لذلك القائد العسكري الكبير . ثم تلفت الأحاديث إلى أن هذا القائد الموصوف ، يخوض جملة من المعارك الكبيرة ، وأن له حنكة وقدرة وصلابة مميزة ، ونفوذاً على اختراق الحصون وأحزمة الجبهات ، وأنه في لحظة تاريخية حاسمة ، يتحرك نحو القدس ، ولا يرجع إلا بانتصار مؤزر ، فينصب راياته في بيت المقدس ، بعد شريط طويل من الأحداث الهائلة .

كما تشير بعض المتون إلى أن هذا القائد الخراساني يدخل العراق لمحاربة السفيناني ، وتقع جملة من الأحداث المعقدة قبل وبعد ذلك . ومن هناك يبعث بالبيعة للمهدي عليه السلام ، فيما المهدي يكون في مكة . على أنه هناك رواية تتحدث بمضمونها أو لوازمها عن نزول المهدي عليه السلام في منطقة اصطخر الإيرانية أو قريبا منها بعد المعركة الهائلة التي يتبدد فيها جيش السفيناني على يد الخراسانيين ، وفي بعض المتون بمشاركة اليماني ، وأن المهدي عليه السلام من هناك يدخل إلى العراق . على أن خط الزحف المهدي نحو العراق يكون في الصورة الأولية ، واحدة عن طريق الحجاز ، والثاني عن جهة خراسان (1) . وفي تلك المعارك الشهيرة يذيع صيت « شعيب بن

ص: 97

1- وفي رواية الباقر عليه السلام: « يدخل المهدي عليه السلام الكوفة ، وبها ثلاث رايات قد اضطرت بينها فتصفو له ، فيدخل حتى يأتي المنبر فيخطب ، ولا يدري الناس ما يقول من البكاء ، وهو قول رسول الله صلى الله عليه وآله : كأني بالحسني والحسيني وقد قاداها فيسماها على الحسيني فيبايعانه » . (الغيبة للطوسي 280) .

صالح»، الذي يخوض أعنف المعارك وينتصر فيها . ثم تصرح الأحاديث أن هذا القائد العسكري الكبير ، يكون مهما للغاية في جيش المهدي عليه السلام بعد ظهوره الشريف ..

وهناك رواية تذكر أن ظهور الخراساني وشعيب بن صالح يكون قبل المهدي عليه السلام باثنين وسبعين شهرا . إلا أن هذه رواية واحدة ، فيما غيرها لا يشير إلى ذلك ، بل يستفاد من طائفة واسعة أن راية الخراساني أي دولته تكون عريقة ، وقوية ، ولها حضور زمني واضح . ما يعني تأويل آل-«72 شهرا» على حدث ما ، أو صفة ما ..

فتح بيت المقدس وإعلان الترك الحرب على خراسان

شبكة الحروب التي تقع في تلك الفترة الملتهبة جدا ، تشير إلى انتصار كبير للإيرانيين ، ينتهي برفع راياتهم العقائدية المنادية بالمهدي عليه السلام في بيت المقدس . قالت المتون المروية : « تخرج من خراسان رايات سود ، فلا يردها شيء حتى تنصب بإيلياء »(1). وعن وصف قائدها : « لو قاتل الجبال الهدها حتى ينزل بإيلياء »(2) [أي بيت المقدس] . وفي رواية أخرى : « فلا يلقاهم أحد إلا هزموه وغلبوا على ما في أيديهم حتى تقرب راياتهم بيت المقدس »(3).

ص: 98

1- (كنز العمال /14 حديث 38652).

2- (الحاوي للفتاوي 68/2)

3- (ابراز الوهم الممكنون /101).

وعلى أثر تحرير بيت المقدس(1)، وأحداث مختلفة، يزيد التهاب المنطقة، وتأسست معسكرات عديدة للحرب، وتتحرك جملة من رايات العالم، على رأسها الروم، والترك، ويبدو أن جملة من القوى تعلن تحالفها في وجه الخراسانيين، وذلك بعد «ضعف قوة الروم» وجملة من القوى الأخرى التي حاولت منع الخراساني من تحرير بيت المقدس وفشلت في ذلك ..

فيتم إعلان تحالف ظرفي بين الروم والترك وجملة من قوى إقليمية، منها السفيناني العربي، الذي يتم دعمه من الروم للإنتقال على عرش دمشق، فينجح في ذلك، وعلى الأثر يجد جيشا كبيرا لمؤازرة الروم واليهود والراية المغربية والقوى الأخرى لقتال الخراسانيين الإيرانيين الذين ينادون بآل محمد(2) عليهم السلام. وتقع معارك مستمرة بين هذه القوى والجيش

ص: 99

- 1- تحرير القدس من العلامات الثابتة: وفي الرواية «يجئكم صوت من ناحية دمشق بالفتح، (الحاوي للفتاوى/262).
- 2- ظاهر بعض الأخبار أن الترك يحتلون فجأة بعض المناطق الشمالية من إيران، في ظل حلف دولي إقليمي بشتراك فيه الروم والترك واليهود وبعض جيوش إقليمية على رأسها راية المغربي، ثم راية السفيناني. ما يؤدي إلى سحب الجيش الخراساني من فلسطين. ثم بسبب أطماع كبيرة بخصوص مادة مالية جوفية شديدة الأهمية في منطقة قرقيسيا أو ناحية الفرات، تزحف القوى الكبرى للسيطرة عليها لذلك تزحف القوى باتجاه العراق، وتخوض في قرقيسيا معركة ضارية ويشهد القسم الشمال من العراق ملحمة تأكل الطير من جثث قتلاها الذين لا- يحصون. في الرواية: «ويخرج السروسي من أرمنية وأذربيجان يريد وراء الري الجبل الأسود المتلاحم بالجبل الأحمر لزريق جبل طالقان، فيكون بينه وبين المروزي وقعة صيلمانية يشيب فيها الصغير ويهرم منها الكبير، ويظهر القتل بينهما. فعندها توقعوا خروجه إلى الزوراء (وهي بغداد)، فلا يلبث بها حتى يوافي باهات. ثم يوافي واسط العراق، فيقيم بها سنة أو دونها، ثم يخرج إلى كوفان فيكون بينهم وقعة من النجف إلى الحيرة إلى الغري، وقعة شديدة تذهل منها العقول، فعندها يكون بوار الفتين، وعلى الله حصاد الباقين، ثم تلا قوله تعالى: (بسم الله الرحمن الرحيم: اتاها أمرنا ليلا أو نهارا، فجعلناها حصيدا كان لم تغن بالأمس) وفي رواية أخرى: (خروج الشروسي من بلاد أرمنية إلى أذربيجان تستى تبريز الري.. فتوقعوا خروجه إلى الزوراء، وهي بغداد، وهي أرض مشؤومة، وهي أرض ملعونة، ويبعث جيشه على الزوراء مائة وثلاثين ألفا، يقتل على جسرها على مدة ثلاثة أيام سبعون ألف نفس، ويفتنض اثني عشر ألف بكر، وترى ماء دجلة محمرا من الدم ومن تنن الأجساد» [مجمع النورين 297]. وفي رواية سدير عن الإمام الصادق عليه السلام: «ويل لأهل الري من الترك (إشارة إلى الإجتياح التركي لأراضي خراسان) وويل لأهل العراق من أهل الري (إشارة إلى الحرب التي تقع بين الخراسانيين ودولة بني العباس في آخر الزمن)، ثم ويل لهم من الشط (أي ديل لأهل العراق من الترك بقيادة الشروسي أيضا في آخر الزمن). قال سدير فقلت يا مولاي من الشط؟ قال عليه السلام: قوم آذانهم كأذان الفأر صغر، لباسهم الحديد، كلامهم ككلام الشياطين، صغار الحلق مرد جرد، استعيذوا بالله من شرهم، أولئك يفتح الله على أيديهم الدين ويكونون سببا الأمرنا، (بشارة الإسلام 173 عنأمالى الصدوق). وفي رواية الإمام زين العابدين عليه السلام: «إذا علا نجفكم السيل والمطر، وظهرت النار في الحجاز والمدن، وملكت بغداد الترك، فتوقعوا ظهور القائم المنتظر عليه السلام» [بشارة الإسلام 102 عن مجمع النورين].

الخراساني الذي يثبت ويصمد في فلسطين . وتكون راية أهل المغرب أكثر نفوذا من الشاميين وبعض القوى الإقليمية التي تقاوم الخراسانيين ، ومع ذلك يبقى التفوق الخراساني ميزة واضحة رغم المعاناة التي يلقونها من هذا الحلف المتضامن(1)، إلى أن يطرأ الحدث الإستراتيجي الجديد ، وهو زحف الترك فجأة نحو الأراضي الخراسانية . على أن المتون لا تخبرنا عن تورط الترك في معارك بيت المقدس ، فيما تخبرنا عن تورطهم في إعلانهم الحرب على الأراضي الخراسانية(2).

ص: 100

1- وفي الرواية : « إذا اختلف اصحاب الرايات السود فيما بينهم، أتاهم أصحاب الرايات الصفر ، فيجتمعون في قنطرة أهل مصر ، فيقتل أهل المشرق وأهل المغرب سبعا ، ثم تكون الديرة على أهل المشرق ، حتى ينزلوا الرملة ، فتقع بين أهل الشام وأهل المغرب شيء ، [اختلاف] فيغضب أهل المغرب فيقولون : إننا جئنا لننصركم ، ثم تفعلون ما تفعلون [بنا] ، والله لنخلي بينكم وبين أهل المشرق فينهبونكم - لقللة أهل الشام يومئذ في أعينهم ، ثم يخرج السفيناني ويتبعه أهل الشام فيقاتل أهل الشمرق ، (الفتن لابن حماد 172) . وعليه : ظاهر الخبر أن الخراسانيين يحررون فلسطين كلها أو القسم الأعظم منها . ويقاومون بعض الجيوش الإقليمية مثل المغاربة على قناة السويس «قنطرة أهل مصر» ، وهو الطريق الذي تسلكه قوات المغاربة للدخول إلى فلسطين ، وتارة يقاومون في عمق فلسطين في منطقة الرملة التي تقع شمال شرقي القدس . ثم يقع اختلاف بين الجيوش الشامية والجيوش المغاربة الحليفة لها ، ويشير النص إلى كثرة المغاربة ونفوذهم وقلة أهل الشام وضعف نفوذهم فيما تصح المتون بقوة ونفوذ الخراسانيين . رغم تدخل الروم وغيرها من القوى الإقليمية والدولية . ويظل الأمر كذلك حتى هجوم الترك المفاجئ على الأراضي الخراسانية ، فضلا عن بروز الانقلاب السفيناني .

2- روايات الإجتياح التركي في عصر الظهور واضحة ومعتبرة ، منها . « خروج الشروسي من بلاد أرمينية على أذربيجان ، تسمى تبريز الري ، الجبل الأحمر المتلاحم بالجبل الأسود ، لزيق جبال الطالقان ، فتكون بين الشروسي وبين المروزي وقعة صلمانية يشيب فيها الصغير ويهرم فيها الكبير » . (مجمع النورين /99). على أنه يقع زمن فتح بيت المقدس من قبل الخراسانيين ، ما يضطرهم لسحب قسم كبير من جيشهم للدفاع عن أرضهم ، وفي الرواية : « ثم يفتق عليهم فتق من خلفهم ، فتقبل طائفة منهم حتى يدخلوا أرض خراسان » (الحاوي للفتاوى 67/2)

على أنه من علامات الظهور والفرج ، إعلان الترك حربها على إيران ، حيث تزحف إليها فجأة ، فتحتل قسما من أراضيها ، مستغلة وجود قسم كبير من الجيش الإيراني في خط الحرب الذي يمتد من إيران ، وصولا إلى بيت المقدس (1).. عندها يعود الجيش الخراساني إلى خراسان ، يخوض معركة هائلة تقدم فيها تضحيات كبيرة ، في وجه الأتراك ..

لذا تذكر الروايات أن الخراسانيين يخوضون أشد المعارك ضراوة وتضحية في مواجهة « الجيش الشروسي » المفاجئ ، ويبدو من بعض المتون أن معركتهم ضد الترك تكون شديدة التضحيات والقوة والذود والجهاد ، بل تعتبر أكبر من تضحياتهم التي تحصل عند حدودهم العراقية على أثر اعتداء الحاكم العراقي على بلادهم في منطقة عبادان . وقد ورد في المتون : « بابان مفتوحان في الدنيا للجنة : عبادان و قزوين » (2).

وتذكر النصوص جملة مهمة عن معاركهم على ثغور قزوين ، وتؤكد أنه « سيكون رباط بقزوين ، يشفع أحدهم من مثل ربيعة ومضر » (3). وفي متن آخر : « إني لأعرف أقواما يكونون في آخر الزمان ، قد اختلط

ص: 101

-
- 1- معارك الترك في بعض أراضي خراسان وطغيانهم في العراق من أبرز علامات الظهور القريبة . وفي أعقابها يخرج السفيناني ، كما تظهر بوادر انهيار الحكم في بلاد الحجاز .
 - 2- (كنز العمال 12/حديث 35114).
 - 3- (كنز العمال 12 / حديث 35100).

الإيمان بلحومهم وبدمائهم ، يقاتلون في قروين ، تشتاق إليهم الجنة وتحن، كما تحن الناقة على ولدها «(1)..

وتعتبر فتنة «الشروسي» وملاحم قاسية ، خاصة أنها تأتي في ظرف يبدو فيه قيام « تحالف » بين الروم والترك وفلول اليهود والراية المغربية أول الأمر ، ثم راية السفيناني . [تحالف دولي إقليمي] .

ويبدو من المتون أن « فتنة الشروسي » هي من علامات الظهور القريبة جدا ، بل من بين أكبر أسبابه . ففي رواية الصادق عليه السلام قال : «ويل لأهل الري من الترك .. استعينوا بالله من شرهم .. أولئك يفتح الله على أيديهم « الدين » ، ويكونون سب لأمرنا «(2)، أي فتنتهم تكون قريبة جدا من ظهور القائم المهدي فيه بما يعنيه من فرج وعظمة كبرى .

وجاء في متن آخر:

«.. ومارقة تمرق من ناحية الترك وبعقبها فرج»(3). أي يأتي الفرج بظهور المهدي عليه السلام بعد هذه الفتنة الشرسة والوقعة المستفحلة ، التي يصمد الخرسانيون في وجهها بقوة وصلابة ، ويبلون بلاء عظيما، ويقدمون تضحيات جليلة (4)..

ص: 102

1- (كنز العمال 12 / حديث 35092).

2- [بشارة الإسلام 173 عن أمالي الصدوق] .

3- (الغيبة للنعماني / 279).

4- وفي رواية أبي بصير عن الإمام الصادق عليه السلام «لا بد من أذربيجان ، لا يقوم لها شي .. فإذا تحرك متحركنا فاسعوا إليه ولو حبوا والله لكأنني أنظر إليه بين الركن . » [الغيبة للنعماني / 194] .

على أن شبكة الحروب آنذاك تتنوع و تتعدد، وتأخذ منحنيات مختلفة، فالترك يجدون مصلحتهم في الزحف نحو ثروة جوية مهمة جدا في العراق، فيزحفون إليها، أيضا الروم تفعل ذلك وتتسابق إلى ثروة قرقيسيا(1)، وكذلك جملة من الرايات الإقليمية تخوض حروبها على هذا النحو من طموحها في السيطرة على تلك الثروة الجوفية(2)..

ص: 103

1- احتلال الترك لشمال العراق هو من العلامات القريبة لظهور المهدي عجل الله تعالى فرجه شريف: تقول الرواية: « وملك بغداد الترك، فتونعوا ظهور القائم المنتظر عليه السلام، (مجمع التنويرين /305). وهناك من يقول بأن بعض الأراضي الخراسانية تكون ما زالت تحت سيطرة الترك حين يعلن عن ظهور المهدي في مكة، ويستشهد برواية الإمام الصادق عليه السلام: « أول لواء يعقده المهدي عليه يبعثه إلى الترك فيهم ويأخذ ما معهم من السبي والأموال، ثم يسير إلى الشام فيفتحها، (الحاوي للفتاوى 72/2). لكن الرواية فيها بعض الخلل في السند. في حين لا يبعد أن يكون المقصود قتالهم في العراق، بل يبدو أنهم أيضا في العراق يكونون مهزومين بعد انتصار السفيناني عليهم وعلى الروم بعد معركة قرقيسيا. في حين من الأكيد أن المهدي عليه السلام يفتح بلاد الترك وينتصر عليهم، ففي الروايات: «لا تقوم الساعة حتى يملك رجل من أهل بيتي، بفتح القسطنطينية وجبل الديلم، (سنن ابن ماجه 928/2). وكذا في غيرها. لذلك يرجح البعض أن يكون ذلك بعد أنتخلص من القوى الشريفة في بلاد الشام والنواحي الإقليمية حيث يفتح بلاد الترك وغيرها.

2- قرقيسيا (منطقة سورية أو فيها بعض الإشتراك بين الأراضي السورية والعراقية) تقع على مشارف نهر الفرات، بالقرب من الحدود العراقية التركية، تقع فيها ملحمة كبيرة بقتل فيها من كل 100 شخص 99 من الرايات المختلفة. نصفها الروايات بالملحمة العظمى. وتعتبرها من أهم علامات الظهور القريبة. المتون بعضها تشير إلى اكتشاف كنز من ذهب في نهر الفرات. إشارة إلى مادة عظيمة نتقاتل عليها الأمم النافذة، وقد صرحت النصوص بحرمة الإشتراك فيها، وأكدت أن الخراسانيين لا يشتركون فيها. بل قوى إقليمية أول الأمر، ثم قوى دولية كبيرة، تنتهي بقتل رهيب. وهذا الأمر يتوافق مع بعض متون الملل الأخرى ففي الإصحاح التاسع من سفر الرؤيا ما يؤكد ذلك حيث جاء: «ويصدر الأمر للملائكة الكبار عند نهر الفرات العظيم لكي يقتلوا ثلثي الناس»، ويبدو من النصوص أن أكثر من يتورط ويهلك في معركة قرقيسيا أول الأمر قسم من حكام العرب من فريش، ففي الرواية، «ويهلك فيها من قبس ولا يدعي لها داعية»، (روضة الكافي 295/8). ويكون في طليعة رايات فريش التي تتقاتل على تلك الثروة حاكم الدولة العباسية في العراق وحاكم الدولة المروانية في سوريا في آخر الزمن. الرواية تقول: «إن الولد العباس والمرواني لوقعة في قرقيسيا يشيب فيها الغلام الحزور» (الغيبة للنعماني 303). ثم بعد الانقلاب على عرش دمشق، يقود السفيناني حربه للحصول على ثروة الفرات فيقاتل العراقيين كما يقاتل الراية المغربية العربية، كما بقاتل الترك والروم. ولا يحصل أحد على الكنز، وتكون رجاحة المعركة لصالح السفيناني الذي يتورط بمعارك إقليمية كبيرة تهز جيشة وتدمر قواه فلا يستطيع الحصول على تلك الثروة. وفي النهاية تكون هذه الثروة من صالح الخراسانيين. وفي الرواية: « ويمر جيشه (أي السفيناني) بقرقيسيا فيقتلون بها فيقتل بها من الجبارين مائة ألف » (البحار 237/52). وفي متن آخر ورد: « يقتتل عند كنزكم ثلاثة كلهم ابن خليفة ثم لا- يصير إلى واحد منهم، ثم تطلع الرايات السود من قبل المشرق فيقتلونكم قن لم يقتله قوم، (سنن ابن ماجه 2/4084). حديث 4084). ثم يكون بعد ذلك خروج المهدي عجل الله تعالى فرجه شريف.

وفي ظرف متطور تدخل جيوش السفيناني أرض العراق ، وتقصّد مناطق الشيعة ، ومركز وجودهم ، فتشن حرباً شرسة عليهم وصفتها النصوص بالقتل والتفك وغير ذلك .. كما تحدثنا رواية تذكر أن قوات الخراسانيين تكون في العراق ، فتخسر معركة بوجه السفيناني ، فيتبعها السفيناني إلى الأراضي الإيرانية ، فيرون أن الحرب طالت عليهم ، فيولون الخراساني عليهم ، ويدعون إلى المهدي عليه السلام .

كما هناك متون تحدثنا عن « معركة هائلة » في منطقة « اصطخر » الإيرانية ، والتي يمزق الخراسانيون فيها جيش السفيناني تمزيقاً . فيما تذكر رواية أخرى أن ظهور الرايات السود والدعوة إلى المهدي عليه السلام تكون بعد المعركة الموعودة على كنف الفرات الجوفي ..

يبقى هنا أن نشير إلى رمزية ما ، في المتون ، لأن طائفة مهمة من النصوص تحدثنا عن وجود عريق ومتمين لدولة خراسان ، عن دولة قوية ، تخوض غمار المعارك ، دولة لها تاريخ في بناء القوة عبر خط الزمن . نعم شخصية الخراساني نفسه ، أو شعيب بن صالح ، وشبه ذلك ، لها وقت محدد ، فالخراساني وشعيب بن صالح ، والحسني الطالقاني⁽¹⁾ يكون زمانهم

ص : 104

1- (البحار 15/53) .

قريبة من آخر زمن الغيبة الكبرى ، وهم الذين يقودون جملة من الحروب الكبيرة والإنصارات ، و تكريس خيار الإسلام في منطقتهم وما أمكن من نواحيها ، ثم يشاهدون الظهور الأعظم لمولانا المهدي عليه السلام وينضون تحت رايته المباركة ..

وتصبح « الرايات السود » جزءا بارزا من جيش الامام المهدي عليه السلام فتخوض غمار المعارك والحروب التي منها حرب تحرير القدس ، وملحمة الأعمق (التي تقع في أعماق بلاد الشام وفلسطين أو بلاد الشام وحدها) ، وفتح رومية وغيرها من الحروب والمعارك ما بعد الظهور .

على أن شبكة الجبهات ، ومسارات الحروب ، تؤكد تنوعا واسعا وتعجا كبيرا في المناطق والول ، بعض النصوص تذكر أن الرايات الخراسانية تزحف بقوة جبارة نحو القدس وتفتحه ، ثم تخرج فيما بعد لقتال الترك الذين يهاجمونها بالتواطئ مع الروم وجملة من قوى إقليمية الأراضي الخراسانية ، فتنقل الحروب من بلاد الشام إلى منطقة الخليج ، ويصبح المناخ الحربي في طول المنطقة ملتهبا ..

إلا أن بعض مضامين النصوص أو لوازمها ، تشير إلى ثكنات أو قواعد عسكرية خراسانية تبقى في أماكن من خريطة خط الحرب الطويل ما بين خراسان وبيت المقدس ، منها وجود عسكري في دمشق(1) ، والأردن

ص: 105

1- يبدو من النصوص أن صداما « عنيفا» ، يقع في دمشق بين الراية المغربية والراية الخراسانية ، ففي الرواية ورد : « إذا أقبلت الرايات السود من المشرق ، والرايات الصفر من المغرب ، حتى يلتقوا في سيرة الشام - يعني دمشق - فهناك البلاء ، هنالك البلاء ، (كنز العمال 11 / حديث : 31422) . وفي رواية أخرى : « إن صاحب المغرب وبني مروان وقضاة نجت مع على الرايات السود في بطن الشام ، (الفتن لابن حماد / 185) . وفي رواية ثالثة : إذا أقبلت فتنة من المشرق ، وفتنة من المغرب ، فالتقوا بيطن الشام فبطن الأرض يومئذ خير من ظهرها » (الفتن لابن حماد 158) . وصاحب المغرب هو قائد الرايات المغربية الصفراء ، في حين بنو مروان يمثلون عرش دمشق ويكون قبل انقلاب السفيناني على عرشه ، فإذا انقلب السفيناني حكم وقاتل جملة من الرايات وانتصر عليها ، ومعه تقف قضاة بقوة

وغيرها . لذا تشير بعض المتون إلى أن بعض القوات الخراسانية تكون في « الشام » عند خروج السفيناني فيقاتلهم حتى يردهم إلى العراق .. على أن تمدد السفيناني الطاعي من دمشق إلى الكور الخمس - إلا منطقة الأبدال - وفورة انتصاراته المثيرة ، تنهد أمام معركتين فاصلتين : الأولى في منطقة «اصطخر الإيرانية ، والتي يتمزق فيها جيش السفيناني تمزيقا على يد الإيرانيين ، ثم في معركة مهمة جدا لليمانى ، يكسر فيها «عين السفيناني » أي يهزمه بشدة . على أن معركة الفصل الأضخم تكون عند بحيرة طبرية التي تنتهي بذبح السفيناني .

وفي النتيجة العامة :

يخرج الخراسانيون ، في ظل ظرف خاص و كبير ، نحو فتح القدس وتحريره من غزاته ومحتليه ، فلا يعودون إلا بفتحه ونصب رايات أهل الإيمان والإسلام فيه . كل ذلك ، في ظل حرب ضروس ، ومعارك ملتهبة، بل تقع معركة شديدة الضخامة في دمشق بين الرايات السود والرايات الصفرة المغربية تنتهي بانتصار مؤزر للرايات الخراسانية . فيما النصوص تؤكد أن طريق فتح بيت المقدس ، من أرض خراسان إلى بيت المقدس ، دونها معارك ضخمة ، ومع ذلك لا يرجع الخراساني إلا بفتح بيت لمقدس ..

ص: 106

على أن نفوذ الروم آنذاك في هذه المنطقة ، أو خط الحرب ، يبدو ضعيفا ، لذلك لا تستطيع منع الزحف الخراساني وفتح لبيت المقدس .

ولا تهدأ المعارك التي تشارك فيها الروم أيضا ، رغم فتح بيت المقدس ، إلا أن الخراسانيين يشنون بقوة هائلة. لتعود كفة الموازين للتأسيس من جديد ، بدءا من وسط آسيا ، وصولا إلى جنوب بلاد الشام .. لذا : على الأثر ، يتم الإعلان عن حلف عسكري كبير يبدو أنه يجمع ثلة من الأطراف الدوليين والإقليميين ، حيث يجمع الروم مع الترك ، مع اليهود ، مع بعض الجيوش العربية ، والأبرز منها - على مستوى بعض العرب المشاركين آنذاك : الراية المغربية الصفراء - ، ثم مع ظهور السفيناني فإنه يقود نواة ذلك الجيش العربي الذي يقا تل الخراسانيين .

وعلى أثر هذا الحلف ، تهاجم قوات الترك بعض الأراضي الإيرانية فتحتلها ، وتقع معارك ضارية يتفانى فيها الخراسانيون للدفاع عن دولتهم ، وعلى الأثر ، ينسحب الجيش الخراساني من بيت المقدس ليدافع عن أراضيها ، فيما تبقى له قواعد عسكرية في جملة من المناطق التي زحف منها لفتح القدس .

فيستغل السفيناني هذا الوضع الجديد فيقاتل الوجود العسكري الخراساني في دمشق ، فيردهم إلى العراق ، ويقا تلهم في العراق حتى يدخلوا الأراضي الإيرانية ، ثم يتبعهم إلى الأراضي الإيرانية ، فتقع المعركة الضارية هناك ، والتي بيدد الجيش الخراساني فيها الجيش السفيناني .
فيعمد

السفنياني الموجود في دمشق إلى الإنتقام ، لكن عبر إعداد جيش كبير إلى الحجاز لقتل المهدي عليه السلام الذي يعلم بظهوره الخاص في المدينة ، فيبعث بجيشه الجرار إلى المدينة ، فيخرج المهدي عليه السلام مع بعض أصحابه منها إلى مكة ، فيما الوضع الأمني الحجازي يكون منهارا ، والسلطة السياسية في الحجاز تكون متداعية ، وأهل البلاد يكونون على قسمين ، في ظل اضطراب وهشاشة مثيرة ، وحذر شديد بين الفريقين ، كما يبدو أن للسفنياني نفوذا واضحا في الحجاز . لكنها بصورة عامة تعاني من الوهن ، وشلل واضح في قبضتها الأمنية ، لكن ما زال لها وجود ، لذلك نجد أن الإمام المهدي عليه السلام يخرج من المدينة متخفيا ويقصد مكة ، ويظل متخفيا ، ويكون هذا وقت الظهور الخاص الذي يدوم عدة أشهر ..

ويكون الفصل الكبير ، والتطور الهائل ، حين يخرج جيش السفنياني من المدينة - بعد قتل ما بقي من بني هاشم وأتباع أهل البيت عليهم السلام - نحو مكة ، بهدف قتل الإمام المهدي عليه السلام الذي يعلم أنه قصد مكة ، فيخسف الله به الأرض في البيداء ، عندها يتم الإعلان الأعظم ، عن الظهور الأكرم ، أعني به الإعلان العام لأهل الدنيا ، عن ظهور مولانا ومولى الكون الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه شريف ..

بالضبط ، في هذا الوقت بل قبله ، يكون الخراسانيون قد استعادوا زمام النفوذ بقوة ، وقهروا السفنياني بشدة ، وتهيؤا للزحف نحو العراق لقتال العباسي ، فيخوضون معركة شديدة الوطيس ، تنتهي بفتح العراق من

جانهم ، فيما اليماني يكون على ناحية أخرى يخوض حرب فتح العراقبضراوة أقل، فيدخل هذا من هذه الجهة ، وذلك من تلك الجهة .. أما الحجاز ، فتسقط بسرعة بيد المهدي عليه السلام ، وتتم بيعته دون إهراق دم ، وينشغل الناس بذكر المهدي عجل الله تعالى فرجه شريف . وعلى مستوى خط الجبهات السريعة ، ومسارات الحرب المتعرجة ، قبل الخسف بجيش السفيناني في صحراء المدينة ، تشير الأحاديث إلى أن الترك ينزلون آذربيجان والجزيرة (العراق)، عندما يقاتل الخراسانيون السفيناني في العراق ..

وتؤكد بعض الأخبار المروية أن المهدي عليه السلام يظهر عند خراب الزوراء وهي «الري» - إشارة إلى الحرب التي تقع - والمزورة وهي « بغداد » . وعند حرب تشتعل بين بني العباس وفتيان أرمينية وآذربيجان فتكون الرايات السود مع المهدي(1) عليه السلام .

أي ستقع حرب شرسة ، تعلن على أرض خراسان ، واحدة من جهة الترك ، وواحدة من جهة السفيناني ، في ظل حلف دولي إقليمي ، والمثير في النصوص تأكيدها الواضح على قدرة الخراسانيين في مواجهة هذا الحلف الدولي الإقليمي الهائل ، رغم أن الترك يحتلون قسما من الأراضي

ص: 109

1- وعن الفتن وترايط الأحداث روى الحاكم (في : ج 4 ص 462) عن كعب ولم يرفعه قال « الجزيرة آمنة من الخراب حتى تخرب أرمينية ، ومصر آمنة من الخراب حتى تخرب الجزيرة ، والكوفة آمنة من الخراب حتى تخرب مصر ، ولا تكون الملحمة حتى تخرب الكوفة ، ولا تفتح مدينة الكفر حتى تكون الملحمة ، ولا يخرج الدجال حتى تفتح مدينة الكفر » .

الخراسانية حينما يكون الجيش الخراساني في بيت المقدس بالإضافة إلى أماكن مختلفة في طول خط الحرب البعيدة إلى ذلك المكان المقدس ..

النصوص تؤكد صمود وثبات ، وتعظيم قدرات الكفاح الخراساني ، في ظل بذل هائل بالمهج والأرواح من قبل الخراسانيين لدفع العدوان الدولي عن الأراض الخراسانية(1) .. والأهم، أن الخراسانيين يعودون فيها جمون ، ويخرجون من وراء حدودهم ، باتجاه العراق ، بعد هزيمة هائلة يوقعونها بجيش السفيناني في منطقة « اصطخر » الإيرانية(2) ، بل بعد فتنة مثيرة راد منها « الانقلاب على الخراساني(3) » ، ويبدو واضحاً أن « الحلف الدولي

ص: 110

1- تذكر الروايات أن الخراسانيين يخوضون في مواجهة الشروسي التركي أشد المعارك قوة وتضحية . ففي الرواية : « بابان مفتوحان في الدنيا للجنة : عبادان وقزوين » . (كنز العمال 12 / حديث 35114) . كما أن الأحاديث عن معاركهم ناحية قزوين كثيرة : « سيكون رباط بقزوين ، يشفع أحدهم من مثل ربيعة ومضر ، (كنز العمال 12 / حديث 35100) . ومنها أيضا : « إني لأعرف أقواما يكونون في آخر الزمان ، قد اختلط الإيمان بلحومهم وبدمائهم ، يقاتلون في آخر قزوين ، تشتاق إليهم الجنة وتحن ، كما تحن الناقة على ولدها » ، (كنز العمال 12 / حديث 35092) . وفتنة الشروسي وملاحمه لها آثار وتداعيات كثيرة ، وهي من العلامات القريبة جدا على الظهور الشريف وفي الرواية «ويل لأمل الري من الترك.. استعيزوا بالله من شرهم .. أولئك يفتح الله على أيديهم الدين ويكونون سببا لأمرنا ، [بشارة الإسلام 173] . وأيضا : د ومارقة تمرق من ناحية الترك ويعقبها فرج ، (الغيبة للنعماني / 279) .. لا بد من أذربيجان ، لا يقوم لها شئ .. فإذا تحرك متحركنا ، فاسعوا إليه ولو حبا ، والله لكاني أنظر إليه بين الركن .. » [الغيبة للنعماني / 194] .

2- عن أبي رومان ، عن علي بن أبي طالب عليه السلام قال : « إذا خرجت خيل السفيناني إلى الكوفة ، بعث في طلب أهل خراسان ، ويخرج أهل خراسان في طلب المهدي ، فيلتقي هو والهاشمي برايات سود ، على مقدمته شعيب بن صالح ، فيلتقي هو وأصحاب السفيناني بباب اصطخر ، فتكون بينهم ملحمة عظيمة ، فتظهر الرايات السود ، وتهرب خيل السفيناني ، فعنفر ذلك يتمنى الناس المهدي ويطلبونه » ابن حماد : ص 86

3- تشير الأخبار إلى القائد الخراساني بنصوص معتبرة ، منها ما في رواية الباقر عليه السلام : « يخرج شاب من بني هاشم ، بكنه اليميني خال ، من خراسان ، برايات سود ، بين يديه شعيب بن صالح ، يقاتل أصحاب السفيناني فيهم مهم ، (عقد الدرر 128) . وفي نص آخر : « تقبل الرايات السود من خراسان ، على جمع الناس شاب من بني هاشم ، بكفه اليميني خال ، يسهل الله له أمره وطريفه ، (الحاوي للفتاوي 69/2) . وعن الإمام علي عليه السلام قال : « تخرج الرايات السود ، تقاتل السفيناني ، فيهم شاب من بني هاشم في كتفه اليسرى خال ، على مقدمته رجل من تميم يدعى شعيب بن صالح ، فيهزم أصحابه ، (كنز العمال 14 حديث : 39666) . وعن عبد الله بن عمر قال : « يخرج رجل من ولد الحسين من قبل المشرق ، لو استقبلته الجبال الرواسي لهدمها ، واتخذ فيها طرقا ، (الحاوي للفتاوي 62/2) . والروايات حول الخراساني من طريق الفريقين كثيرة ومعتبرة .

الإقليمي» يستعمل كل أوراقه الحربية والإنتقالية لكسر وزعزعة نظام الخراساني ، فتقع فتنة داخلية في خراسان ، يراد منها الإنتقلاب على قيادة الخراساني ،

فيظهر في تلك اللحظات الحرجة « السيد الحسنيني(1)»، الذي يعدل كفة الموازين بقوة ، وينتصر للخراساني ولراية آل محمد الأصيلة ، ثم بعد ذلك تبدأ قوة خراسان الزحف نحو العراق من جديد في ظل اضطراب عالمي ، وخطوط حرب معقدة ، خاصة في الشرق الأوسط ، ولهيب أميني ، واضطراب اقتصادي ، وأزمة معيشية ، وفراغ سياسي ، وفشل رومي ، وتراجع في النفوذ لجملة من القوى ، منها الروم والترك ، خاصة بعد هزيمتهما في قرقيسيا ..

السيد الحسنيني والقضاء على الفتنة الداخلية في أرض خراسان

السيد الحسنيني هو أحد « كنوز طالقان » ، شخصية تبرز على سطح الأحداث بقوة زمن الفتنة الداخلية الحرجة التي يدعمها الحلف الدولي الإقليمي لتدمير نظام السيد الخراساني المنادي بسلطان الأرض المهدي

ص: 111

1- ظاهر الأخبار ان اسم السيد الحسنيني كإسم المهدي عليه السلام (محمد) وفي الرواية : « ويكون على مقدمته - أي مقدمة جيش المهدي عليه السلام واسمه على إسمه . وفي نص آخر : « بقدمهم رجل من همدان اسمه على اسم النبي صلى الله عليه وآله ، (أي محمد).

عجل الله تعالى فرجه شريف. وهو من مبرزى أصحاب الإمام المهدي عليه السلام، يخرج من منطقة «طبرستان» مناصرا للسيد الخراساني، يقف في وجه طواغيت الفتنة، يدعو أنصارهم لبذل مهجهم في سبيل الإسلام وحماية خياره الكبير في ظل ظرف خطير للغاية .

ويبدو أن أصحاب الفتنة الداخلية يستفيدون بشكل مباشر أو غير مباشر من دعم الروم والترك واليهود وبعض الجيوش الإقليمية كالسفياي وغيره، لتدمير نظام السيد الخراساني وإسقاطه، ويظهر أن الأمور في خراسان تكون حرجة، على أننا لا ندري بداية هذه الفتنة وكيف تبدأ، لكنها كما يبدو، تبدأ بشكل هادئ، وتتطور شيئا فشيئا، حتى تنتفض على أثرها الغبار، وتقع الأزمة العسكرية الخطرة، ويبدو الخراساني أمام سياسات عدوانية خارجية، وفتنة داخلية، مضامين النصوص تصف لنا حالة حرجة وصعبة للغاية .

وفجأة، وبظرف مفاجئ، وبوضع مثير، وخطورة بالغة، يخرج السيد الحسيني، الذي يبدو «ملهوفا»، وبوضع حرج أيضا، على أثر العدوان الخارجي، والفتنة الداخلية .

واللافت جد، أن هذا الفتى الصبيح (السيد الحسيني) يستنجد أنصاره، أنصار الله، للدفاع عن السيد الخراساني ونظام آل محمد وخيار الإسلام الأصيل، والوقوف بوجه العدوان الخارجي، والفتنة الداخلية العسكرية الصعبة، يستنجدهم من مكان مقدس، من ضريح عظيم، لعله

ضريح الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام(1) أو غيره من الأضرحة المقدسة لآل بيت النبي عليهم السلام .

يجب أن نلتفت جيدا إلى هذه «الرمزية الخاصة». فهذا الثائر المحمدي ، الذي يخرج في ظرف حرج وصعب للغاية ، ينادي أنصار الله بلهفة ، للدفاع عن خراسان الإسلامية الإمامية من أعداء الخارج والداخل . وذلك من مقام عظيم ، يريد من خلاله تعبئة الرأي الإيراني العام للوقوف مع الخراساني ، وحماية نظام الموطنى للمهدي سلطانه(2) .. [هذه رمزية هائلة الدلالة !..](3)

وتؤكد النصوص أن الحسيني (الفتى الصبيح) ، يخرج من نحو «الديلم» ، فيصيح بصوت فصيح : « يا آل محمد ، أجيوا الملهوف ، والمنادي حول الضريح ». بأنه نوع من استغاثة وصرخة بحرقه ، تؤكد

ص: 113

1- من تلك الروايات : ما رواه المفضل بن عمر عن الصادق عليه السلام - (الأنوار النعمانية 87/2) .

2- يقف الحسيني بشدة مع الخراساني وينصره وهو الذي عبرت عنه الروايات بالملهوف ، أي المضطهد والمحاصر وفي الرواية : « يخرج الحسيني .. فيصيح بصوت له فصيح : يا آل محمد أجيوا الملهوف .. فتجيه كنوز الطالقان .. بأيدهم الحراب ، ولم يزل يقتل الظلمة ». وعلى الأثر يتوجه الثائر الحسيني بجيشه نحو المدن الإيرانية التي يحتلها المتمردون وخاصة مدينة اصفهان وقم .. وهاتان المدينتان تنطلق منهما حركة الموطئين للمهدي عليه السلام كما تنصر الروايات التي تمدح اهل قم ، لذلك يحاول المتمردون القضاء على أهم مركز الثورة الموطئين . فينتصر عليهم الحسيني بشكل عظيم بعد ملاحم من القتال . ونقول : « يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ (39/13) .. [في هذا المجال يمكن مراجعة بعض كتب العلامة الفتلاوي] .

3- تتفق الروايات على أن السيد الحسيني شاب مضح ، نسلة من آل محمد عليه السلام، وهو حسن الوجه ، متفان في الإسلام . وهو القائد الأعلى لكنوز الطالقان . كما تدل على أن كنوز الطالقان تظهر على اثر انقلاب دموي يهدف إلى الإطاحة بالنظام الخراساني ، وفي الحديث النبوي : « لا تزال طائفة من أمتي .. يقاتلون على أبواب الطالقان ، لا يبالون من خذلهم ، ولا من نصرهم ، حتى يخرج الله كنزه من الطالقان فيحيي بهم دينه ، كما أميت من قبل ، (كنز العمال 12/ حديث 35055)

الوضع الحرج والصعب للغاية في تلك اللحظات التاريخية .. وبشكل سريع ومفاجئ ، جيبه « كنوز الله » بالطلالقان ، النص يصفها بأنها « كنوز لا من ذهب ولا من فضة ، بل رجال كزبر الحديد » ، فتية أقوياء ، عظماء ، يبذلون المنهج في سبيل الإسلام ، يسارعون إلى إعلاء كلمة الله ، في أدق وأصعب ظرف .

تصف المتون هؤلاء المجاهدين الكبار وهم يسارعون إلى الحرب ، متأهبين بعدة القتال ، طالبين القتل والانتصار في سبيل الله ، النص يصفهم فيقول : « لكأني أنظر إليهم على البراذين الشهب ، بأيديهم الحراب ، يتعاونون شوقاً إلى الحرب ، كما تتعاونى الذئاب » .

إذا هم طائفة من أهل الحرب والجهاد ، مهوون بعدتهم وعتادهم ، معبؤون بشكل مدهش ، لخوض حرب حاسمة جدا ، في أدق ظرف وأعقده على دولة خراسان .

ثم يشير النص إلى قائد عسكري كبير بينهم هو « شعيب بن صالح » له قدرة موصوفة على المواجهة والتصريحات والانتصارات ، فيخوضون غمار الحرب ، في وجه الظلمة وأهل الفتنة ، فينتصروا عليهم . و تنجو خراسان من أخطر مرحلة . ثم تقع تطورات مختلفة في منطقة الخليج ، وبالأخص ناحية العراق ، ودمشق ، والنواحي ، وتلتهم المنطقة بالمعارك ، وصولاً إلى إعلان السفيناني الزحف للسيطرة على العراق ، خاصة مناطق الشيعة فيه ، عندها يتم الإعلان الخراساني العام عن الزحف ما وراء الحدود ، ناحية العراق ، في

ظل حرب ضروس ، وجبهات قتال كبيرة ، تجتاح ما نطلق عليه اليوم إسم الشرق الأوسط ..

واللافت جدا بهذا الحدث أنه يكون قريبا من ظهور المهدي عليه السلام ، فالحسني الطالقاني الذي لم يزل يقتل الظلمة ، حتى يرد الكوفة ، يتصل به وبأصحابه خبر المهدي عليه السلام . ويقولون : يا ابن رسول الله ، ما هذا الذي قد نزل بساحتنا ؟ فيقول : أخرجوا بنا إليه حتى ننظر من هو وما يريد ؟ وهو والله يعلم أنه المهدي عليه السلام ، وإنه ليعرفه(1) كما في النص . فيأتيه .. ويقول الحسنی : الله أكبر ، مد يدك يا ابن رسول الله ، حتى نبايعك ، فيمد يده فيبايعه ويبايعه سائر العسكر الذي مع الحسنی(2).

وعن « ظرف » الزحف الخراساني نحو العراق ..؟

تؤكد طائفة من الأخبار أنه بعد القضاء على المتمردين في الداخل ، والصمود بقوة في وجه العدوان الخارجي ، يتم الإعلان عن الزحف العسكري نحو العراق التي أصبحت مضطربة أمنيا ، هشة سياسيا ، مضعضة عسكريا ، رغم قوتها السابقة ،

وذلك بسبب الخلاف العسكري على عرش الحاكم العباسي ، عندها تتحول العراق في جزء منها إلى خط حرب وهدف كبير للسفلياني بهدف إحكام سيطرته العسكرية وقتل الشيعة هناك ، ثم تأسيس جبهة غزو قوية في

ص: 115

1- (عقد الدرر 90) .

2- (البحار 15/53) .

وجه الخراسانيين ، فضلا عن طمعه بعرش العراق وثوراته وحروبه السابقة على الخراسانيين ..

تحدثنا النصوص عن « سيناريو حرب » عبر قوتين عسكريتين : الأولى بقيادة السيد الحسن الطالقاني ، والثانية بقيادة السيد الخراساني . وعلى الأثر تتحرك جيوش خراسان ، باتجاه العراق ، لحماية الشيعة ، ومنع جرائم السفيناني وإبطال تمدده الطاغي ، وتأسيس جبهة مهدوية كبيرة ، فضلا عن أخذ « ثأر الشهداء الخراسانيين » ، الذين تخبرنا النصوص أنهم يسقطون في حرب سابقة تقع بين الدولتين الخراسانية والعراقية ، النص يقول(1) :

«تقبل رايات من شرقي الأرض .. يسوقها رجل من آل محمد ، تظهر بالمشرق ، وتوجد ريحها بالمغرب .. حتى تنزل الكوفة طالبين بدماء آباءهم» . إذا الروايات صريحة جدا في أن دولة خراسان « قوية » إلى درجة أنها تعد العدو الخارجي الضخم ، وتقضي على الفتنة الداخلية الملتهبة ، رغم اللواء والجهد الذي يصيها . ثم بعد ذلك تتوجه نحو الدولة العباسية(2) ، التي يبدو أنها تدعم أيضا عبر قوى الحلف الدولي الإقليمي ،

ص: 116

1- قول الإمام علي عليه السلام ..

2- أي دولة بني العباس الثانية في آخر الزمان ، وتعتبر من أخطر دول الضلال والمعادة لقيم الإسلام . وتكون على عدا مع الدولة الخراسانية التي تنادي بمواثيق الإسلام وأهل بيت النبي عليهم السلام . على أن كلتا الدولتين العباسيتين الأولى التي تحققت عام 132 للهجرة ، والثانية التي تتحقق في آخر الزمان ، كلتاهما دولة ضلال ، فقد روى ثوبان مولى رسول الله صلى الله عليه وآله أنه قال : « إن لبني العباس رايتين ، أعلاهما كفر ومركزها ضلالة ، إن أدركتها فلا تضل » (مجمع الزوائد 344/5 - كنز العمال 160/11) . وعن عبد الله الليثي قال : « نخرج لبني العباس رايتان ، احدهما أولها نصر وآخرها زور ، لا ينصرونها ، لانصرها الله ، والأخرى أولها زور وآخرها نصر ، لا ينصرونها لانصرها الله ، (الفتن 120) . وعن أبي إمامة الباهلي قال : « ستخرج رايتان من قبل المشرق لبني العباس ، أولها مشبور وآخرها مبتور ، لا تنصروهم لا نصرهم الله ، فمن مشى تحت راية من راياتهم أدخله الله تعالى يوم القيامة نار جهنم . » (مجمع الزوائد 44/5 - كنز العمال 11/ حديث : 31035) .

خشية من الفتق الإيراني نحوها . فتقع معركة عنيفة جدا ، واحدة عبر الحسيني ، والثانية عبر الخراساني . فيما تحدثنا بعض المتون عن زحف اليماني باتجاه العراق ، وخوضه حرب أقل ضراوة من تلك التي تخوضها جيوش خراسان ، والتي تنتهي بهزيمة قوة العراق والسفياي ، ودخول الحسيني [الخراساني] والحسيني [الطالقاني] ، الكوفة . أي فتح العراق (1).

بعض الروايات تشير إلى أن قوة الحسيني تدخل العراق قبل قوة السيد الخراساني ، بسبب ضراوة المعارك .. فيما طائفة أخرى تحدثنا عن اختلاط القوى ، فالقوة العباسية تتدخل ، وكذلك جيش السفياي ، ما يعني أن القوى الدولية الداعمة لهاتين القوتين ، استراتيجيا أو ظرفيا ، تتدخل أيضا بأكثر من شكل لتدعيم قوة العراق والسفياي بوجه الإيرانيين ، لكن ميزان الحرب يميل بعد معارك ضارية وحاسمة لصالح الإيرانيين الذين يدخلون العراق بصلافة لافتة .

وفي الداخل العراقي ، تتلاحم القوات الخراسانية ، ويعلن الحسيني الخراساني ، والحسيني والطاقاني ، تسليم راية الموطئين للمهدي عليه السلام التخبرنا الأحاديث أن المهدي صلى الله عليه وآله يدخل الكوفة ، ويخطب في مسجدها ،

ص: 117

1- (عقد الدرر 90). (البحار 225/60) .

وتهتر القلوب ، وتضج ناحية العراق بصراخ الموالين الذين يصرخون : الله اكبر .. فيدخل الحسيني والحسني إلى المسجد ، والمهدي عليه السلام يخطب بالناس ، والناس في بكاء إلى حد أنه لا يسمع معه صوت المهدي عليه السلام. هذا معنى الحديث النبوي : « وكأني بالحسني والحسيني وقد قادها فيسغماها إلى الحسيني [المهدي عليه السلام] فيبايعونه »(1).

.. هنا تبدأ مرحلة جديدة من العظمة والإنصارات ، والطمأنينة المدهشة بالنظر لمولانا صاحب الأمر وحجة الله على الكون والأرض ..

وتبدو راية خراسان بأبهى صورها وأعزها ، فهي الراية التي وطأت للمهدي سلطانه ، والجبهة التي بذلت المنهج التي روت الأرض ، وهي تصرخ بالفرج ، وتنادي بالمهدي عليه السلام .. هذا يعني أن هذه الراية راية منتصرة ، ثابتة ، قوية ، ذات حضور إقليمي كبير ، وذات تأثير نافذ ، وجدير بصناعة أحداث تاريخ هذه المنطقة حتى ظهور المهدي ..

وتمدح طائفة من النصوص المهمة « أهل قم(2) »، وتشير إلى أن انتصارهم يكون إذا ظهر الماء على وجه الأرض .. ويبدو أن لهذه الصفة

ص: 118

1- يبدو بوضوح من طائفة من النصوص أن الحسني والحسيني شخصان ولكل دور ومهمة .
2- هناك روايات كثيرة تمدح أهل قم ، وتشير إلى عظيم أمرهم وثباتهم على الدين ونشره في آخر الزمن ، وما يكونوا عليه من قيادة الناس إلى الحق. كما النصوص صريحة في تنزيل أرض خراسان كلها منزلة أمل قم والتركيز على قم إنما هو تركيز على العاصمة الدينية للدولة الخراسانية . وفي الرواية عن الإمام الكاظم عليه السلام قال : [يخرج] رجل من قم ، يدعو الناس إلى الحق ، يجتمع مع قوم قلوبهم كزبر الحديد ، لا- تزلهم الرياح والعواصف ، لا يملون من الحرب ولا يجبنون ، وعلى الله يتوكلون ، (البحار 60-216). وأن هؤلاء يشتهرون بحق آل محمد والدعوة إليهم وفي رواية صفوان بن يحيى قال كنت يوما عند أبي الحسن عليه السلام فجرى ذكر أهل قم وميلهم على المهدي عليه السلام فترحم عليهم وقال :«رضي الله عنهم .. إن للجنة ثمانية أبواب ، واحدة منها لأهل قم ، وهم خيار شيعتنا من بين سائر البلاد ، خمر الله تعالى ولا يتنا في طينتهم ، (البحار 60-216). وفي نص آخر: « إنما سمي قم ، لأن أهله يجتمعون مع قائم آل محمد ، ويقومون معه ، ويستقيمون عليه وينصرونه ، (البحار 60-216). وقال الصادق عليه السلام - عنهم - ، أما انهم أنصار قائمنا، ودعاة حقنا ، ثم رفع رأسه إلى السماء وقال : اللهم اعصمهم من كل فتنة ، ونجهم من كل ملكة ، (البحار 60-218) وحين قرأ الإمام الصادق عليه السلام « فإذا جاء وغدا أولاها ما بعثنا عليكم عبادا لنا أولي بأس شديد فجاسوا خلال الديار وكان وغدا مفعولا» سأل بعض أصحابه عن هؤلاء الذين سيبعثهم الله تعالى القتال بني إسرائيل ؟ فقال له عليه السلام: ثلاث مرات : هم والله أهل قم ، هم والله أهل قم ، هم والله أهل قم ، (البحار 60/216) . وعن تنزيل أهل خراسان في الإشارة إلى قم، ذوي أن جماعة من أهل الري دخلوا على الإمام الصادق عليه السلام وقالوا : «نحن من أهل الري ، فقال عليه السلام : « مرحبا باخواننا من أهل قم . فقالوا: نحن من أهل الري ، فقال عليه السلام : مرحبا باخواننا من أهل قم ، فقالوا نحن من أهل الري ، فأعاد الكلام علي ، قالوا ذلك مرارا وأجابهم عليه السلام بمثل ما أجاب به أولا وقال: « إن الله حرما هو مكة ، وإن للرسول حرما وهو المدينة ، وإن لأمير المؤمنين حرما وهو الكوفة ، وإن لنا حرما وهو بلدة قم » (البحار 60-216) إشارة منه عليه السلام إلى أن أهل قم المقصودين في النص هم أهل أرض خراسان أي إيران . ثم تؤكد النصوص أن قم ستشكل قطب الرحي في آخر الزمان على المستوى الفقهي والديني وقيادة المشروع السياسي لدولة المواطنين المؤمنين وفي الرواية عن الصادق عليه السلام :« ستخلوا كوفة من المؤمنين ، ويأرز عنها العلم كما تأرز الحية في جحرها ، ثم يظهر العلم بلدة يقال لها قم ، وتصير معدنا للعلم والفضل ، حتى لا يبقى في الأرض مستضعف في الدين حتى المخدرات في الحجال ، وذلك عند قرب ظهور قائمنا ، فيجعل الله قم وأهله قائمين مقام الحجة ، ولولا ذلك لساخت الأرض بأهلها ، ولم يبق في الأرض حجة ، فيفيض العلم منه إلى سائر البلاد من المشرق

والمغرب ، فتم حجة الله على الخلق حتى لا يبقى أحد لم يبلغ إليه الدين والعلم ، ثم يظهر القائم عليه السلام ويصير سببة لقمة الله وسخطه على العباد لأن الله لا ينتقم من العباد إلا بعد إنكارهم الحجة ، (البحار 60-216) . وفي الحديث عن الصادق عليه السلام : « إن الله احتج بالكوفة على سائر البلاد وبالمؤمنين من أهلها على غيرهم من أهل البلاد ، واحتج ببلدة قم على سائر البلاد ، وبأهلها على جميع أهل المشرق والمغرب من الجن والانس ، ولم يدع الله قم وأهله مستضعفا ، بل وفقهم وأيدهم.. وسيأتي زمان تكون بلدة قم وأهلها حجة على الخلائق ، وذلك في زمان غيبة قائمنا إلى ظهوره ، ولولا ذلك لساخت الأرض بأهلها ، وإن الملائكة لتدفع البلايا عن قم وأهله ، وما قصده جبار بسوء إلا قصمه قاصم الجبارين وشغله عنهم بدهية أو مصيبة أو عدو ، وينسي الله الجبارين في دولتهم ذكر قم وأهله كمانسوا ذكر الله ، (البحار 60-213) .

إشارة خاصة في ظل حدث خاص ، له صلة بجملة من الأحداث الالافتة في تلك المنطقة ..

ص: 119

قائد من ذرية جعفر بن أبي طالب

تذكر بعض الأخبار المروية خروج رجل من ذرية جعفر بن أبي طالب ، يسلم الراية إلى المهدي عليه السلام . بمعنى أن له دورا بارزا في رفع راية أهل الحق، والذود عن مشروع التوطئة لظهور المهدي عليه السلام ، والبذل الخاص في سبيل تكريم و تكريس مشروع الإمامة .. لكننا لا نعرف تفاصيل عن هذا الرجل القائد ، وطبيعة الأحداث التي تحيط به آنذاك ..

تملك جمال الديلم وقتال ناس من قزوين للدجال

تخبرنا النصوص - في مرحلة متتالية من الأحداث - أن الإمام المهدي عليه السلام يملك « جبال الديلم » ، وأن قوما من «قزوين» يقاتلون الدجال . إلا أن هذا القتال يكون في مرحلة متأخرة من الظهور الشريف .

الجفاء اتجاه المهدي

الجفاء أول الأمر اتجاه المهدي عليه السلام يكون كثيرا ، منه جفاء الروم والترك واليهود وجملة من قوى الظلم والفساد والطغيان العالمي والإقليمي . فيما تخبرنا رواية أن « الجفاء» يكون بالمشرق : يعني مشرق الحجاز أو نجد ، بدليل ما صرحت به بعض الروايات الواردة في أحاديث وأخبار الحجاز .

الأزمة المعيشية، والإنهيار الإقتصادي، والإضطراب المالي: الإقليمي والعالمي، سيشهد محطات مختلفة، ذات مراتب متنوعة، وفي موضوع نقاشنا الإقليمي هناك رواية تشير إلى أن العجم يمنعون عن العراق القفيز والدرهم. إشارة إلى حرب طاحنة تدخل البلاد في ضنك العيش بعد سطوة وظلم سابق من حاكم العراق، حيث يعلن حربا عدوانية على أهالي خراسان، فيقتل قسما من أبناءهم ويفاخر بطغيانه ..

بلاد الشام وحركة السفيني [قراءة معمقة في أحداث المنطقة]

إشارة

تخبرنا النصوص أنه سيكون لبلاد الشام دور كبير في جملة الأحداث المستقبلية، على أن بلاد الشام المقصودة في النصوص تشمل المحور الخمس: دمشق، حمص، حلب، الأردن، فلسطين. ويبدو من خريطة بلاد الشام القديمة أن لبنان ناحية من نواحي كورة دمشق، وهناك تصنيف آخر يفصل بين دمشق، حمص، حماه، فحلب، بالإضافة إلى الأردن. إلا أن الخريطة التاريخية تؤكد طبيعة هذه المنطقة الممتدة من فلسطين، فلبنان، فدمشق، وصولا إلى حلب والنواحي.

تذكر بعض الأحاديث أن النبي صلى الله عليه وآله، أخبر المسلمين بأنهم سيفتحون الشام - وهذا ما حصل - وأن منهم طائفة ستبقى ثابتة على الحق، وأنها ستعلن ولاءها لآل رسول الله عليهم السلام وسيكون لها دور مهم في آخر الزمن بنصرة آل محمد والدعوة إليهم .. على أن هذه المناطق التاريخية من بلاد الشام وردت الإشارة لها في جملة متعددة من النصوص، أعطتها صفات استراتيجية بعض الأحيان، كما ركزت فيها جملة من الوقائع التاريخية المهمة ..

كما أن خطوط الحرب، وسلطات القوة، تكون مرة في بعض هذه النواحي، ومرة تتخذها هدفا وممرا ومقرا .. والأهم أنه في فترة حرجة جدا، تتحول دمشق - بيت المقدس إلى خط ملتهب لأسباب مختلفة .. ويبدو بوضوح تام في مضامين الروايات أن دمشق تكون ممرا لجيوش خراسان في حرب تحرير القدس ما يؤدي إلى قيام معارك ضارية وأهوال كبيرة(1).

في حين تحدثنا الروايات عن « تجيش الجيوش » وهبوب الأجنحة التي فيها الويل الطويل، والتي تبدأ من العراق، وتمتد إلى دمشق، ثم تتوسع بطريقة دراماتيكية إلى مناطق مختلفة منها، مصر، وفلسطين، ولبنان، وتتعدد الأمور لتشمل الحرب راية خراسان، والحجاز والمغرب

ص: 122

1- وفي رواية النبي صلى الله عليه وآله : « إذا وقعت الملاحم بعث الله بعثة من الموالي - أهل خراسان - هم أكرم [من] العرب فرصة وأجود سلاحا، يؤيد الله بهم الدين، (سنن ابن ماجه 2/ حديث 4090). وفي لفظ آخر قال : « إذا وقعت الملاحم خرج بعث من الموالي من دمشق .. (مستدرک الصحيحین 4/ 548) إشارة إلى زحف الخراسانيين مرورا بدمشق نحو بيت المقدس .

العربي ، وتتوسع إلى الأطراف البعيدة في قلب هذه المنطقة ، وتكون سمة هذه الحرب المنقلبة ، على أيدي أقطاب دوليين ، منهم الروم والترك ، بالإضافة إلى قوى إقليمية ، من بلاد الشام ، والمغرب العربي ، والأردن ، والعراق ، وخراسان وغيرها ..

على أن هوية هذه الحرب المتعددة والمعقدة ، تتركز في أكثر من مخطط لها على الثروة مثل ثروة قرقيسيا ، والمصالح ، وفي بعض الأحيان تشن حرب لاستتصال نفوذ خراسان ، وفي واحدة منها تبدأ بسبب خلاف بين خراسان وقوى في المجتمع الدولي بسبب حق لإيران تصر جماعة دولية على منعها منه ، فيما تصر خراسان على حقها فيه ، مرتين أو ثلاث مرات ، رغم خذلان الخاذلين(1) ، إلى أن تخوض خراسان حرباً لتحسم حقها ، فتعطي حقها فلا ترد سيوفها إلى أعمادها ، أي تتابع حربها ولا تسلم الراية إلا إلى المهدي عليه السلام .

واللافت في خريطة الأحداث الكبيرة آنذاك أن الأحاديث تخبرنا عن حرب « هائلة » بسبب مال جوفي مهم جدا ينكشف عنه الفرات أي ناحيته [العراق] ، فتقاتل عليه الرايات ، ويبدو من المتون المروية أنها تبدأ بحرب أولى تتألف من قوى إقليمية ، مثل حاكم العراق [العباسي] وحاكم

ص: 123

1- وفي الرواية : لا- يبالون من خذلهم ولا من نصرهم ، حتى يخرج الله كتزه من الطالقان ، فيحي الله به دينه كما اميت من قبل ، (عقد الدرر 122). وقوله عليه السلام : « دعاة حق يقومون بإذن الله فيدعون إلى دين الله » ، (شرح نهج البلاغة 48/7). وعن دعوتهم للمهدي قالت : إنما سمي نم ، لأن أهله يجتمعون مع قائم آل محمد صلوات الله عليه ، ويقومون معه ويستقيمون عله وينصرونه ، (البحار 60-216).

دمشق [المرواني] ثم صاحب الراية المغربية [المغربي صاحب الرايات الصفراء] الذي يدخل مصر ، فإذا دخل مصر كان علامة على الإثقال الذي يقوده السفيناني على حاكم دمشق المرواني والذي يستولي على الحكم ثم يتابع حرب قرقيسيا على الثروة أيضا ،

ثم تتطور المعارك بشكل دراماتيكي لتصبح القضية دولية بامتياز ، حيث تزحف الترك والروم إليها ، الترك تزحف إليها في بعض جندها من جانب بعض الأراضي الإيرانية التي تكون قد احتلتها بعد فتح الجيش الخراساني لبيت المقدس ، وقيام الحلف «الدولي - الإقليمي» لإخراج الخراسانيين من فلسطين ، ثم إعلان الترك زحفهم فجأة على بعض الأراضي الإيرانية ، ثم خوض الخراسانيين حربا هائلة جدا في وجه الترك لإخراجهم من أرضهم ، ويبدو أنهم يخرجون باتجاه العراق وثروة قرقيسيا ، كما أن الروم تعلن الحرب وتجهز الجيوش ، فتزحف بقوتها العسكرية ، تريد السيطرة على تلك الثروة الجوفية في العراق ، وتتبعها الترك [هناك تفاوت في النصوص حول من يتبع الآخر زمنيا : الترك أم الروم] .

وتتشكل جملة من القوي تتقاتل على ثروة قرقيسيا . إلا خراسان ، فإنها لا تتدخل في تلك الحرب الطاحنة والمحرمة . بل في نصوص أهل البيت عليهم السلام تحذير ومنع للخراسانيين من الدخول فيها ، وفعلا لا يدخل الخراساني تلك الحرب ، ويكون في طور تدعيم قوته الكبيرة التي ستجتاح منطقة العراق بما في ذلك ثورة قرقيسيا وغيرها ، وتؤسس قوة ضخمة

تفرض نفسها على المنطقة في لحظة الظهور الشريف . على أن النصوص تصف المعركة على ثروة قرقيسيا والتي تقع بين هذه الأطراف الدولية والإقليمية ب-« الملحمة » .! وذلك لشدة القتل والقتال ، والحرب والدمار والخراب ، والعجب العجاب الذي يقع هناك ، ثم لتؤكد أنه لا أحد من هؤلاء الجبارين يحوز ذلك المال آنذاك ..

ورغم أن « السفيناني » ينقلب على حاكم دمشق ، ثم يقود جيش القتال على ثروة قرقيسيا في تلك الناحية ، إلا أنه في وقت محدد ومثير ، ينقلب أيضا على الروم بسبب ثروة قرقيسيا ، ما يعدل موازين الحرب ، حيث يكون « الخلاف » على تلك الثروة متعدد الأقطاب ، من بينهم « خلاف » بين الترك والروم ، فتقع معارك متعددة ، منهكة ، تنتهي بانتصار « ضعيف » للسفيناني على الروم والترك ، إلا أنه لا يستطيع حيازة ذلك المال ، ربما الانشغاله بالحرب ، أو بسبب الردع والتوازن الذي تخلفه الجبهات آنذاك . وهذا يعني أن انتصار السفيناني في تلك المعركة يكون ضعيفا أو غير كبير .

على أن الأکید أن « دولة خراسان » لا تشارك في تلك الحرب ، بل في المتون تحذير من الإشتراك فيها ، الأحاديث تصفها بحرب الثروة ، حرب الكنز ، حرب المال ، وأنها حرب محرمة تنتهي بمقتلة عظيمة ، من كل 10 يموت و..! هذا يعني أن الشرق الأوسط ونواحيه ستعيش مخاضا جبارا ، سينتهي بولادة ميزان قوة جديد ، قريبا من ظهور المهدي عليه السلام ، ثم يتحقق بشكل كبير مع الظهور الشريف .

الأخبار عن ذلك « المخاض » تحدثنا عن تعقيدات كبيرة ، و تغيرات هائلة في خطوط الحرب ووجهاتها، وطبيعة ميزان القوى ومكوناتها ، والذي ينتهي على شكل تنام كبير بقوة الردع والفتح الخراسانية ، التي تحوز ذلك المال بعد تغيرات هائلة بموازين الحرب بين القوى الدولية والإقليمية في المنطقة ، على أن حرب خراسان آنذاك لا تقوم للسيطرة على الثروة بصريح النصوص ، بل للدفاع عن نفسها ، وعن شيعة العراق ، وللوقوف أمام الزحف السفيناني وتداعي الحال في العراق بسبب موت الحاكم العباسي وتقاتل العائلة الحاكمة على كرسي الملك هناك ، وسيطرة الفوضى بشكل مثير ، فضلا عن سياسات العدوان التي تعمل عليها الروم والترك وغيرها ..

وتشكل دمشق ، مسرحا للأحداث المهمة . بعض المتون تخبرنا عن نفوذ للعباسي العراقي فيها ، في وقت ما ، ثم عن حرب يشيب منها الولد الحزور بين العباسي العراقي والمرواني الدمشقي ، حول ثروة قرقيسيا ، كما تخبرنا عن نفوذ خراساني في دمشق ، في وقت آخر ، لا أدري الترتيب الزمني بينهما . ثم تخبرنا عن ضعف المرواني في الداخل ، ثم عن طموح رومي كبير ، ينتهي بتحريك السفيناني من الوادي اليابس بالأردن أو قريبا من حدود الأردن من الأراضي السورية أو المنطقة المشتركة ، للإنتقال على عرش دمشق .

كما في النصوص تأكيد على أن « مؤامرة داخلية » تحاك لهذا الإنتقال ، تشارك فيها قدرات شعبية وجوايس وعيون وقوى منها قبيلة

كلب وغيرها ، لنصرة السفيناني في انقلابه الذي ينجح في السيطرة على عرش المرواني عبر حرب طاحنة ، يقاتل على أثرها جملة من الرايات ، أقلها حرب الرايات الثلاث التي ينتصر فيها السفيناني ويحوز عرش دمشق (1). ومع حكم السفيناني لدمشق ، تتحول منطقة الشام إلى محور مثير لصناعة الأحداث والقتل والحروب المنفلشة فهو يسيطر على الكور الخمس ، إلا أرض الأبدال الشاميين الإماميين الذين يصمدون ويضحون لحماية خياراتهم الإسلامية الإمامية ، كما أنه يبعث بجيش نحو مصر فيدخلها بالقتل والنار والإغتصاب والذبح وغيره ، ويبعث جيشا نحو فلسطين ليقاتل الخراسانيين مع الراية المغربية والروم واليهود وجملة من القوى المشاركة لطرد الخراسانيين من بيت المقدس الذي خلصه الخراساني من أيدي الغزاة الطغاة ..

وبخصوص الجيش السفيناني الذي يدخل مصر .؟ يبدو أنه لنشر نفوذه وحسم ميزان القوة السفينانية في المنطقة ، لكن أيضا ليقضي على ما تبقى من « ثورة النجباء المصرية الإمامية ». النصوص تصف فعل السفيناني هناك بأنه إجرامي إلى حد مذهل ، فهو يقتل ويذبح ، ويغتصب ، ويحرق بالنار ، ويفعل الأفاعيل (2)..

ص: 127

1- ابن حماد : ص 76

2- فقد ورد في رواية حذيفة بن اليمان : « إذا دخل السفيناني أرض مصر ، أقام فيها أربعة أشهر ، يقتل ويسبي أهلها ، فيومئذ تقوم النائحات باكية ، تبكي على استحلال فرجها ، وباكية تبكي على قتل أولادها ، وباكية تبكي على ذلها بعد عزها ، وباكية تبكي شوقا على قبورها ، [الملاحم والفتن لابن طاووس 50] وفي رواية محمد بن الحنفية عما يقترفه السفيناني من جرائم رهيبة يقول : « إذا ظهر السفيناني على الأبقع ودخل مصر ، فعند ذلك خراب مصر ، [الفتن لابن حماد 174]. وفي رواية أخرى : « إذا ملك رجل أهل الشام ، وآخر مصر ، فاقتتل الشامي والمصري ، وسبى أهل الشام قبائل من مضر ، وأقبل رجل من المشرق برايات سود صغار ، قبل صاحب الشام ، فهو الذي يؤدي الطاعة إلى المهدي عليه السلام ، [الحاوي للفتاوي 68/2 * الفتاوي الحديثية 43].

كما أنه بعد جملة من الأحداث الكبيرة وخطوط الحرب المتعرجة والمختلفة، يحرك جيشه ليقاتل على ثروة العراق، وهناك تتغير وجهات التحالف، فالروم والترك يختلفان، والسفياي الذي دعمته الروم، ينقلب عليها من أجل الثروة، ويستغل الإنهالك الشديد الذي وقع بالجيشين فيقاتلها ويهزمهما.

كما تخبرنا رواية أنه يقاتل قوة تابعة لأصحاب الرايات السود الخراسانيين في دمشق، فيهزمهم إلى العراق، يبدو أن قاعدة عسكرية خراسانية تكون هناك، يقاتلها حتى تنسحب إلى العراق، فيتبعها، ويقاتلها أيضا، حتى تعود إلى الأراضي الإيرانية، فلا يكتفي بذلك، فيتبعها إلى الأراضي الإيرانية وهناك تقع معركة الفصل التي يتمزق فيها الجيش السفياي ..

وهذا يعني - حسب الظاهر - أن قتاله هذا كان بعد هزيمة الترك والروم في معركة « قرقيسيا » حول الثروة العراقية . لأنه بعد تلك المعركة التي يتبع الإيرانيين فيها إلى منطقة « اصطخر الإيرانية » تقع معركة فاصلة، يتمرق على أثرها الجيش السفياي أمام قوة الخراسانيين في ظل قتال مستميت يقضي على الجيش السفياي في تلك المنطقة. لتحدثنا النصوص عن انتقام سفياي شديد بسبب ما أصاب جيشه من الخراسانيين، حيث يفكر

السفياني بقتل المهدي عليه السلام ، وذلك في لحظة تاريخية كبيرة وهائلة ، لأن الإمام المهدي عليه السلام في هذا الوقت يكون قد ظهر الظهور « الخاص » في المدينة المنورة ، وهو الظهور الذي يدوم أشهر قبل الإعلان عن الظهور العام. على أن الصيحة السماوية من جبرائيل عليه السلام بظهور المهدي عجل الله تعالى فرجه شريف تقع في شهر رمضان ، أما الظهور فيكون في شهر محرم من نفس العام ..

ويبدو بوضوح من المتون ، أن السفياني يعرف بظهور المهدي الخاص في المدينة ، في ظل هشاشة مثيرة في الحجاز ، وانقسام على السلطة ، واضطراب أمني ينتهي بقتال ومذبحة في مني ، لذلك يقرر السفياني إرسال جيش إلى المدينة المنورة لقتل المهدي فيها ، فيخرج المهدي عليه السلام مع جملة من أصحابه متخفياً نحو مكة ، ويدخل الجيش السفياني إلى المدينة فيتركب مجازر بمن بقي من الهاشميين وأتباع أهل البيت (1) عليه السلام ..

ثم يأمر السفياني بزحف جيشه نحو مكة لقتل المهدي عليه السلام ، فيقع به الخسف في البيداء ، الذي على أثره يتم الإعلان العام عن ظهور الإمام المهدي عليه السلام وأنداك تتم بيعته المشهورة . في هذا الوقت تكون الشام - إلا منطقة الأبدال - تحت سلطان السفياني الذي يبدو أن جيشه يظل قويا في تلك المنطقة .

ص: 129

1- وفي الرواية عن الإمام الصادق عليه السلام : « يبعث بجيش إلى المدينة ، فيأخذون من قدروا عليه من آل محمد صلى الله عليه وآله ، ويقتل من بني هاشم رجال ونساء ، فعند ذلك يهرب المهدي والمبيض من المدينة إلى مكة ، فيبعث في طلبهما ، وقد لحقا بحرم الله وأمنه ، [الحاوي للفتاوي 70/2 * كنز العمال 14 حديث : 39668]. ويبدو أن الشخص الآخر هو النفس الزكية .

وهنا يجب الإنتباه إلى أن « فتنة السفيناني » تختلف عن فتنة الشام الخاصة . الأخبار تحدثنا عن «فتنة» تحدث في بلاد الشام ، وهي فتنة خاصة مختلفة عن الفتن العامة ، هذه الفتنة ميت بلسان بعض النصوص ب- « فتنة الأحزاب » التي تفرق جماعة أهل الشام ، وتضعفهم . بعض النصوص حددت أمدها ب- « 18 سنة » ، وأنه على أثرها تتعاضم راية الأبدال الإماميين ..

في حين تحدثنا النصوص أيضا عن فتنة أخرى هي « فتنة السفيناني » وأن هذه الفتنة تظل مستمرة حتى ظهور المهدي عليه السلام . وبالْحَقِيقَة : يظهر المهدي عليه السلام الظهور الخاص ، والسفيناني ، في زمن واحد . بعض المتون تقول : في سنة واحدة ، في شهر واحد ، في يوم واحد . لكن ظهور المهدي عليه السلام آنذاك يكون عبارة عن الظهور الخاص ، أي غير المعلن ، الذي يحصل في المدينة المنورة ، ويدوم لأشهر ، ربما تصل إلى 11 شهرا يتردد فيها الإمام عجل الله تعالى فرجه شريف بين المدينة ومكة .

ثم على أثر الخسف بجيش السفيناني في البيداء الحجازية بالمدينة ، يتم الإعلان عن الظهور العام والبيعة العامة في مكة .

ومع أول الفتنة السفينانية ، تدخل الشام قوات مغربية ، على أن بعض المتون تحدثت عن راية « غربية » ، في حين متون أخرى تحدثت عن راية « مغربية » .. ومهما يكن من أمر ، فإن الأحاديث تخبرنا عن محاولات متابعة من الروم الغربيين للتأثير على منطقة الشرق الأوسط ، وبلاد الشام ، والعراق ، ودولة خراسان ، ومصر ، وغيرها .. نعم هناك متن يخبرنا عن فتنة

السفياياني ، وأنه تكون هناك في الشام راية مغربية [تدخل إليه] ، كما تكون فيها قوات خراسانية من أهل المشرق أيضا . على أن الخراسانيين وأهل المغرب ، عدوان ، ما يعني أن الشام تكون مضطربة آنذاك ، وعرش دمشق على ضعف واضح في ظل تعداد الرايات . النصوص صريحة في أن السفياياني يظهر والرايات متعددة(1).

ثم تؤكد الأخبار المروية أنه تقع «زلزلة» في دمشق وحرسنا . ويحدث «صراع عسكري» على «السلطة» بين ثلاث رايات ، واحدة يقودها شخص «أبقع الوجه» ، وراية يقودها رجل «أصفر»، والثالثة يقودها السفياياني . وتنتهي المعارك بانتصار السفياياني وسيطرته على عرش دمشق ، ثم بسيطرته على الشام . وأن هذا السفياياني يخرج قرب ظهور المهدي عليه السلام ، بل يستفاد من بعضها أنه يخرج في نفس الوقت الذي يظهر فيه المهدي الظهور الخاص .

ويشير متن آخر إلى أن هذا السفياياني هو من ذرية «عنبسة بن أبي سفيان»، أي هو من الشجرة السفيايانية الملعونة في القرآن . بعض النصوص

ص: 131

1- وفي الرواية : « إذا رأيت الفتنة في بلاد الشام ، فالموت الموت ، حتى يتحرك بنو الأصفر ، فيسيرون إلى بلاد العرب ، فتكون بينهم الوقائع ، (الفتن لابن طاووس 107) . ويبدو من المتون أن أول أرض تخرب هي الشام ، حيث تخرج الرايات العسكرية وتختلف ثلاث رايات : راية الأصهب ، وراية الأبقع ، وراية السفياياني ، ويلتقي السفياياني بالأبقع فيقتلون فيقتله السفياياني و من تبعه ويقتل الأصهب ، (البحار 212/52) . وفي رواية أخرى تقول : « ثلاث رايات ، راية حسنية ، وراية أموية ، وراية قيسية ، فبينما هم كذلك إذ يخرج السفياياني فيحصدهم حصد الزرع ما رأيت مثله قط » (البحار 270/52) ، ويكون السفياياني مدعومة من الروم وقوى الغرب ، تقول الرواية : « يقبل السفياياني من بلاد الروم متنصرا في عنقه صليب وهو صاحب القوم ، (البحار 217/52) .

سمته «عبد الله»، وبعضها الآخر سماه: « معاوية ». ولعل في القضية رمزية خاصة أو كنية أو انتسابات تاريخية ومعان مجازية تتوافق وواقع الحال آنذاك .

وعن صفته الجسدية ..؟

بعض الأحاديث تشير إلى أنه أعور، شديد الصفرة، دقيق الساعدين والساقين .

وعن سياسته الدينية ..؟

تخبرنا أنه حين يخرج، يتظاهر بالتدين على الطريقة الأموية، ويتمترس خلفه، وينادي بملك أجداده الأمويين وحقهم في عرش دمشق، ثم إذا تمكن من السلطة أعلن عداوة الهائل والفضيع في وجه الإسلام وأهل الإيمان، فيقتل على الدين، ويمنع الإسلام، ويشيع الزنا والفساد والمنكرات والخبائث وشرب الخمر، ويبالغ في ذلك، ويعاقب على الدين والشريعة، ويبالغ في تقوية ساعد الحرام والآثام، حتى أنه يأمر بالمرأة في يوم الجمعة تنقل من فخذ على فخذ بين الرجال، وأن يزني بها جهرا في الجامع الكبير في دمشق . ثم تتراوح المتون في بيان خروجه .

وعن خروجه ..؟

بعضها يشير إلى أنه يخرج من منطقة «أندرا»، وبعضها يشير إلى «الوادي اليابس»⁽¹⁾، وثالث يشير إلى «بيسان» ورابع يشير إلى «فلسطين»⁽²⁾

ص: 132

1- وفي حديث الإمام علي عليه السلام: « .. فإذا كان ذلك، خرج ابن آكلة الأكباد من الوادي اليابس (من الأردن أو الحدود الأردنية السورية المشتركة) حتى يستوي على منبر دمشق » [كنز العمال 11 حديث 31535 عقد الدرر 81]. وفي حديث النبي صلى الله عليه وآله: « .. فبينما هم كذلك إذا خرج عليهم السفيناني من الوادي اليابس في فورة ذلك حتى ينزل دمشق » [عقد الدرر 53].

2- وفي حديث الإمام علي عليه السلام: « .. فإذا كان ذلك، خرج ابن آكلة الأكباد من الوادي اليابس (من الأردن أو الحدود الأردنية السورية المشتركة) حتى يستوي على منبر دمشق » [كنز العمال 11 حديث 31535 عقد الدرر 81]. وفي حديث النبي صلى الله عليه وآله: « .. فبينما هم كذلك إذا خرج عليهم السفيناني من الوادي اليابس في فورة ذلك حتى ينزل دمشق » [عقد الدرر 53].

وهناك خبر يشير إلى أنه يخرج من البرية . والصحيح أن هذه المتون تشير إلى مراحل و مناطق ينتقل بينها في ظل إعداده للخروج ، ويبدو من بعضها كذلك بوضوح، فهو ينتقل بين هذه الأماكن في عملية إعداد لمشروعه الانقلابي على عرش دمشق ..

ويكون خروجه برايات حمراء ، تجتمع معه « قبيلة كلب » ، وجملة من الناس ، ويدعم من الروم (1)، ومجموع قوى محلية وإقليمية ، وينادي بإرث أجداده السفينيين و تاريخهم .. ويصر على طلب « عرش الشام » بهذا الشعار ،

يقاتل الرايات ، ويهزم حاكم دمشق ، ويسيطر على «الكور الخمس» إلا منطقة الأبدال (2)، ويقتل مخالفه بشدة ، ويبالغ في العقوبة والتشقي والتسلط والمكابرة ، ويكثر من إهراق الدماء ، والتعذيب والإنتقام ،

أقول بموضوع فلسطين ، يبدو أن إجتماعا لافتا تقوده أو ترعاه الروم وجملة من قوى العالم الدولي والإقليمي - تماما مثل اجتماع القوى الأفغانية قبل اجتياح أمريكا لأفغانستان والعراق - حيث تؤسس لخطة الانقلاب على الحكم في دمشق ، وتهيئ لذلك عبر اجتماعات ذات بعد تنسيقي منه ما يقع في فلسطين . ففي وصف الإمام علي عليه السلام لجانب من مخطط القوى آنذاك بما فيها السفيناني يقول عليه السلام : « .. فتجتمع رؤساء الشام وفلسطين فيقولون : اطلبوا ملك الأول ، فيطلبونه - يعني السفيناني - فيوافونه في دمشق ، بموضع يقال لها حرسنا ، فإذا أحس بهم هرب إلى أخواله كلب ، وذلك ادعاء منه ، ويكون بالوادي اليا بس عدة عديدة .. فما يبرح حتى يجتمع الناس إليه ، وتتلاحق به أهل الضغائن فيكون في خمسين ألفا ثم يبعث إلى قبائل كلب فيأتيه منهم مثل السيل » [عقد الدرر 99]. وتتفق الروايات على أن أكثر جيوش السفيناني تتألف من عشيرة كلب ذات الأصول النصرانية !.

ص: 133

-
- 1- وفي الرواية : « يقبل السفيناني من بلاد الروم متنصرا ، في عنقه صليب ، وهو صاحب القوم (البحار 216/52).
 - 2- عن أبي جعفر عليه السلام قال : « إذا استولى السفيناني على الكور الخمس فعدوا له تسعة أشهر ، يعني ثم يظهر المهدي عليه السلام ، وقال : زعم هشام أن الكور الخمس : دمشق وفلسطين والأردن وحمص وحلب . [عقد الدرر : ص 86ب- 4 ف 2-] .

فينشر مخالفيه بالمناشير ، ويطبخهم بالقدور ستة أشهر ، لا يفرق في ذلك بين امرأة أو طفل أو شيخ ، كما تخبرنا المتون أنه يقرر بطون النساء ، ويقتل الصبيان ، ويغلي الاطفال في المراحل ، ويقطع في إشاعة الزنا والإعتصاب والفواحش ، ويعلن عداؤه الشديد للإسلام ، ويعزل القرآن ، وينكره أشه إنكار ، ويقتل العلماء والزهاد ، فيشتكي من بقي منهم إلى المهدي عليه السلام لشدة ما يفعل ما تشيب منه الرؤوس ..

وعن طبيعة الجبهات ..؟

خبرنا الأحاديث أن السفيناني والمهدي عليه السلام يتسابقان كل على جبهته ، فيسيطر هذا على ما يليه وذاك على ما يليه ، إلى أن تقع بينهما الحرب الفاصلة قرب بحيرة طبرية ..

وتشير الأخبار إلى أنه في آخر « فتنة بلاد الشام » ينحسر الفرات ، أو ينكشف عن جزيرة من ذهب ، أو كنز من ذهب باختلاف الألفاظ (ثروة جوفية عظيمة) عند منطقة « قرقيسيا » التي تقع في المثلث السوري التركي العراقي ، في حين طائفة أخرى تخبرنا عن هذه الحرب بصفة أنها حرب على « مال » ، إذا هي حرب على ثروة جوفية في غاية الأهمية . وتعبر « ذهب » قد يكون مقصودا بمعناه المعهود ، أو قد يكون إشارة تاريخية رمزية إلى ثروة جوفية غالية القيمة ، المهم أن النصوص تحدثنا عن حرب على مال عظيم ينكشف عنه الفرات ، ما يستدعي قيام حروب هائلة بين معسكرات كثيرة تختلط فيها الرايات الحربية الإقليمية والدولية ، مثل راية

ص: 134

العباسي العراقي ، والمرواني الدمشقي ، بالإضافة إلى المغربي ، ثم راية الروم والترك ، والسفياي بعد انقلابه وسيطرته على عرش المرواني في دمشق .

تحدثنا عن حرب هائلة ، ومعارك ضارية تقع هناك ، وقتى بشكل ضخم فيقتل تسعة أعشارهم ، واللافت أن « الأحلاف » في تلك المعركة تنهار بشكل ملحوظ ، فيقاتل السفياي الروم والترك ، وينتصر عليهما في تلك المعركة ، لكن الكنز أو ذلك المال الجوفي المهم جدا لا يكون لأحد منهم . يبدو لأسباب تتعلق بموازين الحرب والردع وعدم التمكن من تنقيبه والسيطرة عليه ..

وتذكر رواية أخرى خطوطا « معقدة » للحرب آنذاك ، حيث تكون المنطقة تحت ضغط عسكري دولي - إقليمي رهيب ، تلك الرواية تشير إلى أن « معركة قرقيسيا » تكون عند نزول الروم فلسطين ، والترك الجزيرة [أي العراق] ، فيما السفياي يقوم فيغزو العراق ، فيب جيشه بغداد ، وبابل والكوفة ، وسيطر على قسم واضح من العراق ، ويقا تل جيش أهل المشرق في العراق ، حتى يرجعوا إلى الأراضي الخراسانية ، فيتبعهم إليها فتقع بينهم « معركة فاصلة » ينتصر فيها أهل خراسان بقيادة شعيب بن صالح (1).

ص: 135

1- عن شعيب بن صالح . قالت الرواية : « عليكم بالفتي التميمي ، فإنه يقبل من قبل المشرق ، وهو صاحب راية المهدي عليه السلام ،) مجمع الزوائد 317/1/الحاوي للفتاوي (62/2). وفي رواية أخرى : غلام حديث السن ، خفيف اللحية ، أصفر .. » (الحاوي للفتاوي (2/68) . وفي حديث آخر : « يخرج بالري ، ربعة اسمر ، مولى لبني تميم ، كوسج ، يقال له شعيب بن صالح ، لا يلقاه أحد إلا قتله ،) الفتاوي الحديثية 41 عقد الدرر (30). وفي لفظ آخر: « لوقاتل الجبال الهدها ، حتى ينزل إيلياء (بيت المقدس) ، (البرهان للمتقي الهندي (217).

إذا خريطة الحرب في منطقة «الشرق الأوسط» تكون في أضخم حالاتها، الروم (قوة دولية ضخمة) تنزل فلسطين بقواتها العسكرية، فيما الترك (قوة دولية أقل من الروم) يزحفون نحو العراق (1)، في حين الجيش الخراساني، يكون قد خرج من بيت المقدس على أثر حرب يشارك فيها أطراف دوليون وإقليميون ..

أما الحجاز ..؟

فتكون تحت ضغط هائل من الإنقسام السياسي، بل العسكري والأمني، لفرغ أو هشاشة أو اختلاف على السلطة، ينتهي بمجزرة رهيبية في منى، ثم يؤول الأمر إلى الأسوأ، ولصالح نفوذ السفيناني على الحجاز أو بعضه .

أما الشام ..؟

فتنوء - حسب النصوص - تحت وطأة حرب هائلة، تتعدد فيها الرايات والمسارات، روايات مجتمعة تحدثنا عن قتال السفيناني، للأبقع، والأصهب، والحسني (2) (راية حسنية تكون في الشام)، والراية المغربية، وعن قتال لقوة خراسانية تكون هناك، ثم تحدثنا عن جيش السفيناني يقاتل

ص: 136

1- عبد الرزاق: ج 11 ص 380 ح 20798

2- وهي المقصودة بقول الإمام عليه السلام مع سدير: «يا سدير، الزم بيتك، وأسكن ما سكن الليل والنهار، فإذا [بلغك] أن السفيناني قد خرج فارحل إلينا، ولو على رجلك، قلت: جعلت فداك، هل قبل ذلك شيء؟ قال عليه السلام: نعم، وأشار بيده . بثلاث أصابعه إلى الشام وقال: ثلاث رايات، راية حسنية، وراية أموية، وراية قيسية، فبينما هم على ذلك خرج السفيناني فيحصدهم حصد الزرع ما رأيت مثله قط» [روضة الكافي 264]. وهذه الراية الحسنية غير راية الأبدال التي تثبت وتصمد وتتعاظم .

في العراق ضد العباسي ، ثم ضد الترك والروم، ثم ضد الخراسانيين .. ويبدو أن « حرب الثروة » في قرقيسيا تتطور إلى حد أن الأطراف الإقليمية لا يستطيعون حسم الأمر وإنهاءه، أو أنهم جيوش تابعة لقوى كبرى تصر على موازين و منافع محددة،

لذلك : مع اختلال الميزان المصلحي ، وفي لحظة حرجة، تزحف جيوش الترك إلى العراق ، وكذلك جيوش الروم ، وتقع معارك ضارية ، تتفانى فيها الجيوش ، فيموت من كل عشرة أشخاص تسعة ، ولا يحصل أي واحد منهم على تلك الثروة الضخمة .!

وعن الزمن التقريبي لتطور العلامات التي تنبئ بظهور المهدي الظهور العام ..؟ تذكر الأحاديث أن « شعيب بن صالح » (القائد العسكري الخراساني) يهزم جيش السفيناني في منطقة « اصطخر » الإيرانية في معركة ضخمة ، عندها يرسل السفيناني جيشا آخر إلى الحجاز ، لقتل المهدي عليه السلام بعد علمه بظهوره في المدينة المنورة الظهور الخاص ، فيحتلها ، ويكون المهدي عليه السلام قد خرج منها مع جملة من الهاشميين ، فيهتك الجيش حرمة المدينة ، ويستبيحها ، ويقتل كل من وجد فيها من الهاشميين أو أتباعهم ، ويهرب قسم من الهاشميين وأتباعهم في البيداء ، ويطلبون الجبال .

بعض المتون تشير إلى أنه يهرب منها أهلها في الصيف ، ويجتمع الفارون منه إلى المهدي عليه السلام في مكة . عندها يأمر السفيناني جيشه بدخول مكة فيطلبونها ، ويزحف جيشه عبر البيداء ، وهناك يقع الخسف ، فهم »

جيش الخسف(1)» الذي أخبر به النبي(2) صلى الله عليه وآله.. إذا حروب السفيناني وقوته التي تدوم من أول أمره 15 شهرا، فيما سطوة من أصل هذه المدة تكون 9 أشهر(3)،

على أن أصل ظهور السفيناني حتى جيش الخسف، يكون علامة على الظهور الخاص للمهدي عليه السلام والذي يدوم لأشهر، فيما الخسف نفسه، يشكل علامة على بدء مرحلة الإعلان العام عن الظهور الشريف(4).

ص: 138

1- وفي رواية صحيح البخاري: « يغزو جيش الكعبة، فإذا كانوا يبداء من الأرض خسف بأولهم وآخرهم » [صحيح مسلم 86/3]. وفي رواية صحيح مسلم: « سيعوذ بهذا البيت - يعني مكة - فوم، ليست لهم منعة ولا عدة، يبعث البهيم جيش، حتى إذا كانوا بالبيداء من الأرض خسف بهم، [صحيح مسلم 2210/4].

2- ملاحظة: خلال معارك السفيناني مع الخراسانيين تتسارع العلامات القريبة الدالة على الظهور مثل خروج اليماني في صنعاء، وهلاك حاكم العراق العباسي عبد الله، واختلاف العباسيين عسكريا فيما بينهم على الملك، وانتصار الخراسانيين على السفيناني في المعركة الفاصلة بينهما في منطقة اصطخر. وفي الرواية: « فعند ذلك يتمنى الناس المهدي عليه السلام ويطلبونه ». إشارة إلى ظهوره.

3- وفي حديث الإمام الصادق عليه السلام: « السفيناني من المحتوم، وخروجه من أوله إلى آخره خمسة عشر شهرا، ستة أشهر يقاتل فيها، فإذا ملك الكور الخمس ملك تشعة أشهر ولم يزد عليها يوماً » [البحار 248/52]. وتشير الروايات أن حركة السفيناني الضخمة تواجه خمسة عشر قوة حتى ينهار بعد 15 شهرا. وهي: المرواني. الأصهب. الأبقع. الراية الحسينية في بلاد الشام وهي غير راية الأبدال الشامية. الراية المغربية، الراية العباسية، الراية المصرية. الراية الرومية التي ينقلب عليها فيما بعد. الراية التركية التي ينقلب عليها أيضا. راية الأبدال في بلاد الشام. شيعة الحجاز. الراية الخراسانية. الراية اليمانية، وتكون هزيمته الأضخم على يد الإمام المهدي عليه السلام.

4- وفي الرواية عن محمد بن علي قال: « إذا سمع العائد الذي بمكة بالخسف خرج مع اثني عشر ألفانهم الأبدال حتى ينزلوا إيليا، فيقول الذي بعث الجيش حين يبلغه الخبر بإيليا: لعمر الله لقد جعل الله في هذا الرجل عبرة، بعثت إليه ما بعثت فساخوا في الأرض إن هذا لعبرة وبصيرة ويؤدي إليه السفيناني الطاعة، ثم يخرج حتى يلقي كلبا وهم أخواله فيعبرونه بما صنع ويقولون: كساك الله قميصا فخلعته، فيقول: ما ترون أستقبله البيعة؟ فيقولون: نعم. فيأتيه إلى إيليا فيقول: أقلني، فيقول: إني غير فاعل، فيقول: بلى، فيقول له أتحب أن أقيلك فيقول: نعم، فيقبله، ثم يقول: هذا رجل قد خلع طاعتي فيأمر به عند ذلك فيذبح على بلاطة إيليا. ثم يسير إلى كلب فينهبهم فالخائب من خاب بوم نهب كلب. [الفتن لنعيم بن حماد 215] .. ويتوجه المهدي عليه السلام نحو بلاد الشام، وهي مكونة من ثلاثة ألوية: لواء يتقدمه هو عليه السلام وموقعه القلب، وآخر يتقدمه اليماني وموقعه الميمنة، وثالث يتقدمه الخراساني وموقعه الميسرة، وتنتهي المعركة بقتل السفيناني وتحرير بلاد الشام. وفي رواية عن الإمام علي عليه السلام: « ويعمل عمل الجبارة الأولى - يعني السفيناني - فيغضب الله من السماء لكل عمله فيبعث عليه فتى من قبل المشرق، يدعو إلى أهل بيت النبي صلى الله عليه وآله، هم اصحاب الرايات السود المستضعفون، فيعزهم الله وينزل عليهم النصر، فلا يقاتلهم أحد إلا هزموه، ويسير الجيش القحطاني، حتى يستخرجوا الخليفة وهو خائف فيسير معه تسعة آلاف من الملائكة معه راية النصر، وفي اليمن، حتى ينزلوا دمشق، فيفتحنها أسرع من التماع البرق، ويهدمون سورها، ثم تبنى وتعمر، ويساعدتهم عليها رجل من بني هاشم اسمه اسم نبي فيفتحنها من الباب الشرقي، قبل أن يمضي من اليوم الثاني أربع ساعات، فيدخلها سبعون ألف سيف مسلول بأيدي اصحاب الرايات السود، شعارهم: أمت أمت، أكثر قتلاهم فيما يلي المشرق » [كنز العمال 14 حديث: 39680]. والفني الذي يبعث من المشرق هو شعيب بن صالح، فيما الجيش القحطاني هو جيش اليماني، أما الخليفة فهو المهدي عليه السلام، والرجل المسمى باسم نبي هو « السيد الحسنی »، حليف اليماني والخراساني في فتح دمشق.

وهنا لا بد من الإشارة إلى أن السفيناني يكون حليفا (تابعا للروم)، فيما يجمعه ظرف « المصالح » أحيانا مع الترك ، لكنه في الأصل تابع للروم ، عدو للإسلام ، متنكر لأهل الدين والإيمان . وأنه عبد مصالحه ، لذلك لا شيء عنده مقدس ، حتى الروم ينقلب عليها . تحدثنا بعض المتون عن قتال السفيناني للترك ، ثم عن قتاله للترك والروم ، بقرقيسيا . وهذا يعني تصدع الأحلاف ، وانتهيارها أمام حرب الثروات والمصالح التي تقع في قرقيسيا ..

واللافت أن النصوص تشير إلى خروج سفيناني « أول » ثم سفيناني « ثاني » وهو المخصوص في بيانات النصوص . السفيناني الأول ، مجرم كالسفيناني الثاني ، يقتل النساء والأطفال ، يلغو في الدماء ، لا يفرق بين أحد ، همه قتل آل محمد وشيعتهم ..

ويكون خروج « السفيناني الثاني » بعد معركة عنيفة تقع بين العباسي العراقي والمرواني الشامي ، تقول النصوص : « إن لولد العباس والمرواني الوقعة بقرقيسيا ، يشيب فيها الغلام الحزور ، يرفع الله عنهم النصر ، ويوحى

إلى طير السماء وسباع الأرض اشبعي من لحوم الجبارين ، ثم يخرج السفيناني «(1).

وفي متن آخر عن أبي جعفر عليه السلام أنه « إذا ظهر السفيناني على الأبقع والمنصور اليماني (2)، خرج الترك والروم ، فظهر عليهم السفيناني «(3). ما يعني أن السفيناني يملك من القوة والجند وأدوات القهر والحرب ، ما يستطيع معه قتال كل هذه الفرق ، في أوقات محددة ، وضمن مدة قصيرة ، إلا أنه يتعرض لهزيمة كبيرة من « اليماني » في معركة فاصلة . النصوص تصف اليماني بأنه كاسر عين السفيناني ، أي هازمه وقاسم ظهره . ويبدو أن هذه المعركة معه تكون الأخيرة.

على أن مدة حكم السفيناني وتسارعه لا تتجاوز مدة حمل امرأة (4). وعندها يزحف المهدي عليه السلام من الحجاز ، يخبرنا النص أن المهدي عليه السلام يسيطر على دمشق ، ويبايعه السفيناني ، لكنه يرتد عن بيعته ، ثم يتجهز لقتال المهدي عليه السلام . إلى أن يقتله المهدي في القدس أو في الشام . وفي متون واضحة أنه يقتله بعد معركة طبرية .. فإذا انتهت جبهة السفيناني ، انضمت بلاد الشام إلى الحجاز واليمن والعراق وخراسان وغيرها لتشكّل دولة

ص: 140

1- النعماني : ص 303 - 304 ب- 18 ح 12

2- الظهور على المنصور اليماني هنا ، لو صح النص ، قطعاً هو وقعة خاصة في معركة . على أن النصوص شديدة التأكيد والاعتبار على أن اليماني هو الذي يهزمه ويشتت جنده ، حتى يذبح بعد المعركة الهائلة التي تقع قرب بحيرة طبرية .

3- ابن حماد : ص 59

4- وفي الرواية عن الصادق عليه السلام : « إن السفيناني يملك بعد ظهوره على الكور الخمس حمل امرأة ، (الغيبة للطوسي 273)

المهدي عليه السلام . وتكون تلك النواة الأولى لدولة المهدي العالمية . وتؤكد الأخبار أن المهدي عليه السلام يتخذ الكوفة عاصمة دولته المباركة .

المهدي والروم

يبدو من بعض المتون أن الروم رغم فسقها وفجورها وشدة فسادها وقيادتها لمعسكر الزندقة والآثام ، تظل تختبئ وراء الصليب بهدف تعبئة الغرب وحلفاءه لحرب ضروس ضد الإسلام بقيادة المهدي عليه السلام . ومع بيان الحجج الإلهية على يد المهدي صلى الله عليه وآله ، فإنها تلجأ للسيف ، والتضليل الإعلامي ، والشعوذة وغيرها ، في محاولة منها للتدليس على الناس .

ومن تلك الحجج أن المهدي عليه السلام يستخرج أسفار « التوراة والانجيل » من جبال الشام ، ويدعو إليها اليهود والنصارى ، كما يستخرج التوراة ، وعصا موسى ، ومائدة سليمان ، وتابوت السكينة من انطاكية ويحتج بها على الدنيا من أتباع الفريقين . فتقابلة الروم وحلفاءها بحملة إعلامية كبيرة ، بهدف إبطال أمره ، وتظل المقار السياسية لروما وحلفاءها تضغط الناس باتجاه الحرب إلى أن تقع في فترة حاسمة .

على أن بلاد الشام ، بالإضافة إلى الحجاز والعراق واليمن وخراسان ، والأطراف ، تكون كلها تحت سلطان المهدي عليه السلام ، وهذا ما يثير الروم التي جهز جيشا كبيرا بهدف القضاء على دولة المهدي عليه السلام ،

وتقع « المعركة الكبرى » الموعودة بين المهدي عليه السلام والروم ، على أثر قتل السفيناني ، وبعد هدنة بين الروم والمهدي عليه السلام بل بعد غزو مشترك بين الروم والمسلمين ضد الترك ، ثم تغدر رومية ، وتقتل فئة من المسلمين يستبسلون في قتال الروم في لبنان ، ثم تجهز جيشا كبيرا في بلادها ، فينزلون ما بين عكا وصور ، و تكون معركة عنيفة جدا ، تزحف فيها قوات الروم بقدارتها القتالية وأساطيلها الحربية للقضاء على دولة المهدي عليه السلام في أول أمرها . لكنها تفشل في ذلك فشلا ذريعا .

أما حصار الدجال للمسلمين في الشام ، ونزول النبي المسيح عليه السلام شرقي دمشق ..؟ فهذا الحدث يقع بعد مدة من هزيمة الروم في عقر عاصمتها العالمية ، أي في الغرب ، وليس بعد «الملحمة» في الأعماق (ناحية حلب أو بلاد الشام ، أو الجزيرة العربية) (1) ، كما لا يكون ذلك بعد فشل حملة الروم التي تمتد ما بين عكا وصور ..

إذا ، الدجال يخرج بعد مدة (2) من دخول المهدي عليه السلام وجيشه الكبير إلى الغرب الرومي واحتلال تلك البلاد الظالمة ..

ص: 142

1- ابن حماد : ص 59

2- بعض المتون قدرتها بأشهر ، وبعضها الآخر جاءت صريحة بسنوات مع احتمال التصحيف في اللفظ وهذا ما شرحناه بالتفصيل في كتابنا نهاية أحداث التاريخ البشري .

-فلسطين في آخر الزمن :

شكل فلسطين مهذا لجملة من الأحداث ، بل بعض الأحيان تكون سببة لحرب إقليمية ، أو جزء من سبب حرب إقليمية كبيرة . وتحدد النصوص أمرين أساسيين :

الأول أن الخراساني بعد حرب كبيرة ، يفتح بيت المقدس . إلا أنه لا يبقى فيها ، فينسحب بعد فترة من المعارك الضارية ، بالأخص بعد مهاجمة الترك لبعض الأراضي الخراسانية .

الثاني أن المهدي عليه السلام يحرر بيت المقدس إلى الأبد . ويعلمها أرضا مقدسة مفتوحة لأهل الدين والإيمان . وقد وردت أحاديث عديدة في فضل المسجد الأقصى وبيت المقدس ، وأن تلك الناحية من القرى المحفوظة ، ويبدو واضحة على الأقل أنها تعني بذلك حفظها من دخول الدجال وسطوته إليها ، وأن المهدي عليه السلام يكون فيها ، في لحظة يبدو من طائفة مروية أنها حرجة ، حيث يهاجم جيش الدجال بعض أراضي دولة المهدي عليه السلام فجأة ، ويعلن حربا كبيرة على دولة المهدي في منطقة الشرق الأوسط ، أو على الشريط الخليجي المتصل ببعض الحجاز وبلاد الشام . من يقرأ النصوص يجد أن الدجال يصير على دخول بلاد الشام ، أو بالأحرى القدس ، نعم هو يحاول دخول مكة والمدينة فيفشل ، فيوجه جيشه نحو

ص: 143

فلسطين . ولقد أخبر النبي صلى الله عليه وآله المسلمين منذ المن الأول بفتح فلسطين ، وبشر بذلك ، مؤكداً أنه يأتي زمان عليها ، يكون فيها خيار عباد الله تعالى . وقد أوضحت النصوص ذلك ببيانها أن المهدي عجل الله تعالى فرجه شريف هو الذي يكون فيها، في تلك اللحظات الحرجة من الهجوم الكبير الذي يقوده الدجال وحلفاءه ..

لذلك : أول معارك المهدي الكبيرة تقع مع السفيناني وجبهته ، ومع هزيمة السفيناني ، تتحرك الروم ، وتقع جملة من معارك ، تنتهي بهدنة، ثم تنقلب الروم وتغدر ، فتقع معارك شديدة بينها وبين دولة المهدي عليه السلام ، منها معركة الغدر التي يغدر فيها جيش الروم في لبنان ، ثم المعركة التي تمت فيها أساطيل الروم ما بين صور وعمكا (1)، ثم ملحمة « الأعماق الكبرى » في بلاد الشام أو الجزيرة ، إلى أن تقع « المعركة النهائية » ما بين جيش المهدي عليه السلام وجيوش الغرب ، في عقر دار الغرب ، وتنتهي بهزيمة هائلة ونهائية في جانب الروم . نعم تقع معركة كبيرة مع جبهة الترك . النصوص تخبرنا بأن الترك يهزمون على يد المهدي عليه السلام . ويكون ذلك قبل زوال جبهة الروم . وفي بعض المتون إشارة إلى حروب « فرعية » مهمة ، لم تحدثنا النصوص عنها بالتفاصيل ، لكنها أشارت إليها وإلى انتصارات المهدي عليه السلام.

ويكون خروج الدجال بعد مدة من هزيمة الروم . هذه المدة روايات حددتها بأشهر ، وأخرى حددتها بسنوات ، وهي إما ترميز ، أو

ص: 144

1- ابن حماد : ص 142

إشارة إلى وثبات أو محاولات أو تقطيع في الرواية أو اشتباه أو تصحيف ، وإلا فإن الصحيح كما يبدو هو سنوات وليس أشهراً ..

المهم أن جبهة الدجال تخرج بعد مدة من هزيمة الروم ، وبذلك تخبرنا المتون عن تجمع فلول الروم ، وجملة أخرى من الجبهات الفرعية تحت جبهة الدجال الذي يخرج من شرقي أوروبا أو بعض نواحي آسيا الوسطى أو جنوب آسيا ، أي من منطقة دول الإتحاد السوفياتي السابق (1).

ويظهر أن جبهته أول الأمر تكون قوية وقادرة ، تستطيع - وفق بعض الروايات - اجتياح قسم من مناطق الشرق الأوسط التي تكون تحت سلطان المهدي عليه السلام ..

ويبدو واضحاً أن القدس تتألق في ذلك الزمن . لذا تحدثنا بعض الأخبار عن فضل القدس وبعض مناطق فلسطين ، مؤكدة أنه يأتي زمان تكون فيه بسطة قوس من أرض بيت المقدس خيراً من الدنيا ، وكذا نابلس . إشارة منها إلى الشأن الذي تصل إليه .

ص: 145

1- خروج الدجال كرئيس دولة ، خروجه من الخلة يكون كفتنة يفسد يمنا وشمالاً . أما عن خروجه من خراسان قال القزويني - في حدود خراسان - : شريها ما وراء النهر (أي نهر جيحون وتقع وراء بخاري) وقصبتها مرو ويلخ ، وهره ونيسابور [آثار البلاد . القزويني 361]. والذي يعنينا هنا هو مرو ، لأنها منها حسب هذا النص الضعيف يخرج الدجال ، وفي الحديث النبوي : « يخرج المسيح الدجال من مرو من يهودينها » (نعيم بن حماد كنز 14/599). ومرر تقع داخل الحدود السوفياتية ضمن إقليم « تركمانستان » ، وتعتبر مرو رأس مثلث يتكون منها ومن مدينتي خاردزو واشخاباد . يقول القزويني - عن جبل في إقليم خراسان - : فيها جبل كلستان ، فيه كهف شبه قصر ، فيه دهليز يمشي فيه الإنسان منحنيا مسافة ثم يظهر آخره ضوء ، ثم يتبين أنه محوط يشبه حظيرة فيها عين ينبع الماء منها وينعقد عليها حجر مثل القضببان وفي هذه الحظيرة ثقب يخرج منه ريح شديدة ولا يمكن أن يدخله أحد من شدة الريح .. » [آثار البلاد : 362]

وفي متون أخرى تركز على ما يؤول إليه الأمر في بعض الأوقات بعصر الغيبة من طغيان يصب على فلسطين ، ثم تشير إلى أهل الحق الذين يجتمعون على راية الخراساني من قبل ، ثم راية المهدي عليه السلام ، في وجه الطغاة الذين يكون آخرهم الدجال . فقد ورد التأكيد على « الرباط » في عسقلان ، كما ورد أنه لا تزال طائفة ثابتة على الحق في بيت المقدس وما حوله . إشارة إلى أحداث مختلفة ، فالرباط ، في وجه العدو يكون بمواجهة اليهود أول الأمر ، ثم تفتح جيوش الخراساني بيت المقدس ، وتقع معارك ضارية ، تقودها اليهود والروم والراية المغربية ثم السفيناني بوجه الخراسانيين ، وتنتهي بخروج الخراسانيين من بيت المقدس ، أي من فلسطين (1) ، بعد دخول الترك مع هذا الحلف الإقليمي الدولي ، بوجه أهل خراسان ، فتهاجم فجأة أراضي خراسان ، عندها يزحف الجيش الخراساني إلى بلاده ويخوض أكبر ملاحم التضحيات للدفاع عن أرضه ، ويكون ذلك

ص: 146

1- يبدو من النصوص أن سبب خروج الخراسانيين من فلسطين يعود لأمرين : الأول نجاح السفيناني في السيطرة على عرش دمشق وقيادة جيش كبير لقتال الخراسانيين في فلسطين بالإضافة إلى حلف إقليمي دولي ، والثاني مهاجمة الترك للأراضي الخراسانية . وفي الرواية : « يبائع السفيناني أهل الشام ، فيقاتل أهل المشرق ، فيهزمهم من فلسطين » [الفتن لنعيم بن حماد 176] . وفي رواية أخرى : « ثم يرجع - أي السفيناني - فيقاتل أهل المشرق حتى يردهم إلى العراق » [عقد الدرر 52] . ويستمر السفيناني في إعلان حربه على الخراسانيين بعد إخراجهم من فلسطين إلى العراق ، حيث تجري بينهما أشهر الملاحم ، ثم يصطدم معهم في معركة هائلة في منطقة اصطخر الإيرانية وفي الرواية عن الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام : « إذا خرجت خيل السفيناني إلى الكوفة ، بعث في طلب أهل خراسان ، ويخرج أهل خراسان في طلب المهدي ، فيلتقي هو والهاشمي برايات سود ، على مقدمته شعيب بن صالح ، فيلتقي هو وأصحاب السفيناني بباب اصطخر ، فتكون بينهم ملحمة عظيمة ، فتظهر الرايات السود ، وتهرب خيل السفيناني ، فعند ذلك يتمنى الناس المهدي ويطلبونه ، [كنز العمال 14 / حديث 39667] . بحيث ينهزم جيش السفيناني بشكل هائل أمام جيش الخراسانيين ، وهذا يشكل منعطفًا تاريخيًا في أحداث عصر الظهور .

في فترة تبدأ فيها ارتسامات معالم الظهور القريب جدا للمهدي عليه السلام .. إلا أن الترك يعانون من القدرة الخراسانية في الدفاع عن أرضها ، لذلك تحدثنا النصوص عن زحف الترك من الأراضي التي يحتلونها في إيران نحو العراق ، طمعا في السيطرة على ثروة قرقيسيا . وهروبا من المأزق الإيراني .

وهناك تقع الملحمة الشهيرة التي تأكل منها طيور السماء وتهزم فيها الترك والروم فيما قوة خراسان تتصاعد إلى درجة أنها هي التي تعيد صناعة جملة من الأحداث في طول هذه المنطقة . وتحت قيادة المهدي عليه السلام تعود ثانية لتحرر القدس ثانية ، في ظل تراجع واضح جدا في نفوذ الروم والترك في منطقة الشرق الأوسط ونواحيها.

وهناك نص لافت يخبرنا أن « بيت المقدس » يعمر قبل تخريب السفيناني يثرب (أي المدينة المنورة) . وهذا يعني فيما يحضرنى من نصوص أن الجيش الخراساني الذي يحرر بيت المقدس ، يعله أرضا لكافة المسلمين ، ويقوم أمر الله فيه ، فتصبح القدس محجا لمحبي دين السماء . [هذا احتمال تفسيري بهدف بناء صورة تتناسب وهذا الحديث الذي يتحدث عن عمارة بيت المقدس] ..

نعم النصوص تؤكد أن المهدي عليه السلام ينزل في بيت المقدس ويكون ذلك التحرير الثاني له ، بعد تحرير الخراسانيين له أول مرة ، ثم لتشير إلى أن المهدي عليه السلام هو الذي يبني بيت المقدس بناء لم يبن مثله ، ويكون حرسه اثنا عشر ألفا أو ستة وثلاثين ألفا . ومعه يصبح بيت المقدس محج أهل

الدنيا . واللافت ما تضمنته النصوص من أن المهدي عليه السلام يرد حلي بيت المقدس وكنوزه إليه من إيطاليا .. كما تخبرنا المتون أن فلسطين يكون فيها بعض ذخائر الأنبياء عليهم السلام وأن المهدي عليه السلام يستخرج « تابوت السكينة » من بحيرة « طبرية » ويوضع أمامه في بيت المقدس ، فيسلم على يده كثير من اليهود .

فتح الهند والصين

اللافت في خطوط جبهات الحرب ، أن جبهة الهند أو جبهة في الهند، أو شبه القارة الهندية تتحرك وتعلن عداها للمهدي عليه السلام أو انضمامها إلى محور الجبهات المناوئة للمهدي عليه السلام ، ولا نعرف تفاصيل واضحة عن حركة جيشها ، أو أفاعيلها ، لكن النصوص تخبرنا عن ظرف طارئ ، على أثره يرسل المهدي عليه السلام جيشا إلى الهند ، فيفتحها، وذلك قرب خروج الدجال .

وهذا يعني أن الجبهات المناوئة للمهدي عليه السلام بعد هزيمة الروم، تزحف نحو بعضها ، لإعلان قوة كبيرة في وجه المهدي ، ولا نستبعد أن تكون جبهة الهند ، المشروع المتقدم آنذاك لإعادة تكوين جبهة قوية ، القتال المهدي أو الإعداد لذلك ، أو إعلان الحرب بشكل مباشر .. المهم أن النصوص تخبرنا عن اصطدام بين جيش الهند و جيش المهدي عليه السلام ، وذلك بعد هزيمة الروم ، ولا ندرى المدة بالتفصيل ، لكن قبل خروج الدجال ..

أيضا تخبرنا النصوص عن فتح الصين ونواحيها دون تفاصيل زمنية أو جبهوية ..

جبهة الدجال

الأکید - حسب مضامين المتون المروية - أن جبهات فرعية عدة، تؤسس جبهة حرب كبيرة، يبدو أن وجهها شرق أوروبي، أو شرق أوروبي آسيوي لجهة آسيا الوسطى أو جنوب آسيا مثلا، واللافت أن اليهود تكون لهم الخطوة الرئيسية في هذه الجبهة، في حين فلول الروم والترک وجبهات فرعية أخرى كلها تنضوي تحت هذه الراية، وتعلن « حربا كبيرة » على دولة الإمام المهدي عليه السلام

وعلى أثر تطورات كبيرة في تكوين « جبهة حرب » كبيرة بوجه دولة المهدي تعلن راية الدجال حربها فجأة على دولة المهدي، وترحف بقوة نحو قسم من أراضي دولته فتحتل قسما منها و تتجه نحو مكة والمدينة، فتفشل في فتحهما، عندها تقرر الزحف نحو القدس، ويكون الإمام المهدي عليه السلام هناك، في تلك اللحظات التاريخية، وقد يكون وجوده هناك لأسباب تتعلق بإدارة العمليات العسكرية وشبهها .. ويظهر في المخطط العسكري أن القضاء على المهدي يعني قضاء على دولته، فيزج الدجال بكل قدراته الحرية للقضاء على المهدي ودخول بيت المقدس، وهذا ما يفشل به، على أن جيش المهدي عليه السلام آنذاك يكون منتشرا في الغرب وفتح له، لكن مخطط الدجال يركز على هدف كبير، يتلخص في القضاء

ص: 149

على المهدي عليه السلام خاصة أن جيشه منتشر بنسبة كبيرة في الغرب والمناطق الواسعة التي فتحها ، لذا ، فإنه ينقض فجأة على المنطقة الممتدة في شريط يمر عبر بعض الأراضي الإيرانية ، نزولا نحو بعض دول الخليج ، وصولا إلى أراضي الشام ، فالحجاز ، ثم محاصرة بيت المقدس طلبا للمهدي عليه السلام ..

تشير بعض النصوص إلى أن تلك اللحظات السريعة تكون حرجة ، لكنها غير مستحيلة ، وتؤكد أن جيش المسلمين في القدس وفلسطين يصمد بقدرات هائلة ، حتى يعجز الدجال عن التقدم نحو مراده .. إلى أن تحدثنا عن نزول النبي عيسى المسيح عليه السلام على المهدي عليه السلام بيت المقدس عند الفجر ، في وقت يكون فيه المسلمون عند نزوله يقاتلون الدجال بإمامة المهدي عجل الله تعالى فرجه شريف ..

وعلى الأثر ، ودون سرد للتفاصيل ، تؤكد بعض المتون المروية أن المسيح عليه السلام يقود جيش المهدي عليه السلام فيفرق جبهة الدجال ، ويمزقها تمزيقا ، حتى أنه يذيب الدجال تذويبا !. تعبير ، ربما لا نجد مثيلا له اليوم إلا في الحرب الهيدروجينية ، وهذا لا يعني التماثل بالضرورة ، لكن النص يحدثنا عن أن الدجال يذوب ذوبانا ، ويقع القتل باليهود ، ويبدو من الأخبار المروية أنهم يكونوا منتشرين في مواقع قتالية ، فيفرون بشكل مخيف من تلك المعركة ، لكنهم يكشفون ، حتى الحجر يقول : يا مسلم ، هذا يهودي فاقتله . على الأقل : في هذا إشارة إلى انكشافهم ، وانهيائهم ، وافتضاح أمرهم وهزيمتهم النكراء ..

الحجاز مهد النبوة العظمى ، والرسالة الخاتمة ، ففي مة بعث الله محمد نبيا ، وفي المدينة أسس رسول الله صلى الله عليه وآله دولة الإسلام المباركة، ومنها توسعت الهداية إلى أنحاء المعمورة ..

وستكون الحجاز مهد أعظم نبأ في آخر الزمان ، حيث يتم الإعلان عن الظهور العام للمهدي المنتظر عجل الله تعالى فرجه شريف . أيضا تخبرنا الأحاديث عن أن المدينة المنورة ستشهد الظهور الخاص للمهدي عليه السلام والذي يدوم لأشهر ، ربما 11 شهرا ، يتردد خلاله بين المدينة ومكة(1) ، إلى أن يتم الإعلان العام عن ظهور المهدي عليه السلام والبيعة العامة له ، وذلك بعد وقوع الخسف بجيش السفيناني في بيداء المدينة ..

إذا ، التاريخ يحدثنا عن مكة والمدينة كموقعين كبيرين ، ففي المدينة المنورة الظهور الخاص للمهدي عليه السلام، وفي مكة المكرمة الظهور العام للمهدي عليه السلام والإعلان « الأعظم » عن بيعة المهدي في ذلك الزمان وبدء المرحلة التاريخية الكبرى .. ومن تلك العلامات على ظهوره عليه السلام : عمود من « نار » يطلع من قبل المشرق في شهر رمضان ، ربما إشارة إلى

ص: 151

1- ظاهر بعض الروايات أن البيعة الأولى بين المهدي عجل الله تعالى فرجه شريف وأصحابه تتحقق في المدينة .

حرب ضروس ، أو أثر من لهيب عسكري كبير ، المهم أن نارا تطلع من المشرق ، من الحجاز ، وتكون علامة بينة من علامات الظهور المبارك . على أن العلامات كثيرة ، منها : موت الحاكم العباسي القوي (1) ، واختلاف جماعته على الملك (2) ، وانسياب الترك على أرض المسلمين (خراسان) ،

ص: 152

1- وفي الروايات تأكيد على أن موت الحاكم العباسي من العلامات القريبة ، ففي رواية محمد بن الصلت قال قلت لأبي عبد الله عليه السلام : « ما علامة بين يدي هذا الأمر (أي ظهور المهدي) ؟ فقال عليه السلام : بلى ، قلت ما هي : قال ، هلاك العباسي ، وخروج السفيناني ، وقتل النفس الزكية ، والخسف في البيداء ، والصوت من السماء » (الغيبة للنعماني 267) . وفي رواية عمرو بن أبي المقدم عن أبي جعفر عليه السلام قال : « يموت سفيه من آل العباس بالسر ، يكون سبب موته أنه ينكح خصيا فيذبحه ، ويكتم موته أربعين يوما ، فإذا سارت الركبان في طلب الخصي لم يرجع أول من يخرج إلى آخر من يخرج حتى يذهب ملكهم » (كمال الدين 267) . وفي رواية أبي بصير عن أبي عبد الله عنه قال : بينما الناس بعرفات إذا أتاهم راكب على ناقه ذعلبة ، يخبرهم بموت خليفة ، يكون عند موته فرج آل محمد صلى الله عليه وآله ، وفرج الناس جميعا (الغيبة للنعماني 267) . وعن أبي بصير قال سمعت أبا عبد الله يقول : « من يضمن لي موت عبد الله أضمن له القائم . ثم قال : إذا مات عبد الله لم يجتمع الناس بعده على أحد . ولم يتناه هذا الأمر دون صاحبكم إن شاء الله . ويذهب ملك السنين ويصير ملك الشهور والأيام » (الغيبة للطوسي 271) . على أن النقاش يبقى في استفادة موت حاكم حجازي من بعض المتون ، وهو أمر ممكن وفي بعضها أمر لافت ، على الأقل الإنقسام السياسي الأمني والهشاشة في الحجاز تكون من العناوين المؤكدة .

2- روايات اختلاف بني العباس على السلطة كثيرة ، منها : عن أبي عبد الله عليه السلام قال : « لا ترون ما تحبون حتى يختلف بنو فلان فيما بينهم ، فإذا اختلفوا طمع الناس فيهم وتفرقت الكلمة وخرج السفيناني » (روضة الكافي 224) وقال أبو جعفر عليه السلام : « لقائم آل محمد غيبتان ، إحداهما أطول من الأخرى ، فقال عليه السلام : نعم ، ولا يكون ذلك حتى يختلف سيف بنو فلان ، وتضيق الحلقة ، ويظهر السفيناني ويشتد البلاء ويشمل الناس موت وقتل ، يلجأون فيه إلى حرم الله وحرم رسوله صلى الله عليه وآله » (الغيبة للنعماني 172) . وفي رواية يعقوب السراج قال : قلت لبي عبد الله عليه السلام : « متى فرج شيعتكم ؟ قال عليه السلام : إذا اختلف ولد العباس ، ووهى سلطانهم ، وطمح فيهم من لم يكن يطمح فيهم ، (روضة الكافي 244) . وأن ذلك يكون في آخر الزمن وتكون معركة هائلة بينهم ما بين الكوفة والحيرة ، وفي حديث الإمام زين العابدين قال : « يا جابر ، لا يظهر القائم عجل الله تعالى فرجه شريف ، حتى يشمل الناس بالشام فتنة يطلبون المخرج منها فلا يجدونه ، ويكون قتال بين الكوفة والحيرة ، قتلاهم على سواء ، ينادي مناد من السماء ، (الغيبة للنعماني 279) . وذلك بأعقاب موت الحاكم العباسي القوي عبد الله . * إذا الروايات تؤكد موت الحاكم العباسي القوي عبد الله ، ثم خلاف هائل بين الجماعة الحاكمة ، ثم تطورات إقليمية كبيرة ، منها زحف السفيناني لاحتلال العراق ، فزحف الخراساني لكسر جيروت الطغيان السفيناني والعباسي معا ، فقد ورد في الرواية عن الباقر عجل الله تعالى فرجه شريف قال : « لا بد أن يملك بنو العباس ، فإذا ملكوا واختلفوا وتشتت أمرهم ، خرج عليهم الخراساني والسفيناني ، هذا من المشرق ، وهذا من المغرب ، يستبقان على الكوفة كفرسي رهان ، هذا من ههنا ، وهذا من ههنا ، حتى يكون هلاكهم - العباسيين - على أيديهما أما أنهما لا يقون منهم أحدا أبدا ، (الغيبة للنعماني 259) . وفي رواية أبي بصير عن الإمام الباقر عجل الله تعالى فرجه شريف قال : « ثم يتملك بنو العباس ، فلا يزالون في عنفوان من الملك وغضارة من العيش حتى يختلفوا فيما بينهم ، فإذا اختلفوا ذهب ملكهم ، واختلف أهل المشرق وأهل المغرب » (الغيبة للنعماني 262 - البحار . 235/52) .

وخسوف و كسوف للشمس والقمر في نفس شهر رمضان على غير عادة وخلاف القانون العلمي ، وشروق الشمس من مغربها ، وقتل النفس الزكية في مكة ، وخروج السفيناني ، ومذنب سماوي ، وصوت في السماء ينادي بالمهدي لك وظهوره عجل الله تعالى فرجه شريف ، وغيرها من العلامات الطبيعية والكونية والبشرية والإعجازية ..

وبخصوص نار الحجاز ..؟

يبدو أنها حدث كبير ، خاصة أن الروايات تحدثنا عن انقسام وهشاشة ، وفوضي ، واضطراب أمني وسياسي ينتهي بمذبحة في منى بموسم الحج (1). كما تخبرنا المتون عن امتناع النبي صلى الله عليه وآله عن الدعاء بالبركة النجد ، لأنها يطلع منها قرن الشيطان .. واللافت ما أشارت إليه طائفة من النصوص مفادها أن الإيمان « يارز » في آخر الزمان إلى مكة والمدينة . أرجح تفسير أن ذلك إشارة إلى ظهور المهدي عجل الله تعالى فرجه شريف في تلك الناحية العظيمة ، وزحف الناس والقيادات والقوى نحو هذه الأماكن المباركة لبيعة المهدي عليه السلام. ولعل فترة سيطرة السفيناني على بلاد الشام إلا منطقة الأبدال ، وانتشار نفوذه في قسم من الحجاز ، ودخوله إلى العراق ، وفلسطين ومصر ، مع إعلانه العداء الكامل للدين ومناصرته الكبيرة للمنكرات والمفاسد،

ص: 153

وزحف الترك والروم إلى قرقيسيا(1)، لعلها إشارة واضحة إلى انحسار الإيمان ، وتموضعه في مناطق قليلة ، على أن آخر الزمان بصورة عامة يشهد انحسارا ضخما في الإيمان ، أو أن النص يرمز إلى بقاء مكة حيث الكعبة ، والمدينة حيث ضريح النبي صلى الله عليه وآله كرمز إيماني ، فيما النواحي والكيانات الأخرى على فسق وانحراف وأباطيل . أو لعل في ذلك إشارة إلى سيطرة الدجال أول أمره على قسم من النواحي ، فيما يحاصر مكة والمدينة ، ويحاول اختراقها واحتلالها للقتل والسفك والتدمير لكنه يفشل . كل هذه فيها دلالات رمزية على المعنى الوارد في لسان النبي صلى الله عليه وآله ولكنها متفاوتة، والأرجح جدا الإحتمال الأول خاصة أن المهدي عليه السلام يظهر الظهور الخاص في المدينة ، والظهور العام في مكة ..

لذا فإن الحجاز تشكل زمن ظهور المهدي عليه السلام واستتباب أمره ، رمزا كبيرا لأهل الإيمان ، في عالم مضمحل من أهل الدين ، متكثر بأهل الفسق والفجور إلا من قلة على مذهب أهل الحق وأتباع المهدي عجل الله تعالى فرجه شريف ..

ذبح النفس الزكية

خط الأحداث أول الأمر يشير إلى محطات ملتعبة ، منها أن أهل الحجاز (سلطنة مكة) يقتلون « النفس الزكية » التي تغضب لها السماء ، وتكون النفس الزكية الهاشمية من أهم أنصار الإمام المهدي عليه السلام ، ويكون

ص: 154

1- النعماني : ص 249 ب 1ف4 4*فتن السليبي : على ما في ملاحم ابن طاووس . - : ملاحم ابن طاووس : ص 124 ب- 39 - بشارة الاسلام : ص 45 ب 1 -

صاحبها رسول المهدي عليه السلام إلى القوم ، فيأخذونه ويذبحونه ذبحا بين الركن والمقام . هذا يحصل قبل الإعلان العام عن ظهور المهدي ، خاصة أنها تتم مراسلات بين السفيناني وحاكم مكة ، وكذا بين السفيناني وحاكم المدينة .

وفي مراسلة بين السفيناني وحاكم مكة يأمره أن يأخذ المهدي عليه السلام فيقتله . إلا أن سلطة مكة لا تتمكن من المهدي عليه السلام . لذا فإنها تأخذ رسول المهدي فتذبحه ..! ويكون ذلك قبل الإعلان العام عن بيعة المهدي عليه السلام بأربعة عشر يوما .

كما أن جيش السفيناني يدخل المدينة المنورة فيهتك حرمتها ويستبيح قداستها ، ويفتك بني هاشم وأتباع أهل البيت عليهم السلام فيهجرها أهلها .. وهذا يعني كما يظهر أن ذبح الحسيني ، يقع قبل الخسف بجيش السفيناني الذي يخرج من المدينة نحو مكة لقتل المهدي عليه السلام . كما تخبرنا المتون بوضوح إلى أن فراغ أمينا ، سياسيا ، يقع في الحجاز ، وأن فريقين نافذين ينقسمان هناك ، في خلاف على حكم أو على طبيعة حكم ، وتبدو الحجاز ضعيفة السلطة ، منقسمة على نفسها ، في ظل اضطراب صامت ، وهشاشة واضحة ، فإذا جاء النبا بموت الخليفة ، وقع اصطدام عسكري دموي في منى بموسم الحج .

وهنا يقع الإشتباه بأنه أي خليفة هو الذي يموت .؟ خليفة العراق أم خليفة الحجاز .؟ ومهما يكن من جواب ، وإن كان يبدو من طائفة أن موت

«الحاكم العراقي» له أثر ونتائج كبيرة، إلا أن قراءة نصوص ما يجري في الحجاز تؤكد: إماموت خليفة، أو شبه ذلك، أو انقسام سلطوي أممي سياسي، يؤدي إلى إضعاف الفريقين، المهم أن النصوص تخبرنا أن الحجاز تكون هشة، ضعيفة، منقسمة على نفسها، فما أن يأتي الخبر بموت ذلك الخليفة حتى تقع معركة دموية في منى من موسم الحج. بين فريقين، بعض المتون عبرت عنها با «قبائل الحجاز» لتشير إلى صراع على السلطة بين الأفخاذ مثلا، ويمكن جدا أن يكون الصراع على السلطة لأسباب مختلفة غير موت حاكم، مثل استضعاف الحاكم أو الانقلاب عليه، أو الانقلاب على أطروحتة أو الوقوف بجانب السفيناني أو قوة إقليمية أخرى، خاصة أن النصوص تحدثنا عن نفوذ متزايد للسفيناني في الحجاز أول أمره..

نعم، الخلاف في الحجاز والهشاشة والانقسام يظل مستمرا حتى يقع النداء السماوي باسم المهدي عليه السلام، في حين يبعث السفيناني بجيشه إلى المدينة ليقتل المهدي، فيخرج المهدي مع جملة من الهاشميين والخواص إلى مكة، عندها يأمر بجيشه أن يتابع زحفه نحو مكة، فيقع به الخسف في ببدأ المدينة كما أخبر النبي صلى الله عليه وآله.

وبذلك يضعف نفوذ السفيناني بشدة في الحجاز، ويتم الإعلان عن الظهور العام للمهدي عجل الله تعالى فرجه شريف كما تتم البيعة للمهدي في مئة دون إهراق محجمة دم.. ما يعني انهيارا سريعا للسلطة الأمنية في مكة. وعلى أثر الإعلان عن ظهور المهدي عليه السلام تتأسس جبهة المهدي الحجازية وترحف

القوى والأنصار من الأطراف لبيعته عليه السلام والإنصواء تحت رايته . على أن هناك رواية تقول بأن المهدي عليه السلام يتوجه من الحجاز حتى يستوي على منبر دمشق .

وهنا يبقى النقاش :

هل يدخل دمشق قبل دخوله العراق ، أم العكس .؟ يبدو من لسان طائفة مروية أنه عليه السلام يدخل العراق ومنها يقصد دمشق إلا أن يتم الجمع مع المتون التي تقول بأن السفيناني يبايعه بعد الزحف ثم ينكل بعد ذلك .. وفي الحجاز يحاول فريق معاد للمهدي عليه السلام أن يقاتله ، ويعمد إلى ذلك بهدف القضاء على المهدي ، فيقضي المهدي عليهم . على أن لسان طائفة مروية يشير إلى توأطهم أو نزولهم على حكم السفيناني أو الانتصار له . المهم أنهم أعداء آل محمد وناصبون العداة والحرب في وجههم، لذلك يحاولون القضاء على جبهته بأول مهدها ، فيقاتلون المهدي عليه السلام فيقضي عليهم . .

وبعد صفاء مكة والمدينة والحجاز على أمر المهدي المنتظر عليه السلام تخبرنا الأحاديث أن أهل المدينة المنورة يشاركون مع جيش المهدي عليه السلام في الملحمة الشهيرة مع الروم ، كما يقاتل قوم منهم الدجال . ومع نهوض دولة المهدي عليه السلام التي تمت أول أمرها ، من الحجاز ، فاليمن ، والعراق ، وخراسان ، وصولاً إلى بلاد الشام والنواحي والأطراف ، تعود أرض العرب مروجة وأنهاره ، خاصة ما بين العراق ومكة ..

ص: 157

تشكل « اليمن » في لحظة تاريخية ، جزءاً من جبهة المهدي عليه السلام ، كما يشكل اليماني ميزان قوة وثبات ، وقدرة على الفتك بالسفياي وغيره من رايات الجور والظلام . وقد وردت عدة أحاديث في مدح أهل اليمن ، والثناء على اليماني ، على أن النصوص لا تحدثنا عن راية يمنية تاريخية أو دولة سابقة ذات ولاء لآل محمد، كما هي راية الخراساني ، فالراية الخراسانية قديمة ، ولها جذور وحضور ، مشهورة بولائها لآل محمد عليهم السلام ، ما يعني أن الراية اليمانية تقوم فجأة ، أو تتهاى بسرعة ، تعلن ولاءها لآل محمد عبر اليماني الذي يفيض حب وولاء لآل محمد ، ويقود راية اليمانيين(1).

ويبدو أن شيئاً من العلامات الكبيرة التي تشير إلى قرب ظهور المهدي عليه السلام ، فضلاً عن ارتسام علامات الظهور المهيبة، مثل النداء

ص: 158

1- في وصفهم قالت الرواية : « قوم رقيقة قلوبهم ، راسخ إيمانهم ، ومنهم المنصور ، يخرج في سبعين ألف ينصر خلفي وخلف وصيي .. (الغيبة للنعماني 39). وقال صلى الله عليه وآله لمعاذ بن جبل حينما أرسله على أهل اليمن واليا : « بعك على قوم رقيقة قلوبهم ، يقاتلون على الحق مرتين ، (مجمع الزوائد 55/10). وفي حديث آخر شديد الصراحة في قتالهم آخر الزمان مع المهدي قال صلى الله عليه وآله : « ولله في اليمن كنزان ، جاء بأحدهما يوم تبوك ، كانت الأزدي يومئذ ثلث الناس ، ويجي بالآخر يوم الملحمة العظمى ، سبعون ألفة ، حمائل سيوفهم المسد ، (عقد الدرر 215) ومعلوم أن الأزدي عشيرة يمنية ، كان لها الثقل الأكبر عدة وعددة في غزوة تبوك في وجه الروم بقيادة رسول الله صلى الله عليه وآله وسيكون لهم الثقل الكبر جدة يوم الملحمة العظمى ، يوم نصرته المهدي عليه السلام في وجه الروم بأخر الزمان .

السماوي من قبل جبرائيل بظهور المهدي عليه السلام الذي يقع في شهر رمضان ، فيما الظهور المبارك يقع في شهر محرم من نفس العام ، كل هذا يساعد اليماني على تشكيل جبهة ولاء لآل محمد (1)، تعلن تقاينها في جانب أهل البيت(2) عليهم السلام .

بعض المتون تشير إلى أن اليماني الذي هو من خواص أصحاب المهدي عليه السلام يكون على اتصال بالمهدي عليه السلام وقت ظهوره الخاص ، وأنه هي ذلك الجيش وينظمه بأمر من المهدي عليه السلام، ما يعني أن القائد الفعلي لذلك الجيش هو المهدي لكن بطريقة غير مباشرة عبر اليماني(3).. بعض المتون تحدثنا عن أن « المهدي عليه السلام » واليماني والسفياي يخرجان في عام

ص: 159

1- قال الإمام الصادق عليه السلام - في وصف الراية اليمانية - : « وإذا خرج اليماني فانفض إليه ، فإن رايه راية مدي ، ولا يحل المسلم أن يلتوي عليه فمن فعل ذلك فهو من أهل النار ، لأنه يدعو إلى الحق وإلى صراط مستقيم ، (الغيبة للنعمانى 253)

2- الروايات التي تحدد صنعاء بخصوص مكان الثورة اليمانية الإمامية مستفيضة ومروية من طرق الفريقين ، لكن هل تنطلق من هناك أم تكون عاصمة هذه الراية أو رمزية لجبهة ما ، كله ممكن .

3- تكثر الروايات الإمامية التي تطلق على اليماني إسم « منصور » : ففيها تقول : « إذا ظهر السفياي على الأبقع والمنصور اليماني خرج الترك والروم فيظهر عليهم السفياي » (كنز العمال 11 - حديث 31509) ، « إذا ظهر السفياي على الأبقع وعلى المنصور الكندي والترك والروم خرج وسار إلى العراق ، (كنز العمال 11 - حديث : 31511) . وفي وصف معارك السفياي قال : « ثم يسير المنصور اليماني من صنعاء بجنوده .. ثم يظهر الأخوص السفياي عليه ، (الفتن 174) . ويمكن أن يكون تعبير « المنصور » ، مجازيا وناظرا إلى الدور الذي يقوم به . نعم هناك رواية ذكرت اسمه مرتدة بين حسن وحسين : « يخرج ملك من صنعاء ، إسمه حسين أو حسن ، فيذهب بخروجه غمر الفتن ، يظهر مباركا زاكيا ، فيكشف بنوره الظلماء ، ويظهر به الحق بعد الخفاء ، (البحار 52 / 162) في حين هناك رواية أخرى سمته ب- : نصر كما سمته « سعيد » ، ككنية أو لقب وصفي فقالت : « إنما سمي نصر لنصر الله له » ، والرواية أخرجه ابن عساكر عن النبي صلى الله عليه وآله قال : صاحب الأعماق الذي يهزم الله العدو على يديه [إسمه] نصر ، ثم قال : إنما سمي نصر لنصر الله إياه فأما اسمه فسعيد ، (كنز العمال 11 - حديث 31443 عن ابن عساكر) . ملاحظة : غالب الروايات الإمامية تطلق عليه إسم منصور .

واحد في شهر واحد. وهذا يقوي مضامين النصوص التي تؤكد صلة اليماني المباشرة بالمهدي زمن الظهور الخاص (1). وعليه : الأحاديث تمدح اليمينيين الذين يعلنون ولائهم للمهدي عليه السلام ، ويشير بعضها إلى أن من « الابدال » عصائب بساحل اليمن ، تكريما لهم ، وإشارة إلى عظيم دورهم في تلك اللحظة التاريخية (2).

بعض الأخبار تحدثنا عن أن « نجران » من القرى المباركة المحفوظة ، وأن اليماني يكون من أنصار المهدي عليه السلام ، وأنه كاسر عين السفيناني (3) ، وأنه يخوض جملة من معارك رئيسية . ويظهر من بعض المتون أنه يلتحم مع الخراسانيين في معركة ضد جيش السفيناني فيمزقونه تمزيقا (4) ،

ص: 160

1- الرواية تقول : « انه يدعو إلى صاحبكم ». في حين طوائف أخرى واضحة في صلة اليماني بالمهدي في الظهور الخاص والعام. وهناك رواية تشير إلى ان المهدي عليه السلام حينما يظهر في بمكة ينطلق بشكل من أشكال البداية ، من قرية من قرى اليمن اسمها « قرعة ، أو كرعة : » يخرج المهدي عليه السلام من قرية باليمن يقال لها كرعة ، (الحاوي للفتاوي 66/2). ما يعني صلة واضحة و كبيرة بين اليماني والمهدي عليه السلام ..

2- وفي الرواية : « ويفتح الله عز وجل له - أي للمهدي عليه السلام - خراسان وتطيعه أهل اليمن ، (عقد الدرر / 90) . وحين سئل الإمام الرضا عليه السلام عن علامات الفرج القريبة قال : « تريد الإكثار أم أجمل ؟ قال الرجل : بل تجمل . قال عليه السلام : إذا أدركت رايات قيس بمصر ورايات كندة بخراسان ، (اعلام الوری 429) لاحظ : وفي الذيل تأكيد على التحالف الضخم بين الخراساني واليماني .

3- هو رجل أموي النسب ، شديد الحقد على الإسلام وأهله ، من أشد الناس على أتباع أهل البيت عليهم السلام ، يتزلف بالإسلام أول أمره ، يسمى السفيناني أو هذه صفته . وهي على كل حال رمزه الواضح لانتسابه إلى ذرية أبي سفیان . اختلفت الروايات في اسمه الأصغر ، قيل : حرب بن عنبسة [عقد الدرر / 99] ، وقيل عروة بن محمد السفيناني [التذكرة / 610] ، وقيل عتبة بن هند [التذكرة / 610] . وقيل عبد الله بن يزيد [الفتن لابن حماد 165] وقيل : عثمان [البحار 165/52] ، وقيل معاوية بن عتبة [عقد الدرر / 89] ، وقيل عثمان بن عنبسة [كمال الدين 651] . حسب النصوص هو رجل مربع القامة ، ضخم ، دقيق الوجه ، جهوري الصوت ، طويل الأنف ، بعينه اليمنى نكتة بيضاء إلى درجة من يراه يحسبه أعور ، . بوجهه آثار جذري ، وهو المشهوه الملعون . [في هذا المجال يمكن مراجعة كتب العلامة الفتاوي] .

4- وفي الرواية « .. ويعمل عمل الجبارة الأولى - يعني السفيناني - فيغضب الله من السماء على عمله ، فيبعث عليه فتى من المشرق ، يدعو إلى أهل بيت النبي صلى الله عليه وآله ، هم اصحاب الرايات السود المستضعفون ، فيعزهم الله وينزل عليهم النصر ، فلا يقاتلهم أحد إلا هزموه ، ويسير الجيش القحطاني .. وقتي في اليمن في نحر حماز الجزيرة ، حتى ينزلوا دمشق فيفتحوها أسرع من التماع البحر » (كنز العمال 14 / حديث : 39680).

كما يخوض اليماني(1) من جهة سوريا أو النواحي الأخرى ، والخراساني من جهة أرض خراسان معركة فاصلة لفتح العراق ويكون لهما ذلك . وتخبّرنا بعض المتون أن المهدي عليه السلام يكون له نسبة في اليمن ، كإشارة إلى زواج من أهل اليمن مثلاً بعد ظهوره أو ما هو يخدم هذه الرمزية وشبه ذلك .

أما ما أشارت له بعض الأخبار من أن المهدي عليه السلام يخرج من قرية يقال لها « كرعة » أو كريمة ، فيبدو واضحاً الإشارة إلى أن المهدي عليه السلام ربما يتردد إلى اليمن في عملية غير معلنة أول أمره ، أي زمن الظهور الخاص الذي يدوم لأشهر ، وذلك أثناء بناء جيش اليماني الذي هو جيش المهدي(2) عليه السلام .. على أن الظهور الخاص للمهدي عليه السلام الذي يدوم لأشهر يكون في المدينة ، يتردد فيه المهدي عليه السلام بين المدينة ومكة ، ويستفاد من متن آخر تردد المهدي إلى قرية في اليمن ، وفي بعض المتون أنه يتردد إلى الطائف ، والظهور العام عليه السلام يكون في مكة ، كما أن البيعة العامة له

ص: 161

- 1- وفي الحديث عن الصادق عليه السلام : « وإذا خرج اليماني فانهض إليه ، فإن رايه راية هدى ، ولا يحل لمسلم أن يلتوي عليه ، فمن فعل ذلك فهو من أهل النار ، لأنه يدعو إلى الحق وإلى طريق مستقيم ، (الغيبة للنعماني 253).
- 2- الروايات تشير إلى تاريخ انطلاقة ثورة اليماني قبل ثورة السفيناني بأشهر قلائل أو أسابيع .: « يخرج قبل السفيناني مصري ويماني » (البحار 210/52) . وفي رواية أخرى : حينما قيل للصادق عليه السلام إن السفيناني قد خرج ، فقال عليه السلام : « أني يخرج ولم يخرج كاسر عينه بصنعاء » (البحار 52/245) . وهناك روايات تصرح بخروجه مع الإمام المهدي عليه السلام منها : « وما القحطاني بدون المهدي عليه السلام » (الحاوي للفتاوي 79/2) كمال ورد : « وليس في الرايات راية أهدى من راية اليماني ، هي راية حق لأنه يدعو إلى صاحبكم ، وهي تؤكد أن اليماني يظهر مع المهدي عليه السلام (الغيبة للنعماني 253). لكن يبقى أن نشير إلى أن للمهدي عليه السلام ظهورين : خاص وعام . الخاص يسبق العام ويدوم لأشهر . ويكون اليماني على اتصال مع المهدي عليه السلام في الظهور الخاص .

تكون في مكة . أما ما يشير إليه متن ضعيف من أن القحطاني يحكم بعد المهدي عليه السلام معناه أنه يبقى حيا في صف القيادة إلى ما بعد المهدي عليه السلام ، إلا أن النص ضعيف السند . فيما الحكم العام إنما يكون لأهل البيت عليهم السلام خاصة أن النصوص تقيد أن الرجعة أو بواكيرها ، تقع في زمن المهدي عليه السلام أي في آخر عمره الشريف ، ما يعني أن « الحكم » يظل في الأئمة والأنبياء عليهم السلام .

فيما بعض المتون تحدثنا عن أن اليماني ، « عماني » وانه يفتح مدينة الروم ويقتل قريشا . أقول : إذا كان المقصود في أنه « عماني » رمزية ما، تنشأ من الأحداث والوقائع فلا بأس بذلك ، فالنسبة إلى الأحداث والوقائع والصنائع كثيرة في لسان العرب وقانون الإستعمالات في العربية . ما يعني أن في هذا إشارة محددة إلى رمزية خاصة ..

وعن فتحه لمدينة الروم وغير ذلك ، النصوص صريحة جدا في أن المهدي عليه السلام هو الذي يفعل ذلك ، وأن اليماني يكون في قيادة ذلك الجيش ، وتخبرنا النصوص أن جيش الخراساني واليماني يخوضان حربا هائلة في فتح الروم تحت قيادة المهدي عليه السلام ..

ويبدو واضحا من النصوص ، أن اليماني ، يظهر في سنة ظهور المهدي عليه السلام ، ويكون مقربا جدا منه ، بل مطلععا على ظهوره الخاص ، متصلا به ، وقد وردت حول اليماني أحاديث صحيحة من طرق أهل البيت عليهم السلام كما أكدت طائفة أخرى أن قوما من أهل اليمن يقاتلون الدجال ،

وذلك بعد هزيمة الروم ، فضلاً عن جملة من الأحداث تقع بين هزيمة الروم وخروج راية الدجال التي تتكون كما يبدو من مجموع جهات فرعية مناوئة للمهدي عليه السلام ..

العراق في آخر الزمن :

تخبرنا الأحاديث عن حاكم عراقي قوي ، بطاش ، معاد للإسلام، تمكن من عرشه ، ظالم ، معلن العداء للخراسانيين ، قادر على حماية دولته واستقرار سلطانه . واللافت أن طائفة أخرى تشير ما قبل الظهور إلى العراق وكأنه كيانات إدارية ذات صلاحيات واسعة ، أو فيدراليات ، أو خريطة طوائف ، وشبه ذلك ، مما قد يستفاد من مضامين الأخبار (1)..

ومهما يكن من أمر ، فالنصوص تحدثنا عن حاكم عراقي ، يبدو أن نسبه يعود إلى العباسيين أو أي رمزية أخرى ذات صلة بهذا المعنى ، فيما دولة تكون في آخر الزمان (2)، أي رايته ليست الراية العباسية الأولى التي خرجت ومضت في التاريخ (3). النصوص صريحة جدا في التفريق بين

ص: 163

1- للوقوف بالتفصيل على هذا الموضوع يمكن مراجعة كتابنا : نهاية أحداث التاريخ البشري .. بقية الله الأعظم ..

2- في رواية عن الإمام علي عليه السلام يصف فيها مؤسس الدولة العباسية في آخر الزمن فيقول : « لا تقوم القيامة حتى تفقأ عين الدنيا ، و تظهر الحمرة في السماء ، وتلك دموع حملة العرش على أهل الأرض ، حتى تظهر فيهم عصابة لا خلاق لهم، تظهر في سواد الكوفة ، يقدمهم رجل أسود اللون والقلب ، رث الدين لا خلاق له ، مهجن زنيم عتل ، تداولته أيدي العواهر من الأمهات .. ، (الغيبة للنعماني 147).

3- وفي الرواية سأل ابن الفضيل الإمام الباقر عليه السلام فقال له : « جعلت فداك ، بلغنا ان لآل جعفر راية ولآل العباس رايتين ، فهل انتهى إليك من علم ذلك شيء ؟ فقال له : أما آل جعفر فليس بشيء ، ولا- إلى شيء ، وأما آل العباس فإن لهم ملكا مبطنًا يقربون فيه البعيد ويباعدون فيه القريب ، وسلطانهم عسر ليس فيه يسر » (تفسير العياشي 121/2)، وكذا غيرها من الروايات العديدة التي تؤكد ان النبي العباس رايتين ، واحدة في أول الزمان وقد مضت ، والثانية تكون في آخر الزمان . ففي رواية علي بن حمزة عن الإمام الكاظم عليه السلام قال : « ملك بني العباس مكر وخداع ، يذهب حتى لم يبق منه شيء ، ثم يتجدد حتى يقال ما مر به شيء ، (الغيبة للنعماني 203). وفي رواية ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وآله : قال لعمة العباس : « لن تذهب الدنيا حتى يملك من ولدك في آخر الزمان ، عند انقطاع دولتهم ، وهو الثامن عشر ، يكون معه فتنة عمياء صماء ، يقتل من كل عشرة آلاف تسعة آلاف وتسعمائة ، لا ينجو منها إلا اليسير ، يكون قتالهم بموضع في العراق . قال فبكى العباس فقال رسول الله صلى الله عليه وآله : ولا يهتمون للآخرة ، (مجمع الزوائد 188/5) بحيث تدل هذه الروايات وغيرها على وجود دولتين . واحدة تكون بأول الزمن أي ما بعد البعثة ثم تنهار وتسقط ، والثانية تكون بآخر الزمن ، أي قبل الظهور وتظل حتى الظهور فتتوارى وتسقط . الرواية الثانية صريحة جدا في أن دولة العباسيين تتجدد في آخر الزمان بعد زمن من انهيار دولتهم الأولى وسقوطها . وفيها تؤكد أن الحاكم الثامن عشر منهم يكون طاغوت سقاكا للدماء ، مجرمة ، لا يبالي بالمواثيق والقيم ، وأنه خلال فترة حكمه تقع فتنة عمياء تعم الأمة ويقتل فيها من كل عشرة تسعة . على أن مكان القتال في هذه الفتنة يكون بين الحيرة والكوفة . على أن بعض المتون المروية تؤكد أن عودة دولة العباسيين في آخر الزمن هي من المحتوم المبرم الذي لا يرد ولا يبدل . ففي رواية الحلبي قال سمعت أبا عبد الله الصادق عليه السلام يقول : « اختلاف بني العباس من المحتوم ، والنداء من المحتوم ، وخروج القائم عليه السلام من المحتوم ، (روضة الكافي 31. البحار 305/52) وفي رواية أبي حمزة الثمالي قال قلت لأبي عبد الله عنه إن أبا جعفر عليه السلام كان

يقول : « إن خروج السفيناني من الأمر المحتوم. فقال عليه السلام : نعم واختلاف ولد العباس من المحتوم ، وقتل النفس الزكية من المحتوم وخروج القائم عليه السلام من المحتوم (كمال الدين 652) على أن ضعف الدولة العباسي يحصل بعد موت الحاكم الجبار (عبد الله) ، فإذا مات ، اختلف بنو العباس أو الجماعة الحاكمة على الملك ، وتقع بينهم معارك هائلة ، تؤدي إلى إنهاء هذه الدولة التي تنهار فيما بعد، أمام جملة من الحروب . وعلى أثر خطط السفيناني التوسعية ، ومحاور القتل والقتال التي تقودها تحالفات دولية وإقليمية تدخل القوات السفينانية إلى العراق لاحتلاله ، فتزحف القوات الخراسانية إليه أيضا ، كل من جهة ، وتقع معارك هائلة، تصطدم فيها الجيوش الثلاثة على محاور مختلفة . تكون نهايتها انتصارا ضخمة للخراسانيين على العباسيين والسفينيين .

الرايتين ، لتؤكد أن راية العباسيين الثانية تكون في آخر الزمان زمن غيبة المهدي ، وأن موت الحاكم العباسي القوي (عبد الله) علامة قريبة على ظهور المهدي . وأن هذا الحاكم شخص مربع القامة ، كث اللحية ، أسود الشعر . وأن موت هذا الحاكم العراقي القوي ، يتبعه صراع عسكري بين أفراد العائلة الحاكمة على السلطة ، فتقع بينهم حروب تنهك قوة هذه الدولة وتضعفها .

ص: 164

على أن بعض المتون يستفاد منها أن شيعة العراق قبل الظهور ، يكون لهم نفوذ وقوة خاصة في ناحية الكوفة . ولهذا فإن السفيناني يقصدهم ليدمر قوتهم (1). ولا ننسى أن العصائب العراقيين هم من أهل العراق ، وهم أصحاب راية إمامية (2).

وفي بعض العناوين ، حول العراق ونواحيه، في آخر الزمان ، تحدثنا النصوص أنه في آخر الزمان ، يملك الكفار الفراتين ، فيما من آخر يخبرنا عن خسف يصيب الزوراء والمزورة ، وهما الري وبغداد ، وأنه يكون هلاكها على يد السفيناني ، أي يؤكد وقوع البلاء فيها ، بحيث يدخل جيش السفيناني الزوراء (بغداد) ، و بابل والكوفة والغربين ،

وذلك بعد خط ملتهب من الحروب والإنتقالات والأحلاف الدولية الإقليمية ، بحيث يتوج ذلك بدخول السفيناني إلى العراق بعد الضعف المثير الذي يصيب تلك المنطقة بعد موت الحاكم العراقي القوي والإقتتال المتفاقم على السلطة العراقية .

ص: 165

- 1- وفي الرواية عن الإمام علي عليه السلام: « يكتب السفيناني إلى الذي دخل الكوفة بخيله ، بعدما يعركها عرك الآدم ، يأمره بالسير إلى الحجاز ، فيسير إلى المدينة فيضع السيف في قريش ، فيقتل منهم ومن الأنصار أربع مائة رجل ، ويقتل البطون ويقتل الولدان . ويقتل أخوين من قريش ، رجل وأخته يقال لهما محمد وفاطمة ، ويصلبهما على باب المسجد بالمدينة [الفتن لابن حماد 199]
- 2- وروى الإمام الصادق عليه السلام قال : « كأني بالسفيناني أو بصاحب السفيناني ، قد طرح رحله في رحبتكم بالكوفة ، فنادى مناديه : من جاء برأس شيعة علي فله ألف درهم ، فيشب الجار على جاره ويقول : هذا منهم . فيضرب عنقه ويأخذ ألف درهم . أما ان امارتكم يومئذ لا تكون إلا- لأولاد البغايا ، كأني أنظر إلى صاحب البرقع؟ فقالوا عليه السلام : ومن صاحب البرقع ؟ فقال لي : رجل منكم يقول بقولكم ، بليس البرقع فيحوشكم فيعرفكم ولا تعرفونه ، فيغمز بكم رجلا رجلا ، أما انه لا يكون إلا ابن بغي ، (الغيبة للطوسي 273) .

على أن العراق يكون في تلك اللحظات التاريخية محطاً لحروب دولية وإقليمية، فبعد انكشاف الفرات عن كنز من ذهب أو مال جوفي عظيم، تقتل الرايات على هذا المال المهم جداً، ويبدو من النصوص أن المعارك تبدأ إقليمية وتنتهي عالمية، فتقع معركة عنيفة يشيب لها الغلام الحزور بين العباسي العراقي، والمرواني الدمشقي، ثم تتوسع لتشارك فيها الراية المغربية، وجيش الترك، والروم، والسفياي، و تصف النصوص تلك المعارك بأنها « ملحمة »، لشدة القتل والإبادة والأهوال التي تقع فيها .. ويبدو بوضوح أنها « حرب ثروة » تنفقم، وتتوسع، وتلتهب، حتى يسقط في مصيدها جملة من الأطراف الإقليمية والدوليين.

هذا فضلاً عن حرب تقع بين حاكم العراق والدولة الخراسانية، النصوص تصفها بوضوح أنها اعتداء ظالم من قبل العباسي على دولة الخراسانيين الموالين لآل محمد. بالإضافة إلى محاولات مختلفة من العباسي لنشر نفوذه في المنطقة، خاصة في سوريا،

هناك خبر يشير إلى نفوذ للعراق في دمشق، بوقت من الأوقات، نعم، النصوص تخبرنا عن معركة شرسة تقع في الأزمان المتأخرة بين العباسي العراقي والمرواني الدمشقي .

وعلى أثر الحروب المتتالية، وبعد موت الحاكم العراقي القوي، والإنهاك الشديد الذي يصيب القوة العراقية بعد الإقتتال العنيف على السلطة بين أفراد النادي السلطاني، عندها يزحف الجيش السفياي نحو العراق،

طمعا في السيطرة على هذا البلد، ومعلوم أن السفيناني يسيطر على المحور الخمس(1)، وينشر نفوذه في الحجاز والعراق، ومصر، ويحاول أن يدخل بلاد خراسان، ويقع بينه وبين الخراسانيين معركة هائلة تنتهي بنصر الخراسانيين الذين يمزقون جيش السفيناني تمزيقة في منطقة اصطخر الإيرانية .

ومع دخول السفيناني إلى العراق، فإنه يفعل الأفاعيل، ويعلن عداه الهائل لآل محمد وأتباعهم، ويطلب الشيعة، ويبيث الجواسيس، ويعلن الأحكام العرفية، ويسرف في الدماء، بلاحد أو مانع من دين الله أو أخلاق، ويتصدى له جيش العصب من سواد الكوفة، ومن البصرة، ثم نجدهم الرايات السود الخراسانية فتقاتله . على أن السفيناني يقاتل « أهل المشرق » أول خروجه في دمشق، أو في الشام، حتى يردهم إلى العراق، كما يقاتلهم في العراق، في زمن محدد من لهيب المعارك وتداخل الحروب الإقليمية والأطراف الدولية، أي الترك والروم، فيردهم إلى خراسان، فيتبعهم، وهناك تقع معركة « اصطخر » الفاصلة التي ينتصر فيها الجيش الخراساني انتصارا كاملا على السفيناني ..

وتخبرنا الأحاديث أن جيش المغرب يدخل الحيرة أو الجزيرة |العراق| عند خروج السفيناني، ورغم أن جملة من المضامين تشير إلى

ص: 167

1- وفي الرواية: الكور الخمس هي: دمشق، وفلسطين، والأردن، وحمص وحلب . وفي رواية عبد الله بن منصور قال سألت أبا عبد الله عليه السلام عن إسم السفيناني؟ فقال: « وما تصنع باسمه؟ إذا ملك كور الشام الخمس، دمشق وحمص، وفلسطين، والأردن، وقنسرين، فتوقعوا الفرج .. (كمال الدين / 651).

قيام أحلاف ظرفية بين بعض الكيانات العربية، إلا أن انفراط بعضها يقع بسبب اختلافات سياسية وسلطوية مرة، وخلافات حول « الثروة » كما هي الحال مع ثروة قرقيسيا مرة أخرى.

على أن « العصائب العراقيين » الإمامين، يكون لهم نفوذ، وحضور في العراق، ورغم ما يجري عليهم من أهوال متعاقبة فإنهم يحضرون بين يدي المهدي عليه السلام زمن البيعة العامة له. بعض المتون تخبرنا أن أنصار المهدي عليه هم العصائب العراقيون، وأن النجباء من الكوفة، وهذا ترميز إلى قيمتهم، فيما النصوص الأكثر تداولاً واستعمالاً تشير إلى أن النجباء من مصر، والعصائب من العراق، والأبدال من الشام. واستعمال كلمة الأبدال في الكوفيين إشارة إلى رفعتهم وميزتهم وتخصيصهم في تلك المتون التي تتحدث عن العراقيين (1)..

وعلى أثر دولة المهدي عليه السلام تعود أرض العرب مروجا وأنهارا، خاصة بين العراق ومكة. كما تخبرنا الأحاديث أن أسعد الناس بالمهدي هم أهل الكوفة، فالمهدي عجل الله تعالى فرجه شريف يعلن الكوفة عاصمة دولته الإلهية. ومنها يدير العالم. ويجتمع فيها كبار قادة دولة المهدي عليه السلام، وفي المتون: يجتمع

ص: 168

1- تكرر الروايات الإشارة إلى ثلاث حركات موائية لأهل البيت عليهم السلام، وذلك في مقام الإشارة إلى أخبار العلامات ومعالم آخر الزمن، على الأقل تحدثنا عن 3 رايات تصل حضورها بظهور المهدي عليه السلام: العصائب من العراق، والأبدال من الشام، والنجباء من مصر، وهم جميعا من أصحاب الإمام المهدي عليه السلام باتفاق روايات الفريقين. وفي الرواية قال رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: « عند خروج القائم عليه السلام ينادي مناد من السماء، أيها الناس، قطع [الله] عنكم مدة الجبارين، وولي الأمر [عليكم] خير أمة محمد صلى الله عليه وآله، فالحقوه بمكة، فيخرج النجباء من مصر، والأبدال من الشام، وعصائب العراق، رهبان بالليل، ليوث بالنهار، كأن قلوبهم زبر الحديد، فيبايعونه بين الركن والمقام، (الإختصاص 208).

كل مؤمن بالكوفة . وذلك لما تعنيه من قيمة وقداسة ورمزية في دولة المهدي عليه السلام ..

وفي خريطة الأحداث والوقائع ، لآخر الزمن ، تشهد مناطق مختلفة من العراق أحداثا جساما ، ومظاهر لافتة ، فهناك طائفة مروية تخبرنا أنه يكون في البصرة خسف وقذف ورجف ومسح ، وأن هذه من علامات آخر الزمان ، وفي علامة لافتة جدا ، يبعث شهداء من « مسجد العشار » فيها، كشهداء بدر وأحد ، وأن الفرات يجف، وتحدث أمور مختلفة ...

أما عما ورد من امتناع النبي صلى الله عليه وآله - كما في بعض المتون غير التامة سندا - عن الدعاء بالبركة لأهل العراق ، ونهي الله ابراهيم عليه السلام أن يدعو عليهم - برغم ضعف السند - هو إشارة رمزية إلى وجود حاكم ظالم أو دولة ظالمة أو حقبات زمنية منحرفة في تلك المنطقة ، أي إشارة من النبي صلى الله عليه وآله لظلم يطول في تلك المنطقة . لكن الأمر في النهاية - كما في النصوص - يؤول إلى أهل الحق وسلطانهم . على أن معنى امتناع النبي صلى الله عليه وآله عن الدعوة لهم بالبركة شديد الوضوح في عدم رضا النبي عليه السلام عن سلطان بغداد في أطوار مختلفة من حقباتها التي يكون فيها سلطان ظالم أو دولة باطلة ، خارجة على كتاب الله وسنة النبي وعترته عليهم السلام، أما زمن وجود السلطان العادل أو الدولة الموالية لآل محمد أو العصائب المواليين لهم عليهم السلام فهذا ممدوح في أشخاص أولئك العظماء وزمنهم وفعلهم وأخبارهم بلسان النصوص ..

ص: 169

المصر إشارات بارزة ، في جملة من الأحاديث المروية عن لسان النبي صلى الله عليه وآله وأهل بيته عليهم السلام. واللافت في أحداث آخر الزمان أن المصريين يعانون بشدة من تواطؤ حاكمهم مع الروم حيث يسلمونها ولو بصورة غير مباشرة على خيرات مصر ودولتها وسلطانها وناسها عند ذلك تقوم راية النجباء المصرية « الإمامية » فتعزل ذلك الحاكم ، وتكاد أن تسيطر على عرش مصر ، ويساندها الشعب المصري في ذلك.

لا نعرف التفاصيل عن كيفية نشأة هذه النواة أو تلك الراية ، لا نعرف تفاصيل عن خطوط الإتصال بين الشعب المصري وتلك الراية المصرية الإمامية ، كل ما نعرفه أن تلك الراية تقف في وجه ذلك الحاكم المصري الذي يتواطأ على شعبه وأمتة وخيرات بلاده لصالح الروم ، الذي تعرفه عبر الروايات أن النجباء المصريين يناهضون ذلك الحاكم الخائن لأمتة ووطنه ، فيقف معهم الشعب المصري ببسالة ، ويساندهم ، حتى أنهم يكادون أن يستلموا الحكم لولا مجيء الروم بقواتهم العسكرية إلى مصر لإعادة ذلك الحاكم المصري المخلوع ، بهدف إحكام السيطرة من جديد على مصر وخيراتها وموقعها وسلطانها . وفي بعض التفاصيل عن ذلك الرجل الخائن ، تخبرنا النصوص عن رجل « أخنس » يحكم مصر ، فيغلب على ملكه ، فيفر هاربا، ويأتي بالروم إلى مصر منتصرا بهم ، وذلك أول

الملاحم .. التي تقع في منطقة الإسكندرية .. إلا أن الروم يظهر أنها لا تستطيع حسم الأمر في وجه النجباء ، عند ذلك تستنجد بالراية المغربية ، وهي راية يبدو أنها تابعة لدولة من المغرب العربي ، رايتها صفراء ، تكون موالية للروم ، متحالفة معها ، وهي من ألد أعداء رايات آل محمد وأتباعهم ، فهي تقاتل في وجه الخراسانيين ، كما أنها تزحف نحو مصر فتقاتل النجباء المصريين ، إلا أن مضامين النصوص تخبرنا بأن النجباء رغم الحرج والضيق الذي يصيبهم آنذاك ، يظلون في جيوب و مناطق ما ، من مصر ، نعم يضعف موقفهم بشدة ، حين يزحف جيش السفيناني نحو مصر ، فيقوم بسياسة قتل وإبادة واغتصاب وانتهاك حرمانات ، واستنزاف ، وذبح الأطفال ، ونهب الثروات ، وغير ذلك (1) ..

وعن بعض العلامات عن ظهور المهدي عليه السلام .؟ النصوص تخبرنا أن المهدي عليهما السلام لا يظهر حتى يسيطر الكفار على «نيل مصر» . ثم تؤكد أن النجباء المصريين الإماميين هم من أنصاره عجل الله تعالى فرجه شريف ويظهر من لوازم المتون بوضوح أن المصريين يعلنون ولاءهم للنجباء الإماميين ، ويقفون معهم في خلع الحاكم الموالي للروم ، كما يقاتلون معهم ويتحملون آثار ذلك في وجه الروم ثم الراية المغربية ثم الراية السفينانية .. بتعبير آخر : يبدو بوضوح أن «المصريين» في فترة ما ، من ذلك الزمن ، زمن ظهور النجباء الإماميين ، يعلنون ولاءهم لآل محمد عليهم السلام . أو على الأقل : يكونون مهئين جدا

ص: 171

1- جملة من مضامين الروايات صريحة في بقاء النجباء المصريين على رأس ثورتهم في جيوب ما ، من مصر حتى ظهور المهدي عجل الله تعالى فرجه شريف.

الإعلان ولاءهم لهم عليهم السلام مع ظهور المهدي عجل الله تعالى فرجه شريف.. وعن زمن خروج أهل المغرب إلى مصر.؟ تجيب بعض النصوص أن ذلك يقع منهم، قرب خروج السفيناني، وتؤكد أنه قبل ذلك يخرج « من يدعو لآل محمد»، أي تخرج راية النجباء الإمامية.

واللافت أن خريطة انتشار الراية المغربية، التي يبدو من الأخبار أنها قوية، لا تزحف نحو مصر فحسب، بل تدخل الشام، يبدو لأسباب تتعلق بمشاكل في الشام أو هشاشة في الحكم أو نصرة لراية ما، أو لخلل يستدعي تدخلا عربيا من طرف ما، لصالح طرف آخر.

لكن الصورة العامة في الشام تبدو مضطربة، متعبة، هشة، إلى درجة أن السلطات الأمنية لا تستطيع القيام بما يلزم، فتقع حرب الرايات والإنقلابات. وعليه: في تلك الفترة من التعب الذي يصيب السلطة في دمشق، يدخل أهل المغرب إلى الشام، وحين يخرج السفيناني، يخرج وأهل المغرب في الشام، فيقاتلهم ويردهم إلى مصر. وتخبرنا أحاديث أخرى أنه يأتي أنصار للأبوع من مصر، فيغلبهم السفيناني أيضا. وينتشر نفوذ السفيناني بسرعة، ويدخل جيشه إلى مصر، فينتهك فيها الحرمات ويسرف في الدماء وذبح الرقاب.. وفي بعض المتون أنه إذا ملك رجل الشام، وآخر مصر، فاقتتل الشامي [السفيناني] والمصري [الأبوع(1)]، وسبا أهل الشام

ص: 172

1- وفي الرواية: « إذا ظهر السفيناني على الأبوع والمنصور اليماني خرج الروم والترك فيظهر عليهم السفيناني، (كنزل العمال 68/6). مع أن الروم والترك يساندون السفيناني في محاربة الخراسانيين لإخراجهم من بيت المقدس، إلا أنهم يرون مصالحهم أهم منه في خصوص المال الذي يكتشف عند الفرات

قبائل من مصر ، وذلك بعد أن ينتصر على المغاربة في الشام (1)، ثم يزحف نحو مصر فيدبها ، ثم وقع فيها حرب القتل والاعتصاب والهتك والنهب والجحود ..

وتؤكد خريطة الأحداث حضور مصر والنواحي الإفريقية في الوقائع المهمة، زمن غدر الروم . فقد ورد في الأخبار المروية : عندما تنقض الروم الهدنة مع المهدي عليه السلام ينزلون في رملة أفريقية .. ما يعني أن هذه المنطقة تظل مختبرة للأحداث في أزمان مختلفة ..

العرب في آخر الزمن :

تحدثنا الروايات عن خريطة مؤلمة في آخر الزمان ، منها ، ما يقع على العرب والمسلمين من بلاء و كوارث .. لكن اللافت في طائفة مروية تؤكد فيها تعاضم الفسق والفجور بين العرب كما بين المسلمين ، في ظل نظام عالمي يقوم على الجور والفساد ، إلا قلة ممن يلتزمون الحق ويتبعونه . بل يبدو من جملة الأحاديث صفة غير حسنة لما يقوم به العرب في آخر الزمان ، إلا قلة يثبتون على هدي الإسلام.

بعض النصوص تشير إلى مشكلة نوع مثير من الضلالة تضرب أعناق العرب وتحرفها عن نور الهداية . في رواية أنس بن مالك قال : خرج علينا

ص: 173

1- ابن حماد : ص 85

رسول الله صلى الله عليه وآله ذات يوم فرأى عليا عليه السلام، فوضع يده بين كتفيه ثم قال: « يا علي، لو لم يبق من الدنيا إلا يوم واحد، لطول الله ذلك اليوم حتى يملك رجل من عترتك، يقال له المهدي، يهدي إلى الله عزوجل ويهتدي به العرب، كما هديت أنت الكفار والمشركين من الضلالة. ثم قال: ومكتوب على راحتيه: بايعوه، فإن البيعة لله عزوجل» (1).

وكما ترى: النص يشير إلى هداية العرب بالمهدي، أي إخراجهم من الضلالة، وتشبثهم على الإيمان، ما يؤكد طبيعة الموقف الصعب والسقوط الذين يعم بلادهم وناسهم، إلا قلة ممن يضحون ويثبتون على نور الإسلام وموآثيقه.. كما تحدثنا الروايات عن أن المهدي عليه السلام يملك العرب، ويهتدون به. تأكيداً على عموم سلطانه، وما يكون منه في إخراجهم مما هم فيه من انحراف.

على أن العرب لا يكون لهم عشر في آخر الزمن، بل إطباق عليهم من الأمم الجائرة القوية، فتنهب أموالهم، وتنتهك أعراضهم، وتذلهم كل مذلة. تقول النصوص: « إن من اقتراب الساعة هلاك العرب» (2). إشارة إلى القتل والغزو والاستعمار، والذل الذي يصيبهم من الروم وحلفاءها وغيرها، بل من بعض الحكام الذين يحكمون بالسيف والظلم والاستبداد كما أوردت النصوص ذلك بوضوح. ثم تحدثنا الأخبار عن تجيش الجيوش

ص: 174

1- دلائل الامامة: ص 250

2- الرواية عن أم الحرير قالت: سمعت مولاي يقول: قال رسول الله « إن من اقتراب الساعة ملاك العرب»: تاريخ البخارى: ج 4 ص

344 345 د 3072

للقاتل على ثروة جوفية في أرض العرب ، وعن غزو تلو غزوا لبلاد الشام والعراق وإضعاف الحجاز وبيت المقدس ، وغير ذلك ..

وعوضا عن ذلك ، تؤكد خلافا يدب بين العرب أنفسهم ، حيث تشير إلى انقسام العرب ، وذلتهم وحقدهم على بعضهم البعض ، وتقاتلهم ، وضعفهم ، وخشيتهم من الأمم القوية التي تتكالب فيهم ، فتقصدهم قصد الذئب لقصعتها ، وتأكلهم أكل الذئب لفريستها ، وهم بانسون خانفون ، واحدة تبكي قتلاها واخرى تبكي فرجها ، وأخرى تتمنى أن تكون مكان الأموات لهول ما ترى من موت ونار ودمار وسبي وقتل واغتصاب وإبادة .

وتؤكد المتون الإختلاف السياسي الذي يكون بين العرب ، والذي يتطور في كثير من الأحيان إلى عمل عسكري وقتال وحروب ، فالدمشقي والعراقي يتقاتلان ، ثم يزحف المغربي فيخوض غمار تلك الحرب ، ثم يخرج المغربي من مصر ، فيقاتل في دمشق ، ثم يطمع الشامي بأرض الحجاز ، فيرسل جيشة إلى المدينة ، وأهل الحجاز في انقسام على الحكم ، واضطراب في الحال ، وهكذا .. حروب تتسع وتختلف ، وتنوع ، في حين العرب في ذلك الزمن أذلة ، تابعون ، خانفون ، كل يفتش عن قوة يلتجئ إليها ، على حساب ناسه وثرته وقيم دينه !..

وبدلا من اللجوء إلى الإسلام ، يبدو من النصوص تصريح واضح بأنهم يتبعون الأمم الضالة في أخلاقيهم وقيمهم ، حتى يصبحوا كالأنعام الفرعة في غاب الأسود ، قد تعرفوا من دينهم وأخلاقهم وقوتهم ومنعتهم ،

فثروتهم وسلطانهم مكشوف وعروهم بادية .. إلا قلة يتمسكون بالإسلام، ويمضون عليه، وجهدون أنفسهم في سبيل الثبات عليه .. ويظهر من المتون أن قسما وافرا من العرب يتجدد في الراية السفينانية، والراية المغربية وفروعهما، لقتال المهدي عليه السلام انتصارا لمشاريع الفساد والروم وغيرها من قوى العالم المنحرفة آنذاك .. من هنا يمكننا فهم النصوص التي تحدثت عن أن يوم المهدي عليه السلام شديد على العرب . المتون تصف المهدي بأنه « على العرب شديد (1) ». وأنه يسير بهم بالجفر الأحمر لا الجفر الأبيض (2). حتى يردهم إلى دين الله وقوانين الشريعة . فإذا دخلوا فيما دخل فيه الناس ، كان ذلك رحمة لهم وبشرى . بعض المتون الروائية تقول : « كيف أنتم لو ضرب أصحاب القائم عليه السلام الفساطيط في مسجد كوفان ، ثم يخرج إليهم المثل المستأنف ، أمر جديد على العرب شديد » (3). إشارة إلى ما يكون عليه العرب من افتراق واضح عن الهدى والدين فيعيدهم إليه بعد شدة موصوفة .

بل هناك تصويب وإشارة إلى انحرافات خطيرة، وانعطافات مخيفة جدا، ففي رواية العريان بن الهيثم ، سمع عبد الله بن عمرو يقول ، وقلت له : « .. تزعم أن الساعة تقوم على رأس السبعين ؟ فقال : « إنهم يكذبون علي ، ليس هكذا ، ولكن قلت لا يكون السبعين إلا ما كان عندها من شدايد وأمور عظام : وإن الساعة لا تقوم حتى تعبد العرب ما كانت تعبد

ص: 176

-
- 1- النعماني : ص 319 ب 21 ح 6 - عن جعفر بن يحيى ، عن أبيه ، عن أبي [عبد الله] جعفر بن محمد عليهما السلام
 - 2- النعماني : ص 319 ب 21 د 6 - عن جعفر بن يحيى ، عن أبيه .
 - 3- النعماني : ص 319 به 21 د 6 - عن جعفر بن يحيى ، عن أبيه ، عن أبي [عبد الله] جعفر [بن محمد] عليهما السلام

أباؤها .. «(1). إشارة مثيرة إلى ما يصير إليه أمر العرب من السقوط والاندثار والانحراف ..! إلا قلة دلت النصوص أنهم يبقون على دين الله ، ويجهدون أنفسهم في سبيل التمسك به ..

وفي النهاية : تؤكد النصوص أن المهدي عليه السلام إذا ظهر ملك العرب ، ويسط سلطانه عليهم ، فيدخلون فيما دخل فيه الناس . وكما في قول النبي صلى الله عليه وآله: « لا تنقضي الايام ولا يذهب الدهر حتى يملك العرب رجل من أهل بيتي ، اسمه يواطئ إسمي »(2). وأن هناك من العرب من ينخرط في سبيل المهدي وآل الرسول عليهم السلام ويستبسل في القتال والتضحية والجهاد في سبيل الله . كالأبدال ، واليمنيين ، والنجباء المصريين والعصائب العراقيين ، وغيرهم من أهل التقى والدين .. إلا أن النصوص تصر على بيان قيمة « الموالي » مقابل كبوة العرب الكبيرة في آخر الزمان ، لتؤكد أنهم أجود تضحية وأمضى سلاحا. النص عن النبي يقول : « إذا وقعت الملاحم بعث الله بعثة من الموالي ، هم أكرم من العرب فرسا وأجوده سلاحا ، يؤيد الله بهم الدين »(3).

فيما تصر طائفة من النصوص على ثبات وقيمة ورفعة راية خراسان ، راية الموالي الخراسانيين الذين يضربون العرب على التأويل في آخر الزمن ، كما ضربهم العرب على التنزيل في صدر البعثة النبوية . وأن راية

ص: 177

1- ابن حماد : ص 195

2- أحمد : ج 1 ص 316

3- ابن حماد : بمعناه مختصرا على ما في عقد الدرر ، وجمع الجوامع . * : ابن ماجة : ج 2 ص 1370 1369 35, ح 4090

خراسان ، هي التي توطئ للمهدي سلطانه . وأنهم أمة ، ذات دين و يقين و توضحيات مذهلة . و تؤكد الروايات أن الناس ينحرفون عن الإسلام فيما هم يثبتون ، و ان الناس تتبع ركب الروم وغيرها وهم لا يحددون عن الإسلام . و أن الناس يتعرون و يسقطون أمام غرائزهم فيما يثبت أهل خراسان على الدين والأخلاق و القيم التي أعلنها الإسلام في شتى مجالاتهم حتى يسلموا الراية للمهدي عليه السلام ، ثم ينخرطون للقتال بين يديه و يبذلون تضحيات هائلة في ملحمة الأعماق (ناحية بلاد الشام أو الجزيرة) كما يبذلون أنفسهم في معارك المهدي ضد الروم في ناحية مقر الروم و عاصمتهم ، و أنهم أمة مرحومة ، و جماعة ممدوحة تبقى على الإسلام و الإيمان حتى ظهور المهدي عجل الله تعالى فرجه شريف ..

فيما تؤكد النصوص أن بلاد العرب و المسلمين في آخر الزمن - وبصورة إجمالية :-

يشيع فيها التعري و الزنا و الربا و الإنحراف و الآثام و الحرام ، و يكون أهل الدين أذلة ، لا سلطان لهم ، ولا دولة ، ولا قوة و لا نفوذ إلا من قلة قليلة يثبتون بجهد و جهاد حتى يحفظوا دينهم و إيمانهم . و أن الإسلام يعزل بصورة عامة عن الحكم و السلطان و الأخلاق و الاجتماع و السياسة و حقوق المال و الإقتصاد . في زمن يتعاضم فيه أمر الفاجر ، و العاهر ، و فتيات الهوى و صاحبات الغرائز ، و الكاشفات العاريات ، و الزانيات العابثات ، في ظل حكام جوررة ، و وزراء فسقة ، و عرفاء ظلمة ، و أمناء خونة .. كل ذلك في زمن تكثر فيه إضاعة الصلوات ، و اتباع الشهوات ، و الميل مع الأهواء ، و تعظيم

أصحاب المال ، وبيع الدين بالدنيا . ويتعاضم أم الفساد ، فتكبر المعصية ، وتقل الطاعة ، ويتمد الناس على خالقهم ، فيكون من إذا حكم ضل وأضل .

وتكون إمارة النساء ، و مشاورة الإماء ، و قعود الصبيان على المنابر ، ويكون الكذب طرفا ، والزكاة مغرما ، والفئى مغنما ، ويحق الرجل المعسشر ، وتقارب الأسواق ، إذا قال هذا ألم أبع شيئا وقال هذا لم اربح شيئا ، فلا ترى عندئذ إلا ذانا لله . فيظهر الربا ، ويتعاملون بالغيبة والرشى ، ويوضع الدين ، ويتعاونون بالحرام ، ويشتهرون بالمنكرات العظام ، ويتفاخرون بالتعري والآثام ، وترفع الدنيا ، ونسي الآخرة ، ويكثر أولاد الزنا ، ويتغنون بالقرآن ، ويتهافتون على الدنيا ، فيميتون الحق ، وحقون الباطل ،

ويفترسون بعضهم ، فيعمرون الدنيا ويخربون الآخرة . وتصبح بطونهم وغرائزهم آلهة ، وتنتهك المحارم ، وتكتسب المآثم ، ويتسلط الأشرار على الأخبار ، ويفشو الكذب والقمار ، وتظهر اللجاجة ، وتفشو الفاقة . ويتباهون في اللباس ، ويكثر العري فيهم ، ويفاخرون بالسفاح حتى يشتهروا به ، دون رادع أو منكر ..

ويمطرون في غير أوان المطر ، فيصحرون في زمن ماطر ، ويمطرون في زمن الصحو ، وتتغير المعالم ، وتتبدل النظم ، وتبدو الدنيا مخيفة جراء الحرام ، فيكثر الباطل في البقاع ، ويعادي الناس الحق ، ويرونه سببا للتهمة والخذلان وقله النفع في السوق ، فيبيعون غرائزهم ، ويساندون كما تتسافد

البهائم ، فلا يرون أهم من الزنا والحرام . إلا من قلة يثبون على الدين ، فيحلون الحلال ، ويحرمون الحرام ، ويعلنون الإسلام دينا لهم في كل فعل وسلوك ، ويكون أهل خراسان الذين يوطنون للمهدي سلطانه على رأس هؤلاء ، بل رمزهم ومركز رايتهم (1). حيث يشتهرون بعظيم تمسكهم بالإسلام والإيمان ، و كبير تضحيتهم للثبات على الدين و شريعة نبي المرسلين صلى الله عليه وآله.

بلاد العرب في عصر ظهور المهدي صلى الله عليه وآله

وما يكون عليه العرب والمسلمون في آخر الزمان

تصف لنا الأحاديث بلاد العرب زمن الظهور على أنها بلاد مكونة في أبنيتها وأحياءها ومناطقها وغير ذلك بنحو مختلف عن الزمن الماضي، وأن أرضهم تعمر ، وماءهم تجري ، وأمنهم في فترة ما يستتب ، ثم يقع القتل والفوضى والإضطراب والإندثار . يقول النبي صلى الله عليه وآله: «لا تقوم الساعة حتى تعود أرض العرب مروجاً وأنهاراً، وحتى يسير الراكب بين العراق ومكة لا يخاف إلا ضلال الطريق . وحتى يكثر الهرج ، قالوا : وما الهرج يا رسول الله ؟ قال : القتل» (2).

ص: 180

1- وفي الرواية : « .. وأقبل رجل من المشرق برأيات سود صغار ، قبل صاحب الشام ، فهو الذي يؤدي الطاعة إلى المهدي عليه السلام ، في البحار 215/52]. فأصحاب هذه الراية الإمامية المهمة جدا في آخر الزمن هم الموطشون الخراسانيون الذين يخوضون معركة ضارية في وجه السفيناني وحروية مختلفة في وجه قوى مختلفة من العالم في ظل توطنتهم لسلطان المهدي عليه السلام.

2- الرواية عن النبي صلى الله عليه وآله : أحمد: ج 2 ص 370

وفي غيرها وصف لعمارات وأبنية، وإشارة إلى طرق وأمان وأدوات اتصال بين البلاد، فأهل الشرق يرون أهل الغرب، ويسمعون كلامهم، والعكس. حتى يقع القتل، أي حروب وخلافات وشبه ذلك ..

وفي متن آخر إشارة إلى ما يقع من أثر على المسلمين، كمحطات في غاية الأهمية حتى يوم الساعة، منها وفاة النبي صلى الله عليه وآله، وموت يقع. وفتنة بين المسلمين لا يبقى بيت من العرب إلا دخلته. وهدنة بينكم وبين بني الأصفر (الروم)، فيجتمعون لكم عدد حمل المرأة تسعة أشهر. إشارة إلى خطوط ومحطات كبيرة. على أن المقصود ببني الأصفر، هدتهم الأخيرة مع المهدي عليه السلام ثم غدرهم وإعلانهم جملة من معارك وحروب على جبهة المهدي عجل الله تعالى فرجه شريف التي ينتصر بها المهدي بعد معارك ضارية (1).

وفي متن رمزي إشارة إلى «ست» تكون قبل الساعة، أولهن وفاة النبي صلى الله عليه وآله، وفتح بيت المقدس، وموت كقصاص الغنم، وهدنة تكون بينكم وبين بني الأصفر، وافتتاح مدينة الكفر، ورد الرجل مائة دينار سخطة. كما تحدثنا بعض النصوص عن فتنة تقع في العرب، لا يبقى بيت عربي إلا دخلته، ثم تصالحكم الروم. وفي بعضها يفرح حذيفة بن اليمان للفتح الذي تم للنبي صلى الله عليه وآله، معتقدا أن الحرب قد وضعت أوزارها، وهذا حصل بعد فتح مكة، فقال صلى الله عليه وآله: هيهات هيهات .. ثم بين أمور رئيسية كمحطات، ذكر أولها: موت النبي، ثم الفتنة التي تصيب المسلمين، ثم

ص: 181

1- ابن حماد: ص 7

ساق قصة طويلة كانت السادسة فيها معركة كبرى للمسلمين مع الروم ، قال في آخرها : فعند ذلك يا حذيفة تضع الحرب أوزارها ، فيعيشون في ذلك ما شاء الله ، ثم يأتيهم من قبل المشرق خبر الدجال أنه قد خرج (1)»

وعليه : يفهم من مجموع روايات الحديث أن الهدنة الأخيرة التي تكون بين المسلمين والروم إنما تكون بعد فتنة طويلة ، يدخل شرها كل بيت خاصة العرب ، وتؤكد الأخبار أن هذه الهدنة تكون على يد المهدي عليه السلام. قيمة النصوص هذه أنها تحدثنا عن آخر الزمن وما يقع فيه . وأن فتنة شديدة ، ذات أثر كبير ، وذات سعة هائلة ، تنتشر في أرض المسلمين ، بالأخص أرض العرب ، فتصك كل بيت ، وتكون فتنة قاسية جدا.

نعم تخبرنا أن الروم وجملة من قوى العالم آنذاك ، قبل ظهور المهدي عليه السلام ، تطغى على المسلمين ، وأن بلاد المسلمين والعرب تضعف أمام طمع الأكاسرة من الروم وغيرهم ، وأن جملة وفيرة من حكام المسلمين يكونون على هدي الروم لا على هدي الله . وعلى شاكلة الروم لا شاكلة أهل الإسلام .. وأن المساجد تعطل عن حقيقتها ، والسلطان يصبح بيد الفجرة والفسقة وغيرها من أوصاف الانحراف في فقه الإسلام ، وأن المؤمن في بلاد الإسلام يعاني بشدة من انحراف الموثيق والقانون عن دين الله تعالى .. على أن النصوص لا تخبرنا عن كيان أو أمة عربية لها ريادة في التوطئة لظهور المهدي عليه السلام ، بل تخبرنا عن الأبدال الشاميين ، والنجباء

ص: 182

1- ابن حماد : ص 7

المصريين ، والعصائب العراقيين كحركات ثورية ، أو كيانات أقل نفوذاً من خراسان التي تشكل قطب الرحي في التوطئة للمهدي عليه السلام .. النصوص صريحة في أن راية خراسان تشكل مركز القوة الإسلامية الإيمانية في آخر الزمن . وأن هناك حركات أو كيانات عربية أقل نفوذاً ، تعلن ولاءها لهذه الراية الإيمانية التي تعلن بدورها ولاءها للمهدي وأهل بيت النبي عليهم السلام .

والمثير أنه قبل الظهور تشكل بعض الجيوش العربية التي تقاوم راية الخراسانيين الموطئين لسلطان المهدي عجل الله تعالى فرجه شريف، بالتحالف مع الروم والترك وشبه ذلك . خاصة راية المغربي والسفياي(1). كلتا هاتين رايتان عربيتان تجمع جيشاً جبارة يقاوم الخراسانيين . في حين نجباء مصر ، وأبدال الشام ، وعصائب العراق ، وهم من العرب أيضاً ، يعلنون ولاءهم للمهدي ولآل بيت النبي عليهم السلام ، ويتحالفون مع الخراساني ، ويقاومون في صفه ، ويكونون يداً واحدة على من سواهم . ويبدلون في سبيل ذلك تضحيات جبارة . نعم ، إذا ظهر المهدي عليه السلام ، تخبرنا النصوص عن فرقتين من العرب : واحدة تجاهر بعبادها للمهدي عليه السلام ، كالسفياي مثلاً ، وواحدة تعلن ولاءها له ، مثل الأبدال الشاميين والعصائب العراقيين والنجباء المصريين ، وغيرهم .

ص: 183

1- على أن السفياي يكون من ألد الأعداء على الخراسانيين وأتباع أهل البيت عليهم السلام . وفي الرواية : « ليس له همّة إلا أهل المشرق » [الفتن/ 176] . وفي الرواية عن الإمام الصادق عليه السلام : « كأي بالسفياي قد طرح رحلة في رحبتكم في الكوفة ، فنادى مناديه من جاء برأس شيعة علي فله ألف درهم ، فيثب الجار على جاره ويقول هذا منهم ، فيضرب عنقه ، ويأخذ ألف درهم . أما إن إمارتكم يومئذ لا تكون إلا- لاولاد البغايا، وكأي أنظر إلى صاحب البرقع ، قلت : ومن صاحب البرقع ؟ فقال : رجل منكم يقول بقولكم ، يلبس البرقع فيحوشكم فيعرفكم ، ولا تعرفونه ، فيغمز بكم رجلاً رجلاً ، أما (إنه) لا يكون إلا ابن بغي » [البحار 215/25] .

كما تؤكد وقوع معارك ضارية مع جيش عربي جبار ، أي جيش السفيناني ، تنتهي بذبح السفيناني وانهزام ذلك الجيش شر هزيمة ، على أن المتون تخبرنا بأن العرب يهتدون بالمهدي عليه السلام ، فينعطفون إليه ، فيبار كههم الله بالمهدي عجل الله تعالى فرجه شريف. لكن ذلك لا يمنع وجود فروع عربية تظل على حلف مع الروم أو أعداء دولة المهدي عليه السلام أو الدجال حين يخرج ، النصوص صريحة في الإشارة إلى يهود أمة النبي صلى الله عليه وآله وغير ذلك .. على أن بعض النصوص تحدثنا بصيغة : « العرب قليل » زمن خروج الدجال .! ففي حديث أم شريك ، تسأل النبي صلى الله عليه وآله عن العرب ، قائلة : « أين العرب يومئذ ؟ فيقول صلى الله عليه وآله : « هم يومئذ قليل ، وجلهم بيت المقدس ، وإمامهم رجل صالح (يعني المهدي عليه السلام) » (1).

لا- أدري ما المقصود تفصيلا بهذا التعبير .. لكن النصوص تخبرنا بأن العرب تهتدي بالمهدي عليه السلام، وبه تطمئن ، رغم أن بعض النصوص تخبرنا عن خوف و تردد بعض العرب من خوض ملحمة الأعماق (حلب أو بلاد الشام) في وجه الروم ، وأن المهدي عندئذ يبعث إلى جيشي الخراساني واليماني ، في حين اليماني عربي ، ويبدو أن نواة جيشه من العرب ، فيما

ص: 184

1- فبينما إمامهم قد تقدم يصلي بهم الصبح إذ نزل عليهم عيسى بن مريم عليه السلام الصبح ، فرجع ذلك الأمام بنكص يمشي القهقري ليتقدم عيسى يصلي بالناس ، فيضع عيسى يده بين كتفيه ثم يقول له : تقدم فصل فإنها لك أقيمت ، فيصلي بهم إمامهم ، فإذا انصرف قال عيسى عليه السلام : إفتحوا الباب ، فيفتح ووراء الدجال معه سبعون ألف يهودي ، كلهم ذو سيف محلى وساج ، فإذا نظر إليه الدجال ذاب كما يذوب الملح في الماء، وينطلق هاربا ويقول عيسى عليه السلام : إن لي فيك ضربة لن تسبقني بها ، فيدركه عند باب « اللد » الشرقي فيقتله ، فيهزم الله اليهود ، فلا يبقى شئ مما خلق الله يتوارى به يهودي إلا أنطق الله ذلك الشئ ، لا حجر ولا شجر ولا حائط ولا دابة (إلا الغرقة ، فإنها من شجرهم ، لا تنطق) إلا قال يا عيد الله المسلم ، هذا يهودي ، فتعال أقتله . إلى آخر روايته . وكذا رواية ابن حماد . ابن ماجة : ج 2 ص 1359 ح 4077

الأبدال والعصائب والنجباء أيضا من العرب ولهم وصف وعظمة خاصة في سلك جيش وقيادة المهدي عليه السلام . فهل المقصود ب- « العرب قليل » أن الباقي منهم موجود في شطر آخر من جبهة المهدي عليه السلام أم أن هناك من يخرج مع الدجال أو يكون في وجه جبهة المهدي عليه السلام .؟

الأكد أن بلاد العرب تكون تحت يد المهدي ودولته ، وأن بعضا منها يسقط بالحرب ، والبعض الآخر هو بنفسه يعلن الولاء والتعظيم محبة وشوقا للمهدي عجل الله تعالى فرجه شريف ، بل هناك قسم من العرب يقاتلون ببسالة مذهلة بين يدي المهدي عليه السلام كالأبدال والعصائب والنجباء واليمينيين . نعم يبدو من لحن بعض المتون أن الدجال يجمع في جبهته من كل الناس ، مما بقي من فلول الروم ، ومن غيرهم ، ويكون منهم من يهود أئمة النبي صلى الله عليه وآله، أي بعض المسلمين .. وليس هذا حصرة في العرب . من هنا، فإن تعبير « قليل »، قد يراد به أنه قليل مقابل كثرة جند الدجال في تلك الفترة ، أو قليل لأن قسما منهم منتشر في أنحاء مختلفة من جبهة المهدي ودولته ، وهكذا ..

لأن النصوص تؤكد هداية العرب بالمهدي عليه السلام وانضواءها تحت لواءه وتضحياتها في سبيل دعوته . على أن الروم ، في بعض تعابيرها، تحدث سلطانها وحاكمها بعد انقلابها على الهدنة مع جيش المهدي عليه السلام ، بأنها كفته حد العرب . كإشارة منهم إلى المهدي عليه السلام ، أو إشارة إلى جبهة للمهدي في بلاد عربية تقع فيها تلك المعركة، ويكون لها أثر في ميزان القوة آنذاك ..

حرب الروم على دولة عليه السلام بعى غدرهم

تؤكد الروايات أنه في تلك اللحظات التاريخية من انتصار المسلمين والروم على الترك ، تغدر الروم بالهدنة المعقودة مع المهدي عليه السلام ، وتعمل مباشرة لتعديل ميزان القوة ، فتطمح لهزيمة جبهة المهدي ، وتختبئ وراء الصليب كدافع لحربها . فتعلن انتصار الصليب وتقع معركة غدرهم في لبنان (مرج ذي تلول) ، ومنذ تلك اللحظة تبدأ معركتهم مع المهدي عجل الله تعالى فرجه شريف ..

تخبرنا النصوص أن المسلمين يصلحون الروم عشر سنين صلحا أما في الروم سنتين ثم تغدر في الثالثة ، أو يفون أربعا ويغدرون في الخامسة ، فينزل جيش من المسلمين في مدينتهم ، فيتحالف المسلمون والروم لقتال عدو ثالث ، هو الترك وجملة من حلفاء فرعيين معه ، فينتصر المسلمون والروم في تلك المعركة على عدوهم ، ويفتح الله لهم ، ثم ينزلون في « مرج ذي تلول » ، أي في لبنان ، يبدو أن ذلك كمحطة في طريق العسكر لأمر ما ، أو تموضع استراتيجي استثنائي ، وذلك بعد انتهاء تلك الحرب مع الترك وغيرهم ، وهناك ، أي في لبنان ، تنتصر الروم للصليب ، وبدل من خطابها ، بهدف الإطاحة بالمسلمين ، ويظهر بوضوح أن عدد جنودها وآليات حربها تخولها آنذاك التخطيط للشروع في هكذا معركة ، فبينما المسلمون يقولون : الله غلب ، والروم يقولون : الصليب غلب ، يتداولونها ساعة ، ثم تقع المعركة حيث يثور مسلم إلى صليبيهم فيدقه ، فيثور الروم إلى كاسر

صليهم ، فيضربون عنقه ، فتثور تلك العصابة من المسلمين إلى أسلحتهم ، وتثور الروم إلى أسلحتهم ، فيقتتلون فيكم الله تلك العصابة من المسلمين فيستشهدون . النصوص تصف تلك المعركة بالقتال الشديد . ثم تتمكن الروم من حسم تلك المعركة لصالحها ، مع تلك الفئة المؤمنة المستميتة من جيش المهدي عليه السلام في سبيل الإسلام.

ويبدو بوضوح أن الروم تنسحب من تلك الأرض ، ويأتون ملكهم فيقولون له : قد كفييناك حد العرب وبأسهم ، فماذا تنتظر ؟ يريدون منه أن يجهز جيشا كبيرا للقضاء على دولة المهدي ، فيفعل ذلك ، ويبدأ بتجهيز أساطيل الحرب ..

عندها يجمع حاكم الروم قوة عسكرية ضخمة في مدة حمل امرأة ، أي طيلة 9 أشهر . ثم يقصد جبهة المهدي عليه السلام في 80 غاية ، أي في 80 قافلة أو قوة مسلحة بقطعها الحربية المختلفة ، وفي كل غاية أو قافلة حربية يوجد 12 ألف جندي . أي ما يقرب من مليون جندي .! بهدف القضاء على دولة المهدي (1) عليه السلام . على أنه قد يستفاد من بعض المتون تعرض «كرمان» سابقا لهجوم منالترك وجملة من حلفاءها ، في حين يكون الترك أعداء للروم .. وفي لحظة ما، لا ندري تفاصيلها ، يكون من المصلحة عقد « تحالف عسكري » بين الروم والمسلمين لمهاجمة الترك ، وذلك بعد قيام الهدنة بين الروم والمسلمين ، فيهاجم المسلمون والروم الترك وباقي

ص: 187

1- الطبراني : الكبير : ج 8 ص 120 - 7495 - ابن حماد : ص 137

حلفاءهم ويهزمونهم . ومع هزيمة الترك تفكر الروم بضرورة حسم ميزان القوة الجديد لصالحها ، عندها تنتصر لصليبيها ، وتفتك بتلك الفئة المؤمنة التي تقا تل قتالا شديدا حتى تستشهد ، إلى درجة أن الروم ينذهلون من انتصارهم على تلك « الفئة القوية » في مرج « ذي تلول » ، فيقولون لملكهم أن جهز جيشا لغزو دولة المهدي عليه السلام ، لأننا قد كفيناك حد العرب . وعن وصف معركة الغدر التي تقودها الروم آنذاك ..؟ يقول ونس بن سيف الخولاني : « فينحازون وتنحازون ، فيقتتلون قتالا شديدا عند مرج ذي تلول . ثم يفتح الله لكم عليهم ، ثم تكون الملاحم بعد ذلك»(1). وفي رواية ذي مخمر عن تلك المعركة في مرج ذي تلول ، يؤكد انتصار المسلمين والروم على عدوهم في حلفهم العسكري ، ثم يشير إلى غدر الروم بالمسلمين ، فيقول : « فعند ذلك يغدر الروم ويجمعون للملحمة »(2).

ويبدو من بعض النصوص أن الروم ودولة المهدي عليه السلام تشكلان قتين كبيرتين آنذاك في ميزان القوى العالمية . ومع اصطدامهما تهتر جملة كبيرة ممنواحي الأرض المعارك ، بدء من الشرق وصولا إلى الغرب . وهذا معنى قول النبي صلى الله عليه وآله : « إذا ملك العتيقان : عتيق العرب وعتيق الروم ، كانت على أيديهما الملاحم »(3).

ص: 188

- 1- ابن حماد : ص 137
- 2- ابن حماد : ص 137 * أيضا فقي رواية جبير بن نغير عن ذي مخمر : « فعند ذلك تغدر الروم و تكون الملاحم ، فيجتمعون إليكم فيأتونكم في ثمانين غاية مع كل غاية عشرة آلاف » أيضا : الطبراني : الكبير : ج 8 ص 120 ح 7495
- 3- ابن حماد : ص 131

على أن خريطة المتون تؤكد مبادرة الروم في جيشها وقواها نحو الشرق للقضاء على جبهة المهدي ، بل تسلط قواتها نحو منطقة المهدي عليه السلام بالذات للقضاء عليه وعليها . وتقع معركة عنيفة بين الجيوش الرومية التي تمثل جبهة الغرب ، ودولة المهدي عليه السلام ما بين صور وعكا(1) .. ثم تقع الملحمة الضخمة مع الروم ودولة المهدي عليه السلام في الأعماق (ناحية حلب أو بلاد الشام أو في أعماق الجزيرة) ، وتبدو أولى أيام المعارك في الأعماق شبه متكافئة ، كما في صريح الأخبار ، فهم يرمون بالنيازك وكذا المسلمون ، أي أدوات حرب لها ذنب ملتهب ، واليوم أقرب مثال له الصاروخ .. وتدوم تلك المعركة المتكافئة شهرا ، ثم تنهار قوة الروم ، وترجح كفة المسلمين ، وتؤكد لنا الرواية أن المهدي عليه السلام في تلك المعركة يبعث إلى الخراسانيين واليماني للمشاركة في تلك المعركة الكبيرة ، وأن بعض العرب يترددون فيلومونهم أهل خراسان ويحرضونهم للإنخراط والإستبسال في تلك المعركة الضخمة . ويتكاتف المسلمون فيما بينهم في وجه الروم ، إلى أن تنتهي تلك المعركة الملحمة بانتصار المسلمين وانهزام الروم ،

ثم يستمر خط المواجهة الحربية تباعا في وجه الروم ، وصولا إلى بلاد الغرب الرومية ، فتقع معارك شديدة الضراوة في بلاد الغرب ، يفتح المسلمون على أثرها عاصمة الروم . وبذلك تنتهي دولة أو حلف روما من الوجود إلى الأبد .. وتنتشر دولة المهدي عليه السلام من شرق الأرض إلى غربها ،

ص: 189

1- جامع البيان ، الطبري : ج 15 ص 17 ابن أبي حاتم : على ما في الدر المنثور .

1- ويبدو من النصوص أن لياجوج وأجوج أثرة على بلاد المسلمين والعرب ، ففي رواية زينب بنت جحش ، قالت : دخل علينا رسول الله صلى الله عليه وآله وهو يقول : « .. ويل للعرب ، من شر قد اقترب ، فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذا - وحلق إبهامه بالتي تليها - (إشارة إلى علم أتخفه الله به عن آخر الزمان ، بحيث بين له من أمر الأمة التي تمثل جبهة يأجوج ومأجوج وتخوض غمار تلك المعركة الضخمة آنذاك) قالت فقلت : يا رسول الله أنهلك وفينا الصالحون؟ قال صلى الله عليه وآله : نعم إذا كثر الخبيث ، [عبد الرزاق : ج 11 ص 362 د 20749] . إشارة إلى أن العرب يتأثرون بهذه الجبهة ، وهي التي تكون موجودة قبل ظهور الإمام المهدي عليه السلام . وفي تعبيره « ويل للعرب » إشارة إلى خطر داهم وكوارث تقع عليهم من هذا الباب . وفي الذيل إشارة إلى أن العرب - قبل الظهور - يصلون إلى هذا المستوى من السقوط والإنهيار ونزول الشر بسبب خروجهم عن قيم السماء ومعالم الشريعة ، فإذا كان ذلك كذلك طالهم الشر والويل .. وفي لفتة إلى انشغالهم ببناء قوة جبروتهم تلك روى أبو هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وآله قال : « إن يأجوج ومأجوج ليحفرن السد كل يوم (إشارة إلى تواصلهم في بناء قوتهم) حتى إذا كان شعاع الشمس قال الذي عليهم : إرجعوا فستحفرون غدا (بناء القوة المتتابع) ، فيعودون إليه كأشد ما كان ، حتى إذا بلغت مدتهم (أي وصلوا إلى مستوى صناعة القوة التي يؤثرون بها على العالم) وأراد الله عز وجل أن يبعثهم على الناس (أي لم يمنع مسيرتهم الطبيعية في إعداد القوة واختيارهم الذي سيسألون عنه لما هم عليه من اختيار) حفروا حتى إذا كادوا يرون شعاع الشمس (إشارة إلى رؤيتهم نوعا مهمة من تصاعدية ما لديهم من قوة) قال الذي عليهم : إرجعوا فستحفرونه غدا (للمزيد من بناء القوة التي يفتحون بها المزيد من بقاع العالم ، إشارة إلى فتح السد وتجاوز العقبات) .. فيعودون إليه ، وهو كهيمته حين تركوه ، فيحفرونه (أي يفتحون ثغرات في سور الأمم) ، ويخرجون على الناس (معلنين الحرب بأشكال مختلفة) فينشفون المياه (إشارة إلى احتكارهم وسيطرتهم على المزيد من المياه ومنابعها التي يحتاجها الناس) ويتحصن الناس منهم في حصونهم (إشارة إلى إعلانهم الحرب على الناس والكيانات) ، فيرمون بسهامهم إلى السماء فترجع وعليها كهية الدم فيقولون : قهرنا أهل الأرض ، وعلونا أهل السماء (إشارة إلى حرب عنيفة يخوضونها مع أمة أو أمم تستعمل فيها أدوات الحرب التي منها أدوات الجو والفضاء ، ويبدو أن مثل هذا التدمير لمناعة الكيانات يحتاج إلى زمن) ، فيبعث الله عليهم نغفا (قطعة الجلد التي تتخذ حزاما ، شبه بها الدود الذي يبعث على يأجوج ومأجوج) في أفتانهم ، فيقتلهم بها (إشارة إلى نهاية هؤلاء ، وكأن النص يقول بشكل واضح ان نهايتهم تكون بواسطة تدخل السماء وتطويع مرض محدد أو كائنات محددة تقضي عليهم كما هي الحال في تدخل السماء عبر طير أبايل التي رمت أبرهة وقومه بحجارة من سجيل فجعلهم كعصف مأكول) . فقال رسول الله صلى الله عليه وآله : والذي نفس محمد بيده ، إن دواب الأرض لتسمن شكرا (أي تسمن ويكثر بها) من لحومهم ودمائهم ، [عبد الرزاق : على ما في الدر المنثور . * أحمد: ج 2 ص 510 جامع البيان] . وفي لفظ الطبري - يصف قوتهم مع تنبيه الأمم لما هم عليه من هذه القوة التي يعمدون عبرها إلى فتح سدود العالم في وجههم - قال : قال كعب : « ... حتى بسمع الذين يلونهم فرع فوسهم (إشارة إلى تعاضم قوتهم التسليحية التي يخوضون بها غمار فتح الحدود ومهاجمة الدول) ، فإذا كان الليل قالوا : نجين غدا فنخرج ، فيعيدها الله كما كانت (إشارة إلى عقبات تحول دون خروجهم على العالم) فيجيثون من الغد فيجدونه قد أعاده الله كما كان (تأكيد على عقبات غير منتظرة أمام هذا المدد الهائل من جند وأدوات يأجوج ومأجوج) فيحفرونه حتى يسمع الذين يلونهم فرع فؤوسهم .. فيحفرون ثم يخرجون (إشارة إلى غزوهم العالم وخروجهم عليه) ، فتمر الزمرة الأولى بالبحيرة فيشربون ماءها (إشارة إلى كثرة ضخمة يتشكلون منها ، فضلا عن التأكيد على سيطرتهم على الموارد المائية أي نسبة ملفتة منها ، وهذه التعبيرات يراد منها لفت النظر إلى كثرتهم وقدرتهم وتخريبهم) ، ثم تمر الزمرة الثانية فيلحسون طينها (إشارة إلى أثر التخريب وتبديد الموارد كوسيلة من وسائل حربهم تلك) ، ثم تم الزمرة الثالثة فيقولون : قد كان ههنا مرة ماء (تأكيد على قوتهم وتعبئة لنفوسهم في مواجهة العالم ، وسيطرة

منهم على زمام الأمور حتى الآن) ، وتف الناس منهم ، فلا يقوم لهم شئ (إشارة إلى انتصارات متتالية يحققونها منذ لحظة خروجهم من رواء السد ، فلا يقوى الناس على الصمود بوجههم) ، فيدعو عليهم عيسى بن مريم عليه السلام (إشارة ختامية ، بعد النظر عن التفاصيل وما يجري في العالم آنذاك . النص هنا ينقلنا من طور قوتهم إلى طور نهايتهم) فيقول عليه السلام : اللهم لا طاقة ولا بدين لنا بهم ، فاكفناهم بما شئت ، فيسلط الله عليهم دودا يقال له النغف ، فتفرس رقابهم ، ويبعث الله عليهم طيرة فتأخذهم بمناقرها فتلقيهم في البحر ، ويبعث الله عينة يقال لها الحياة تطهر الأرض منهم ، وتنبتها ، حتى أن الرمانه ليشيع منها السكن . « [الطبري : ج 17 ص 71] . ففي هذا النص إشارة إلى قوم يعدون بالكثير جدا في نسلهم و تعداد سكانهم ، يفدون على العالم بفرق ثلاث ، يخربون الموارد ، ويتعمدون ذلك ، فلا تصمد بين أيديهم القرى وتنهار أمامهم الحصون ، وتتساقط السدود ، إلى أن يبعث الله عليهم سلطانا من السماء ، أي قوى قاتلة تقتلهم فيطهر الله الأرض منهم ..

على أن النصوص تحدثنا عن واحدة من « غلبة السودان » ، أي دولة أو جبهة أو تحالف أو كيان أو أي شيء آخر يكون فيه علامة من جند أسود ، أو قادة سود ، أو أي صفة لها نوع « مانز » وغلبة واضحة في صفة ما من السود ، فيقاتلون العرب فيغلبونهم . وهذه علامة قد تكون وقعت أو ستقع..

نعم رواية حذيفة بن اليمان تحدثنا عن وقعة مؤلمة تكون بالزوراء (بغداد) . النصوص تصفها بأنها مدينة بالمشرق ، بين أنهار يسكنها شرار خلق الله ، وجبابة من المسلمين ، قذف فيما بعد بأربعة أصناف من العذاب : بالسيف (كقتال وغزو مباشر والتحام في المعارك) ، وخسف (كالزلازل وأشباهاها أو ما هو من مصاديق الزلازل لكنه من صنع الإنسان لا

ص: 191

الطبيعة، على أن ظاهر النص يرجح فعل الطبيعة الا الإنسان)، وقذف (وهذا يعني إما : حرب عبر أدوات العسكرية الصاروخية أو عبارة عن عذاب آخر) ومسوخ (وهي من علامات آخر الزمان). والنص يريد بذلك الإشارة إلى صنف من الحكام البغداديين، معهم جماعة من معاونيهم، وجنهم أراذل جبابرة. ثم يؤكد على وصف آخر، وهو إذا خرجت السودان تطلب العرب وأنها تغلبهم، وينكشفون حتى يلحقوا ببطن الأرض، أو قال ببطن الاردن، ويبدو أن المعنى الأول هو أجدى. على أن الثاني ممكن.

فبينما هم كذلك، إذ خرج السفيناني في ستين وثلاثمائة راكب، حتى يأتي دمشق، فلا يأتي عليه شهر حتى يبايعه من كلب ثلاثون ألفاً، فيبعث جيشاً إلى العراق، فيقتل بالزوراء (بغداد) مائة ألف، وينحدرون إلى الكوفة، فينهبونها، فعند ذلك تخرج راية من المشرق يقودها («شعيب بن صالح⁽¹⁾») وهو رجل من بني تميم، فيستنقذ ما في أيديهم من سبي أهل الكوفة ويقتلهم، أي ينتصر على الجيش السفيناني في تلك الواقعة. ما يعني أن الإشارة إلى حرب السودان والعرب قريبة نسبياً من زمن خروج السفيناني، وبعد النظر عن هوية هؤلاء السودان ورمزيتهم، وهل المقصود

ص: 192

1- يظهر شعيب بن صالح في المجتمع الخراساني فجأة، وقد شبه الإمام علي عليه السلام خروجه في أرض خراسان بالنبع إشارة إلى الفجأة التي يظهر فيها، فقال عليه السلام: « وتحركت عساكر خراسان، ونبع شعيب بن صالح التميمي من بطن الطالقان، (مشارق البرسي 166). وهو من الكنوز الخفية التي تظهر في آخر الزمان. وفي الرواية: « وإن لآل محمد بالطالقان الكنزا، سيظهره الله إذا شاء، دعاة حق يقومون بإذن الله فيدعون إلى دين الله » (شرح نهج البلاغة 7/48). ويسبق خروج رجال الطالقان العظماء فتنة عامة في أرض خراسان، وأحداث صعبة، يراد منها الانقلاب على قيادة الخراساني الموطئ للمهدي سلطانه، فيخرج الطالقانيون وينصرون الخراساني ويقضون على المنقلبين.

بهم مناطقهم بالذات أو جيوش فيها من السود ما يميزهم قادة أو جندا ، ثم العرب ليس بالضرورة المقصود كل العرب ، بل يمكن أن تكون دولة أو كيان أو تحالف يهزم بشدة أمام لجند أسود أو فيه قادة سود أو فيه ميزة عسكرية ذات صلة بالسود وشبه ذلك(1).. على أن هناك تفاصيل ووقائع مهمة ومختلفة تقع في ذلك الزمن ، لم تحدثنا عنها النصوص ، كما هي حال النبوءات المستقبلية ..

وعليه : تعاني العرب من أزمات وإنهاكات مختلفة ، أهمها الفتن العسكرية ، وخلافات بينية ، وغزو وحروب تطالها قبل الظهور الشريف ، وأن العرب تكون على قسمين : واحدة مع الظلمة الكفرة والفسقة ، وقسم مع أهل الإسلام والإيمان والدعاة للإمام المهدي عليه السلام . وأن السفيناني(2) يكون من أشهر جيوش العرب التي تقاتل المهدي عليه السلام وأنصاره والتي

ص: 193

1- ثم يخرج جيش آخر من جيوش السفيناني إلى المدينة ، فينهونها ثلاثة أيام ثم يسرون إلى مكة ، حتى إذا كانوا بالبيداء بعث الله عزوجل جبرئيل عليه السلام فيقول : يا جبرئيل عذبهم ، فيضربهم برجله ضربة فيخسف الله عزوجل بهم فلا يبقى منهم إلا رجلان فيقدمان على السفيناني فيخبرانه خسف الجيش فلا يهوله . ثم إن رجلا من قريش يهربون إلى قسطنطينية فيبعث السفيناني إلى عظيم الروم أن أبعث إلي بهم في المجمع ، قال : فيبعث بهم إليه ، فيضرب أعناقهم على باب المدينة بدمشق . ثم قال حذيفة : حتى إنه يطاف بالمرأة في مسجد دمشق في الثوب على مجلس ، مجلس ، حتى تأتي فخذ السفيناني فتجلس عليه ، وهو في المحراب قاعد ، فيقوم رجل من المسلمين فيقول ، ويحكم أكفرتم بالله بعد إيمانكم ؟ إن هذا لا يحل ، فيقوم فيضرب عنقه في مسجد دمشق ، ويقتل كل من شايعه على ذلك . فعند ذلك ينادي من السماء مناد : أيها الناس إن الله عزوجل قد قطع عنكم مدة الجبارين والمنافقين وأشياءهم وأتباعهم . وولاكم خير أمة محمد صلى الله عليه وآله ، فالحقوا به بمكة ، فإنه المهدي عليه السلام . [جامع البيان ، الطبري : ج 15 ص 17 ابن أبي حاتم : على ما في الدر المنثور] .

2- وقد قال الإمام علي عليه السلام بوصف السفيناني في رسالة إلى معاوية : « .. إن رجلا من ولدك ، مشؤوم ملعون ، جلف جان ، منكوس القلب ، فظ غليظ ، قد نزع الله من قلبه الرحمة والرأفة ، أخواله من كلب ، كأني أنظر إليه ولو شئت السيئة ووصفة » [مصباح البلاغة 236/ خطبة رقم 226] . وتطلق عليه بعض الروايات صفة ابن آكلة الأكباد نسبة إلى جدته هند زوجة أبي سفينان التي لاكت كبد حمزة عم النبي صلى الله عليه وآله

تجاهر بعداءها الكبير للخراسانيين وتزحف إليهم في أكثر من معركة وحرب بهدف النيل منهم ..

لكن النصوص تؤكد أن جملة وجوه وجماعات في دولة السفيناني تقف لتتفاجأ بجور وفجور وكفر السفيناني وردته المفرطة ، فينال من بعضهم ويقتلهم ويتشفى منهم . على أن لحن بعض المتون يستفاد منه بوضوح وكأن أكثرية العرب تكون على غير أمر المهدي أول الأمر .. ويظهر أن جيش السفيناني يجمع من جند العرب الكثير ، وسيطر على مناطق كبيرة ، فهو يسيطر على الكور الخمس ، إلا منطقة الأبدال الشاميين(1)، كما يقاتل الأبقع الذي يزحف من مصر ، فيهزمه ، ثم يتابع زحفه حتى يدخل مصر ويوقع فيها ملاحم دموية وغرائزية هائلة ، كما يغزو العراق ، ويزحف نحو الحجاز ، ويهاجم الأراضي الإيرانية ، بل يقاتل في معركة قرقيسيا الترك والروم وينتصر عليهما .. ورغم الخسف الهائل الذي يصيب جنده في بيداء المدينة ، وهزيمة جنده أمام الخراسانيين في منطقة اصطخر الإيرانية ، يبقى له من القوة والجند ما يؤدي إلى اصطدام عنيف مع جيش المهدي خاصة قرب بحيرة طبرية ، وينتهي الأمر بذبح السفيناني وانتصار المهدي عجل الله تعالى فرجه شريف.

على أن بعض المتون تحدثنا عن «سفيناني أول» ، مجرم ، سفاح ، قتال ، مسلم القول ، كافر الفعل ، تغضب السماء من فعله وسفكه للدماء دون

ص: 194

1- وفي صريح الرواية عن الإمام الصادق عليه السلام : « فينقاد له أهل الشام إلا طوائف من المقيمين على الحق بعصمهم الله من الخروج معه » [البحار 252/52] وذلك بما يملكون من قوة صمود ، ومواجهه وصبر وأناة .

وجه حق، لا يفرق بين طفل وامرأة وشيخ ولا يهمله حد في الإسلام أو حاجز حرمة . ثم تحدثنا عن سفياني ثاني هو السفياني الجبار القتال المرتد بصخب كبير ، وهو المذكور في الأحداث الجسام . ففي خبر أبي وهب الكلاعي : « تفترق الناس والعرب في بربر على أربع رايات ، فتكون الغلبة (1) لقضاعة (2) ، وعليهم رجل من ولد أبي سفيان . ثم يستقبل السفياني فيقاتل بني هاشم وكل من نازعه من الرايات الثلاث وغيرها ، فيظهر عليهم جميعا ، ثم يسير إلى الكوفة ، ويخرج بني هاشم إلى العراق . ثم يرجع من الكوفة فيموت في أدنى الشام (هذا كما يبدو واضحا السفياني الأول) ، ويستخلف رجلا آخر من ولد أبي سفيان تكون الغلبة له ، ويظهر على الناس وهو السفياني « (3).

ويبدو من النصوص أن خط « دمشق - بغداد » يعاني من صراع وخلاف وفرقة وحروب مختلفة خاصة قبل الظهور .. لا تذكر النصوص كامل التفاصيل عن المشرق العربي والمغرب العربي ، لكن يبدو أن كفة القوة العربية ترجح بوضوح لصالح المشرق العربي متمثلا بالسفياني على حساب قوة الراية المغربية التي تضعف بشدة أمام جموح السفياني . ما يعني أن قوة الراية العربية بقيادة السفياني المناهضة لأمر المهدي عليه السلام وأمر

ص: 195

1- وقد ذكر جملة من المؤرخين أن قبيلة قضاعة بقيت موالية للامويين ، وعلى خلاف للعباسيين . وفي قول المأمون العباسي : إنهم ينتظرون ظهور السفياني ليكونوا معه .

2- قضاعة هي من قبائل عرب الجنوب الكبيرة ، تقف مع السفياني وتناصره بشدة في الشام ، ومن أشهر فروعها: جهينة

3- ابن حماد : ص 78

أنصاره كالخراسانيين والأبدال والعصائب والنجباء تكون على نحو من عدد وعتاد كبير ، تؤمن للسيفياني السيطرة على الكور ، واجتياحات نحو مصر والعراق والحجاز ، بل ويقصد بعض المناطق الإيرانية التي يهزم فيها بشدة . إذا ، قوة السفياني ، تنتصر على المغربي ، وبهذا يشكل السفياني « مركز الثقل » في الجيش العربي الذي يقا تل الخراسانيين وجبهة المهدي عليه السلام أيضا (1). لكن بالمقابل هناك « مركز عربي » آخر ، يعلن ولاءه الكامل للمهدي عليه السلام ، ويبذل كل ما يملك من قوة وطاقة ومهارات لنصرة أمر المهدي وجبهته ، يتمثل بالأبدال الشاميين ، والعصائب العراقيين ، والنجباء المصريين ، بالإضافة إلى اليماني الذي يكسر عين السفياني ويهزمه (2).

على أن مناهضة أمر أهل البيت عليهم السلام وأتباعهم ، تقوده جماعات دموية لا تفرق بين حل أو حرام ، همها القتل ، والإبادة ، وسفك الدماء ، وهنا يخبرنا « الوليد بن مسلم » عن سفياني أول طاغ ، دموي ، قتال ، لكنه يموت ، وأنه هو الذي يدخل العراق ، ثم يموت بأدنى الشام ، ليشير إلى السفياني الثاني الذي تحدثنا النصوص عن طغيانه الكبير وقتله المثير (3) ، وهو

ص: 196

1- وفي الرواية : « فيقاتل [أي السفياني] أهل المشرق حتى يردهم إلى العراق ، (الفتن لابن حماد 17). » فيقاتل أهل المشرق حتى يردهم إلى العراق ، (عقد الدرر 53) وتقع المعارك بين السفياني والخراسانيين في أكثر من جبهة: في فلسطين ، ودمشق ، والعراق ، وأيضا في منطقة اصطخر الإيرانية التي ينتصر فيها الخراسانيون انتصارا هائلا .

2- وفي الرواية : « أني يخرج ولم يخرج كاسر عينه بصنعاء » [الحاوي للفتاوي 69/2] .

3- يخبرنا انه إذا غلبت قضاة ، وظهرت على جيش المغرب ، فأتى صاحبهم بني العباس ، فيدخل ابن أختهم الكوفة مع من معه فيخربها ، ثم تصيبه بها قرحة ، ويخرج منها يريد الشام ، فيهلك بين العراق والشام ، ثم يولون عليهم رجلا من أهل بيته ، فهو الذي يفعل بالناس الأفاعيل ، ويظهر أمره ، وهو السفياني ثم تجتمع العرب عليه بأرض الشام ، فيكون بينهم قتال حتى يتحول القتال إلى المدينة ، فتكون الملحمة يقيع الغرقد. (ابن جماد : ص 79)

الذي تجتمع العرب عليه بأرض الشام ، فيكون بينهم قتال حتى يتحول القتال إلى المدينة ، فتكون الملحمة ببيع الغرقد(1). واللافت أن خريطة جبهة السفيناني كلها حروب ومعارك وقتل وإبادة في مدة قصيرة ، ما يعني أنه يمتلك من الجند والعدة ما يمكنه من غلبة المغربي وفتح الكور واجتياح مصر والعراق ودخول الحجاز !.

إذا ، حضور العرب في «آخر الزمن» واضح جدا لكنهم فرق مختلفة ، ودول متعددة ، ذات ولايات مختلفة ، يعانون من هجمة القوى الكبرى عليهم ، فضلا عن الفتن بينهم ، فيما يبرز فيهم حكام جابرة وطواقم حكم فسقة فجرة لا يباليون لأمر دينهم وآخرتهم في حين تبقى رايات وجماعات محددة من العرب على الإسلام والحق وقوانين الشريعة ، فيثبتون على الإسلام مهما تغير الزمن واصطكت بهم الأحداث(2). واللافت ما ورد ببعض النصوص من مشاركة بعض العرب بجيش الدجال(3). ففي رواية

ص: 197

1- ابن حماد : ص 79

2- نعم هناك رواية تتحدث عن استحلال البيت (الكعبة) ، وهناك تقع ملكة العرب ، لكن الحديث غير سليم من جهة السند . فالرواي بروي عن النبي صلى الله عليه وآله قوله : « يبائع لرجل بين الركن والمقام ، وأول من يستحل هذا البيت أهله ، فإذا استحلوه فلا تسأل عن ملكة العرب ، ثم يجئ الحبشة فيخربونه خرابا لا يعمر بعده ، وهم الذين يستخرجون كنزه .» الطيالسي : ص 312313 ح 2373

3- أولا لا بد من الإشارة إلى أرض العرب : فعن أرض العرب بعد الظهور ، يبدو واضحة أنها تكون تحت سلطان الإمام المهدي عليه السلام ، إلا ما يستفاد من طائفة فيها ضعف سند في كثير من متونها ، مفادها أن الدجال ، يسيطر على قسم وفير من أرض العرب ، وفي بعضها أنه يحتل أرض العرب كلها إلا طيبة أي المدينة ، لكن هذه النصوص ضعيفة من جهة ، وفيها ما يخالف نصوص صريحة ونظيفة البيان والصدور تفيد أن مكة والمدينة (أي الحجاز) ، والقدس ، لا يتمكن الدجال من دخولها ، ما يعني ان ألفاظ المتون جاءت على نحو من الغلبة لبلاد العرب وليس وفق معنى كل أي الشمول ، بل بمعنى الكثرة والغلبة ليس أكثر . منها : الدجال مكتوب بين عينيه «ك ف ر» ، وقال : ذكر قتادة أنه يقرؤه كل مؤمن أمني وكاتب ، يخرج في قلة من الناس ونقص من الطعام ، يدخل أمصار العرب كلها غير طيبة وهي المدينة . قال قائل : يانبي الله أما يريد المدينة ؟ قال : بلى ولكن الملائكة صافون بنقابها وأبوابها يحرسونها ، (كنز العمال : ج 5 ص 291 ح 12915]: وعن ابن حماد : (ص 150 حلية الاولياء : ج 6 ص 13) عن كعب قال : ولم يسنده أيضا : « أول ماء برده الدجال من مياه العرب إلى جنبه جبل مشرف على البصرة يقال له سنام ».

كعب قال(1): « كآني بمقدمة الأءور الدجال ستمائة ألف من العرب يلبسون السيجان »(2). ومع أنني في شك كبير من روايات كعب ، إلا أن لحن مجموعة من المتون يخبرنا عن خروج جملة من المسلمين مع الدجال ، وهم يهود أمة محمد صلى الله عليه وآله.

ويلفتني هنا الخبر المروري عن النبي صلى الله عليه وآله من أن بعض الناس في نواحي الشام وهذه المناطق - زمن فتنة الدجال - يفرون منه إلى الجبال ، وهنا تسأل أم شريك - رواية الحديث - عن العرب يومئذ؟ فيقول صلى الله عليه وآله : « هم قليل(3) ». وكأن لبعض العرب مشاركة عسكرية مع الدجال ، على أن النصوص تخبرنا أن الدجال يخرج وهو يقود جبهة اليهود وفلول الروم والترك وجملة من الناس ، بما فيهم قوم من المسلمين . تصفهم النصوص بأنهم يهود أمة محمد صلى الله عليه وآله، إلا أن هذا الترجيح غير كامل ، خاصة أن قسما كبيرا من العرب يتجمع حول الأبدال والنجباء والعصائب واليماني ويؤكد النصوص التي قالت أن العرب تسعد بالمهدي صلى الله عليه وآله وتهتدي به ، ما يعني أن أكثرهم تكون مع المهدي عجل الله تعالى فرجه شريف.

ص: 198

1- ولم يسنده إلى النبي صلى الله عليه وآله

2- ابن أبي شيبة : ج 15 ص 182 ح 19458

3- طبقات ابن سعد : ج 8 ص 157

تحدثنا الأخبار عن مرحلة عسيرة جدا على العرب ، حيث تتوافد عليهم قوة البطش والحرب في زمن عسير . تصفها الأخبار بقولها : ويل للعرب من شر قد اقترب (1). على أن عبارة « ويل للعرب من شر قد اقترب » وردت للدلالة على أكثر من معنى ، منها: فتن أخلاقية وثقافية ، وفتن حروب وغزو ومعارك .. بعض الأخبار عن النبي صلى الله عليه وآله جاء فيها « ويل للعرب من شر قد اقترب ، فتنا كقطع الليل المظلم ، يصبح الرجل مؤمنا ويمسي كافرا ، يبيع قوم دينهم بعرض من الدنيا قليل ، المتمسك يومئذ بدينه كالقابض على الجمر ، أو قال على الشوك » (2)، فهذه تشير إلى فتنة عنيفة ، تطال دين المؤمنين ، وتبعد القوم عن الالتزام بالإسلام .. ويظهر من المتون أنها فتنة خطيرة جدا . تطال العرب بصميم قوتهم الضرورية ، أي الدين والإيمان . وتنبئنا النصوص عن نتائج مثيرة ، حيث قلة يلتزمون الدين ومواثيق الشريعة ، إلى درجة أن القابض على دينه يكون بمثابة القابض على الجمر لشدة ما تموج به أرض العرب من انحرافات وأعراف انحرافية مخيفة على مستوى الأخلاق والثقافة والقانون والتطبيقات ، بحيث بعيدة عن وقوانين الشريعة والتزاماتها .

ص: 199

-
- 1- ففي رواية زينب بنت أبي سلمة ، عن زينب بنت جحش ، قالت : دخل علينا رسول الله صلى الله عليه وآله وهو يقول : « ويل للعرب من شر قد اقترب ، فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذا وحلق إبهامه بالتي تليها قالت فقلت : يا رسول الله أنهلك وفينا الصالحون ؟ قال : نعم إذا كثر الخبيث ، : عبد الرزاق : ج 11 ص 363 ح 20749
- 2- أحمد : ج 2 ص 390

في حين منذر الثوري يخبرنا عن « ويل آخر » مفادة الحروب والدمار والار، وأجنحة الطيران ، ولهيب العسكر والمعارك ، بعد أن يترك الناس دينهم ، ويلتجئوا إلى دين الغريزة الرومية ، وشهواتها وباطلها ، بقوله : «ويل للعرب من شر قد اقترب ، الأجنحة وما الاجنحة ! أويل الطويل في الاجنحة ، ريح فيها هبوبها ، وريح تهيج هبوبها، وريح تواحي تراخي هبوبها .

ثم يقول : ويل للعرب .. من قتل ذريع ، وموت سريع ، وجوع فظيع ، يصب عليها البلاء صبا ، فتكفر صدورها، وتغير سرورها ، وتهتك ستورها ، ألا وبذنوبها يظهر مراقها ، وتنزع أوتادها، وتقطع أطناها ، ويل القريش من زنديقتها ، يحدث أحداثا ، يكذب بدينها ، وينزع منها هيبتها، ويهدم عليها جدرها ، وتغلب عليها جنودها ،

وعند ذلك تقوم النائحات الباقيات :

فباكية تبكي على دينها ،

وباكية تبكي على دنياها ،

وباكية تبكي من ذلها بعد عزها ،

وباكية تبكي من جوع أولادها ،

وباكية تبكي من قتل ولدانها في بطونها ،

وباكية تبكي من استدلال رقابها ،

وباكية تبكي من استحلال فروجها ،

وباكية تبكي من سفك دماها ،

ص: 200

وباكية تبكي خوفا من جنودها ،

وباكية تبكي شوقا إلى قبورها»(1).

إذا ، العرب أمام محنة شديدة ، وعركة عتيدة ، وخطورة هذه المحنة أن الجهل يضرب العرب من جديد ، ومعنى ذلك أن ترك موثيق وقوانين الإسلام خاصة في السلوك يشكل أزمة خطيرة تجتاح بلاد العرب والمسلمين .

ويبدو في الأحاديث تركيز شديد على أزمة الإنحراف التي تصيب بلاد العرب . النبي صلى الله عليه وآله يقول : « ويل للعرب من شر قد اقترب : ينقص العلم ويكثر الهرج قيل يا رسول الله وما الهرج ؟ قال صلى الله عليه وآله: القتل»(2).

إذا ، نقصان العلم والفقه والمعرفة والثقافة والضوابط ، مقابل همجية ثقافة الفسق والكفر والفجور والطغيان والرذائل والشهوات ، تؤدي في نهاية المطاف إلى الفتن والمهانة والتفخ والإنهيار والجوع والوَجوع والإذلال فنرى نساء المسلمين تبكي : دينها ، ودينها ، وذليها وجوع أولادها وقتل أجنحتها في بطونها ، واستذلال رقابها ، واستحلال فروجها ، وسفك دماؤها ، تبكي خوفا من جنودها ، وشوقا إلى قبورها»(3). فلا تراهم إلا ضعافا ، خائفين ، أسرى ، مستعمرين قد قتلهم الجوع والوَجوع والخوف والفرع،

ص: 201

1- عبد الرزاق : ج 11 ص 352 ح 20730

2- أحمد : ج 3 ص 536

3- عبد الرزاق : ج 11 ص 352 ح 20730

والإستغائة والضرع (1).. وتهب عليهم القتلة من هنا وهناك ، من شرق الأرض وغربها ، فلا ترى إلا ذاهبا لهم ، ساخرا منهم ، لقللة ما يمنعون أنفسهم به ، في حين ، بعض حكامهم يتحول إلى وكيل على دولة متداعية لصالح الروم أو القوى الأخرى النافذة في العالم ، وقومه جوعى بائسون ، وبنات دولته عرايا : مبتذلات ، قد كثر الزنا ، وتعت النساء ، وفسق الشباب ، وانتشر السحاق واللواط ، وفاض الباطل ، وتعزز الحرام (2)، وتقدمت الآثام ، في ظل إيمان ضعيف ، ومؤمنين معزولين ، وقرآن مبعد عن الميثاق والإعتقاد والدولة والحكم والأخلاقيات والأسواق !..

الأحاديث تخبرنا عن فوضى ، وفتن ، وفراغ ثقافي ، وخوف وفزع ، وجوع وإذلال يضرب بلاد العرب ، وجوقة جيوش من شرق الأرض وغربها تقصد بلادهم طمعا في ثرواتها ، بل تخوض حروبا لنهب تلك الثروات (3)..

يروى عمار بن ياسر بعض الأحداث التاريخية المستقبلية الأخيرة ما قبيل الظهور ، مشيرة أن علامة المهدي عليه السلام « إذا انساب عليكم الترك ، ومات خليفتمكم الذي يجمع الأموال ، ويستخلف بعده حاكم ضعيف ،

ص: 202

1- في واحدة من تلك المشاهد ورد في الحديث النبوي : « منعت العراق قفيزها و در همها ، ومنعت الشام مدها و دينارها ، ومنعت مصر اربها و دينارها وعدتم من حيث بدأت ، وعدتم من حيث بدأت ، وعدتم من حيث بدأت » (صحيح مسلم 222/4 . مسند أحمد 262/2). ما بعكس صفة العقاب والجوع التي تقع على هذه المناطق وغيرها .

2- وفي الرواية عن النبي صلى الله عليه وآله : « ويل للعرب من شرق اقترب ، فتنا كقطع الليل المظلم ، يصبح الرجل مؤمنا ويمسي كافرا ، يبيع نوم دينهم بعرض من الدنيا قليل ، المتمسك يومئذ بدينه كلقابض على الجمر ، أو قال على الشوك » : أحمد: ج 2 ص 390

3- عبد الرزاق : ج 11 ص 352 و 20730

يخلع بعد سنتين من بيعته ، ويخسف بغربي مسجد دمشق . وأنه يخرج ثلاثة نفر أصحاب رايات بالشام ، كما يخرج أهل المغرب إلى مصر ، فإذا خرجوا ودخلوا مصر ، فتلك أمانة السفيناني» (1).

والأهم، نص آخر ، يحدثنا عن تجهيز الجيوش لغزو المنطقة الممتدة من العراق إلى دمشق ، ثم تنتشر الحرب في النواحي والضواحي : « فإذا انسابت عليكم الترك ، وجهزت الجيوش إليكم ، ومات خليفتمك الذي يجمع الأموال ، وتخالف الروم والترك ، فتظهر الحروب في الأرض ، وينادي مناد على سور دمشق : ويل للعرب من شر قد اقترب» (2)..

وتقع زلزلة ، ويخر حائطها ، ويخرج ثلاثة نفر في دمشق ، كل يطلب الملك والسيطرة على الحكم : رجل أبقع ، ورجل أصهب ، ورجل من أهل بيت أبي سفينان يخرج ومعه قبيلة كلب ، يحصر الناس بدمشق ، كما يخرج جيش أهل المغرب ، فينحدرون إلى مصر ، فإذا دخلوا إليها، فتلك إمارة السفيناني ، حيث ينجح في الانقلاب على عرش دمشق (3).

ص: 203

1- ابن حماد : ص 92* وفي ملا-حم ابن المنادي : ص 44 .. وفي الرواية : علامة خروج المهدي انسياب الترك عليكم وأن يموت خليفتمك ، رجل ضعيف . من بعده . وتلك إشارة خروج السفيناني .

2- غيبة الطوسي : ص 268 الفضل بن شاذان . عن عمار بن ياسر رضي الله عنه قال « دعوة أهل البيت نبيكم في آخر الزمان ، فالزموا الأرض ، وكفوا حتى تروا قاداتها ، فإذا خالف الترك الروم ، وكثرت الحروب في الأرض ، ينادي مناد على سور دمشق : ويل لازم من شر قد اقترب ، ويخر حائط مسجدها » . وعنه صلى الله عليه وآله : « ويل للعرب من شر قد اقترب ، فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذا وحلق إبهامه بالتي تليها قالت فقلت : يا رسول الله أنهلك وفينا الصالحون ؟ قال : نعم إذا كثر الخبيث ، عبد الرزاق : ج 11 ص 363 ح 20749

3- هناك رواية تحدثت عن تحرير فلسطين واعتداء الترك على أرض خراسان في وقت تنزل فيه قوات الروم في فلسطين الأهداف حربية ، ثم تحدثت عن فتن الشام ، خاصة الصراع السياسي العسكري حول السلطة في الشام ، ثم دعم الروم وجملة أخرى من القوى لتمكين السفيناني من عرش دمشق . وفي الرواية : « ويجيئكم الصوت من ناحية دمشق بالفتح .. و مارقة تمرق من ناحية الترك ويعقبها فرج .. وستقبل مارنة الروم حتى ينزلوا الرملة .. فأول أرض تخرب أرض الشام يختلفون عند ذلك على ثلاث رايات ، راية الأصهب ، وراية الأبقع ، وراية السفيناني ، فيلتقي السفيناني بالأبقع فيقتلون فيقتله السفيناني و من تبعه ، ويقتل الأصهب ، ثم لا يكون له همة إلا الإقبال نحو العراق .. » (الغيبة للنعماني 194).

ويسيطر على المحور الخمس إلا منطقة الأبدال ، ويقا تل الأبقع فيهزمه ، على أنه يخرج قبل ذلك من يدعو لآل محمد عليهم السلام في مصر ، كما ينزل الترك الجزيرة، أي العراق ، وهي منطقة ما بين النهرين : الفرات ودجلة ، كما ينزل الروم فلسطين ، ويقوم صاحب المغرب بنجدة الروم وحاكم مصر المخلوع المتواطئ مع الروم ، لكنه يفشل في إنهاء حالة النجباء المصريين ، ثم يرجع حتى ينزل الحيرة (العراق) إلى السفيناني .

وتذكر النصوص أن السفيناني أول أمر خروجه يهزم الأبقع ، ثم حول جيشه نحو مصر ، فيدخلها فيقتل الرجال ويسبي النساء (1) .. وعليه : تشهد تلك الفترة الحرجة ، زحف القوة المغربية ، من المغرب العربي ، نحو مصر ، ثم تتابع خطاها نحو سوريا ، والعراق ، وتطلب كنز العراق الجوفي ، وهناك فيقرقيسيا تقع الملحمة التي تخوضها مجموع رايات ، منها رايات عربية ، ومنها رايات دولية مثل الروم والترك ، ومن الرايات العربية : راية المرواني الدمشقي ، ثم راية السفيناني الذي ينقلب ويتسلط على عرش دمشق ، و كذا راية العباسي العراقي ، بالإضافة إلى راية المغربي (2) ..

ص: 204

1- ملاحم ابن المنادي : ص 44 عقد الدرر : ص 46 ب 4 ف 1

2- عقد الدرر : ص 46 ب 4 ف 1 عن الداني ، وفيه : « .. يخرج ومعه كلب . ويقبل صاحب المغرب . ثم بسير حتى ينزل الجزيرة إلى السفيناني »

على أن النصوص تحدثنا عن انتصار لافيت للسفياياني على المغربي ، وعلى الترك والروم في تلك الواقعة الشديدة ، لكنه لا يحوز ثروة أو كنز العراق الجوفي . يبدو أن سبب عدم حيازته لذلك المال الكبير ، يكون بسبب خطوط الحرب والتهاب الجبهات ، وسرعة الأحداث الإقليمية والدولية . واللافيت أن هذا الكنز يكون من صالح الراية الخراسانية التي تخوض غمار معارك عنيفة تهزم السفياياني في منطقة اصطخر الإيرانية ، ثم تفتح العراق ، وتجتاز إلى سوريا ، زمن السفياياني ، وتخوض معركة هناك ، في حين جيش المهدي عليه السلام يزحف من ناحية الحجاز ، وتقع معركة هائلة في وجه السفياياني قرب بحيرة طبرية ، تكون نهائية وفيها يتلاشى جيش السفياياني ويتقطع إلى الأبد .

من هنا نقرأ في متون الأحاديث تهديدا لبعض العرب من سيف المهدي عليه السلام ، لأن هؤلاء يكونون في جبهة السفياياني أو فروعه العسكريين أو منضوين تحت جبهته ، يقاتلون ضد المهدي وضد الإسلام ، مرة لصالح الروم ، ومرة لصالح معسكر الشيطان والكفر والآثام والحرام (1). نقرأ في النص المروي عن الإمام علي عليه السلام قوله : « إذا خرج (المهدي عليه السلام) يقوم بأمر جديد ، وكتاب جديد ، وسنة جديدة ، وقضاء جديد على العرب

ص: 205

1- وفي نص آخر يذكر النبي صلى الله عليه وآله ويصلي عليه ويتكلم بكلام لم يتكلم به أحد من الناس . فيكون أول من يضرب على بده ويبايعه جبرئيل وميكائيل ويقوم معهما رسول الله وأمير المؤمنين فيدفعان إليه كتابا جديدا هو على العرب شديد ، بخاتم رطب ، فيقولون له : أعمل بما فيه ، وبياعه الثلاثمائة وقليل من أهل مكة . ثم يخرج من مكة حتى يكون في مثل الحلقة قلت : وما الحلقة ؟ قال : عشرة آلاف رجل ، جبرئيل عن يمينه ، وميكائيل عن شماله ، ثم يهز الراية الجليلة وينشرها وهي راية رسول الله صلى الله عليه وآله السحابة (السحاب) ودرع رسول الله صلى الله عليه وآله السابغة ، ويتقلد بسيف رسول الله صلى الله عليه وآله ذي الفقار : السيد علي بن عبد الحميد :- على ما في البحار . * : البحار : ج 52 ، ص 307 ب 26 ح 81

شديد . وليس شأنه إلا القتل ، لا يستبقي أحدا ، ولا تأخذه في الله لومة لائم «(1). إشارة إلى أعداء الله والإسلام ، الذين ينخرطون في جبهة الباطل والفساد ، والذين يزورون حقائق الإسلام ، ويروجون للحرام والمنكر والفساد والخبائث والأباطيل ، بل يلصقون هذا بالإسلام .. حتى الزنا يعتبرونه فنا ، ويضيفون عليه أن الإسلام لا يحرم فينا .. هؤلاء ينخرطون في شعب معسكر الفساد والطغيان والانحراف بوجه المهدي عليه السلام فيكون سيف المهدي ودينه وفقهه و سنته التي تكشف عن سنة النبي صلى الله عليه وآله سيف سليطة عليهم ، حتى لا يبقى لأمرهم من قيام ..

ثم يؤكد عليه السلام على حقيقة الخطوط الملتهبة في مناطق العرب ، من فتن ، وصراع على الملك ، واختلاف على العروش ، فيشير إلى واقعة ضرورية ، وهي موت العباسي العراقي القوي (عبد الله) ، ثم اختلاف من بعده من العائلة أو الطبقة الحاكمة على كرسي الحكم والملك ، وأن هذه تكون من العلامات القريبة جدا من ظهور المهدي عجل الله تعالى فرجه شريف ، وبداية مرحلة كبيرة من انتصارات جبهة أهل الحق ، في ظل تعقيدات دولية وإقليمية هائلة ..

يقول الله عليه السلام: « إذا اختلف بنو فلان (العائلة أو الطبقة الحاكمة في العراق) فيما بينهم ، فعند ذلك فانتظروا الفرج ، وليس فرجكم (أي ظهور المهدي عليه السلام) إلا في اختلاف بني فلان (أي الطبقة الحاكمة في العراق ،

ص: 206

1- النعماني : ص 253 : ب 14 ح 13

والتي لها نسب في العباسيين) ، فإذا اختلفوا ، فتوقعوا الصيحة (من جبرائيل عليه السلام) في شهر رمضان (وتكون الصيحة في السماء ويسمعا أهل الأرض كلهم كل بلغته) وخروج القائم عليه السلام ، إن الله يفعل ما يشاء ، ولن يخرج القائم عليه السلام ، ولا ترون ما تحبون حتى يختلف بنو فلان (أي الطبقة الحاكمة في العراق ممن ينتسبون إلى العباسي) فيما بينهم ، فإذا كان ذلك (أي اختلفوا على الملك) ، طمع الناس فيهم ، واختلفت الكلمة ، وخرج السفياي «(1)».

وقال عليه السلام: «لا بد لبني فلان (لقوم حكام من العباسيين يكونون في آخر الزمن بالعراق) من أن يملكوا ، فإذا ملكوا ثم اختلفوا تفرق ملكهم ، وتشتت أمرهم ، حتى يخرج عليهم الخراساني والسفياي : هذا من المشرق وهذا من المغرب ، يستبقان إلى الكوفة كفرسي رهان ، هذا من هنا وهذا من هنا ، حتى يكون هلاك بني فلان (العباسيين حكام العراق في آخر الزمن) على أيديهما . أما إنهم لا يبقون منهم أحدا»(2)

ثم قال : « خروج السفياي واليماني والخراساني ، في سنة واحدة ، في شهر واحد ، في يوم واحد ، نظام كنظام الخرز يتبع بعضه بعضا

ص: 207

1- النعماني : ص 253 : ب 14 ح 13

2- وقال عليه السلام : « إن ذهاب ملك بني فلان (أي حكم بني العباس العراقيين في آخر الزمان) كقصع الفخار ، و كرجل كانت في يده فخارة وهو يمشي إذ سقطت من يده وهو ساه عنها فانكسرت ، فقال حين سقطت : هاه ، شبه الفزع ، فذهاب ملكهم هكذا ، أغفل ما كانوا عن ذهابه . (أي ينهار ملكهم بطريقة مفاجئة ومثيرة ، لا يكن بحسب أن يسقط وينهار بهذه الطريقة المفاجئة لأن النصوص تشير إلى قوة العباسي الذي إسمه عبد الله ، وهو بطاش جبار ، فإذا مات واختلف أهل الحكم على الملك ، انهارت قوة دولتهم ...».

فيكون البأس (أي الحرب) من كل وجه ، ويل لمن ناوهم «(1). وليس في الرايات راية أهدى من راية اليماني ، هي راية هدى ، لأنه يدعو إلى صاحبكم «(2) أي هو جيش المهدي عليه السلام مباشرة ، الروايات تؤكد أن اليماني يكون على صلة كاملة مع المهدي عليه السلام زمن الظهور الخاص الذي يتحقق ضمن أشهر قد تصل إلى 11 شهرا ، وفي هذا الوقت يكون اليماني معدا للجيش المهدي(3). من هنا النص يشير إلى حقيقة ضمنية وهي أن راية اليماني أهدى لأنها قائدتها المباشر هو المهدي عليه السلام ، النص يريد أن يلفت إلى هذه الحقيقة(4).

إذا خطوط الحرب آنذاك معقدة ، وسريعة ، وضخمة ، وهائلة . وبعضها شديد المفاجأة ، فاليماني ، يزحف من الحجاز نحو العراق ، وفي طائفة أخرى أنه يزحف من الحجاز نحو دمشق ، ويخوض معركة هناك ، ولا نعرف تفاصيل خط هذه الحرب في تلك اللحظات هناك ، إلى أن تحدثنا النصوص عن زحف جيش اليماني نحو العراق ، رغم بقاء السفيناني في دمشق ، في حين يزحف الخراساني نحو العراق في معركة ضارية وجبهة هائلة . وهناك من يحدثنا عن حرب تضرب السفيناني في العراق ، ثم

ص: 208

1- النعماني : ص 253 ب 14 ح 13

2- النعماني : ص 253 به 14 ح 13

3- هناك رواية تدعو إلى الالتحاق بجيش اليماني عند بداية الفتنة بالشام لها ارتباط وثيق بتحالف اليماني مع الخراساني حيث تقول : « إذا كانت فتنة المغرب [بالشام] فشد حبال نعالك إلى اليمن ، فإنه لا يحرزكم منها أرض غيرها » [الفتن لابن حماد 144].

4- ويضيف عليه السلام : « فإذا خرج اليماني حرم بيع السلاح على الناس و كل مسلم ، وإذا خرج اليماني فانفض إليه ، فإن رايته راية هدى ، ولا يحل لمسلم أن يلتوي عليه ، فمن فعل ذلك فهو من أهل النار لأنه يدعو إلى الحق وإلى طريق مستقيم »

حرب تتابعه نحو دمشق ، ثم المعركة الفصل عند بحيرة طبرية تنتهي بذبح السفيناني وانتصار جبهة المهدي عليه السلام ..

في حين ، موت خليفة العراق العباسي فجأة يبدو أنه يفجر نواة حرب إقليمية بعد مدة قليلة ، حيث يزحف السفيناني نحو العراق للسيطرة عليه ، فيخرج الخراساني أيضا للدفاع عن شيعة أهل البيت ، ومنع السفيناني من النفوذ والقوة الطاغية ، واللافت أن النصوص تحدثنا عن زحف ثالث الليماني من الحجاز ، ما يعني أن خطوط جبهة الإمام المهدي عليه السلام تستطيع بناء ميزان القوة في هذه المنطقة بشكل مثير .. إذا نحن أمام منطقة عربية ملتعبة ، خاصة ، منطقة العراق ، سوريا .. على أن الروايات تخبرنا عن انهيار مشير لقوة العباسيين العراقيين(1) ، فيما قوة السفيناني تصمد ، وتقاتل ، وتصر على خوض حروب يشيب منها الطفل الحزور . يقول أمير المؤمنين عليه السلام على منبر الكوفة : «إن الله عز وجل ذكره، قدر فيما قدر وقضى وحتم بأنه كائن لا بد منه ، أنه يأخذ بني أمية بالسيف جهرة ، وأنه يأخذ بني فلان (أي بني العباس) بغتة(2). وأضاف : لا بد من رحى تطحن ، فإذا قامت على

ص: 209

1- وفي الرواية عن الإمام علي عليه السلام : « ملك بني العباس عسر لا يسرفيه ، لو اجتمع عليهم الترك والديلم والسند والهند والبربر والطيلسان لن يزيلوه ، ولا يزالون في غضارة من ملكهم حتى يشذ عنهم مواليهم وأصحاب دولتهم ، ويسلط الله عليهم علجا يخرج من حيث بدأ ملكهم ، لا يمر بمدينة إلا فتحها ، ولا ترفع له راية إلا هدها ، ولا نعمة إلا أزالها . أوليل لمن ناواه ، فلا يزال كذلك حتى يظفر ويدفع بظفره إلى رجل من عترتي يقول بالحق ويعمل به » [النعماني : ص 249 ب 14 ح 4 - عقد الدرر : ص 47 ب 4 ف 1 - . يقرر هذا الحديث صعوبة إسقاط ملك بني العباس ، نعم يذهب فترة من الزمن ، ثم يعود ويتجدد ، ثم يزول من الوجود على أيدي الخراسانيين في آخر الزمن .

2- قيام الدولة العباسية في آخر الزمن ، من الأمور الواضحة في الروايات ، وهي تكون قبل الدولة السفينانية . وفي رواية جابر الجعفي قال سألت أبا جعفر الباقر عليه السلام عن السفيناني ؟ فقال عليه السلام : « وأني لكم بالسفيناني حتى يخرج قبله الشيبباني ، يخرج في أرض كوفان ، ينبع كما ينبع الماء ، فيقتل وفدكم ، فتوقعوا بعد ذلك السفيناني وخروج القائم عليه السلام ، (الغيبة للنعماني 302) ، أي لا بد من قيام أمر العباسيين أولا ، والشيبباني كلمة استعملها الإمام للكتابة عن العباسيين في آخر الزمن .

قطبها ، وثبتت على ساقها ، بعث الله عليها عبدا عنيفا خاملا أصله (يريد بذلك راية الخراساني الموطئ للمهدي سلطانه) ، يكون النصر معه ، أصحابه الطويلة شعورهم ، أصحاب السبال ، سود ثيابهم ، أصحاب رابات شود ، ويل لمن ناوهم ، يقتلونهم هرجا ، والله لكأني أنظر إليهم ، وإلى أفعالهم ، وما يلقي الفجار منهم والاعراب الجفاة ، يسلمتهم الله عليهم بلا رحمة ، فيقتلونهم هرجا على مدينتهم بشاطئ الفرات البرية والبحرية ، جزاء بما عملوا ، وما ربك بظلام للعبيد «(1).

إذا ، خط العراق ، سوريا ، الحجاز ، خراسان ، سيشكل أكبر جبهات حرب قبيل الظهور ، على أن الأطراف لا تكون هادئة ، لكن هذه الجبهات بالذات تكثر فيها الحروب والمعارك ، وتستخدم فيها الرايات

بقوة (2)..

ص: 210

1- الفضل بن شاذان : على ما في غيبة الطوسي . * : النعماني : ص 253 ب 14 ح 13
2- فعن الإصطدام الأخير والضخم بين الخراسانيين والعباسيين تقول الرواية : « إن القائم من ولد علي عليه السلام له غيبة كغيبة يوسف ، ورجعة كرجعة عيسى بن مريم ، ثم يظهر بعد غيبته مع طلوع النجم الأحمر ، وخراب الزوراء وهي الري ، وخسف المزورة وهي بغداد ، وخروج السفيناني ، وحرب ولد العباس مع فتیان أرمينية وأذربيجان ، تلك حرب يقتل فيه ألوف وألوف ، كل يقبض على سيف محلى تخفق عليه رابات سود. تلك حرب يشوبها الموت الاحمر والطاعون الاغبر » [النعماني : ص 146 ب 10 ح 4]. وفي خطبة للإمام علي عليه السلام : « فتن كقطع الليل المظلم ، لا تقوم لها قائمة ، ولا ترد لها راية تأتيكم مزمومة مر حولة ، يحفزها قائدها ، ويجهدا راجبها ، أهلها قوم شديد كلبهم ، قليل سلبهم ، يجاهدهم في سبيل الله قوم أذلة عند المتكبرين ، في الأرض مجهولون ، وفي السماء معروفون ، فويل لك بابصرة عند ذلك ، من جيش من نعم الله ، لا رهج له ، ولا حس ، وسيبتلى أهلك بالموت الأحمر ، والجوع الاغبر » [نهج البلاغة - صالح : ص 148 خطبة 102 - عبدة : ص 196 خطبة 98 ، ابن أبي الحديد : ج 7 ص 102 خطبة 101 -] بحيث تخبرنا عن معركة هائلة تقع بين الخراسانيين والعباسيين في آخر الزمن ، وتكون على وصف ضخم : موت حمر وجوع أغبر يحل بجيوش بني العباس . ويكون الانتصار للخراسانيين.

وهنا تذكر فتنة خاصة في بلاد العرب ، بل في بلاد الشام ، وهي «فتنة السبيطة» (1)، وهي فتنة قتلاها في النار ، يخوضها أصحاب رايتين مسلمين ، يتغالبون على أمر الدنيا ، وليس على أمر الله . وأنها « فتنة يدخل على العرب كلهم حجرها ، حتى يأتي الرجل القبر فيقول : يا ليتني كنت مكانك ، وحتى تملأ الأرض ظلما وجورا . فإذا وقعت ، بعث الله رجلا - سمته النصوص المتواترة بالمهدي عليه السلام - فيملأها قسطا وعدلا كما ملئت ظلما وجورا» (2).

كل هذا يعني أن بلاد العرب تعاني بشدة ، وأن حظوظ العرب من العز في آخر الزمان - قبل الظهور - ضعيفة ، وأنهم زمن الظهور يكونون على قسمين منهم من يناصر المهدي عليه السلام حتى الإستبسال ، ومنهم من يقف . في جيش الجبارة والمفسدين . نعم ، يمتاز منهم زمن الغيبة رايات مشهورة ، أهمها: الأبدال الشاميين ، والعصائب العراقيين ، والنجباء المصريين (3) .. نعم أخبرتنا بعض النصوص أن «من اقترب الساعة هلاك العرب» ، إذا هلك العرب ، علامة على ساعات آخر الزمان القريبة من أحداث نهاية التاريخ ، وما يصير إليه أمر الأمم زمن ظهور المهدي المنتظر

ص: 211

-
- 1- السبيطة تعني لغوية : الطويلة . كما يمكن أن تكون السباطة أي الكناسة ومرمي الأوساخ ، وقد شبهت بها لوجود الصفات القذرة فيها.
 - 2- فتن السليلي : على ما في ملاحم ابن طاووس . * : ملاحم ابن طاووس : ص 121 ب 32
 - 3- رواية أم سلمة عن رسول الله صلى الله عليه وآله : « يبائع لرجل بين الركن والمقام ، كعدة أهل بدر ، فتأتيه عصائب العراق وأبدال الشام .. » (مستدرك الصحيحين 553/4 ، وقال صحيح الإسناد).

عجل الله تعالى فرجه شريف ، حيث تتسابق إليهم القوى الكبرى لنهش ثرواتهم وقتل شبابهم ، ودمار

مدنهم وغير ذلك مما أشرنا إليه أعلاه . وأن زمن الفتنة الأخيرة ، وهي غير فتنة الدجال ، لا يبقى بيت من العرب الا دخلته ..

وأنه قبل ظهور المهدي عليه السلام تنقلب أناس من العرب عما هي عليه، وكما في الحديث النبوي : « ستعبد قبائل من أمتي الأوثان قبل الساعة ، وستلحق قبائل من أمتي بالمشركين »⁽¹⁾، إشارة إلى التغيرات الهائلة التي تصيب قسما من العرب ، وتريدها في ميدان الإنجراف والأباطيل المذلة المخزية ..

على أن طائفة من الأخبار أكدت أنه لا تقوم الساعة حتى تعود أرض العرب مروجاً وأنهاراً ، ثم يقع الهرج . أي القتل . وتتابع الأمم غزوها البلاد العرب ، وهناك يقع معنى ما ورد في النصوص من قوله : « ويل للعرب من شر قد اقترب ، الويل الطويل في الأجنحة » . وما إلى ذلك من إشارة إلى الحرب والدمار والنار .. لكن تؤكد النصوص أنه إذا ظهر المهدي عليه السلام اهتدت به العرب . فيكون فرج وإخراج لها من الذل والمهانة والإستعباد والقتل والإنحراف الذي وقعت فيه .. ثم تؤكد طائفة أخرى أن من علامة الملاحم : « إذا ملك عتيق العرب وعتيق الروم » . إشارة إلى الإصطدام العنيف الذي يقع في آخر الزمان بين جبهتي الروم والمهدي عليه السلام .

ص: 212

1- م، س.

عدل المهدي عليه السلام والرخاء في عصره :

تؤكد النصوص أنه إذا ظهر المهدي المنتظر عجل الله تعالى فرجه شريف أقام القسط والعدل العالمي بعد جور و ظلم هائل ، وأنه عليه السلام ينشر الرزق والخير والنعم والعلم والبركات ، وأن الأرض في عصره خرج كنوزها ، كما أن السماء تنزل بركاتها . وأنه يظهر من المنافع والخيرات وتنتج العلم الذي يكشفه المهدي عليه السلام للناس ما يظن الإنسان معه أنه ملك الأرض ، وأنه عجل الله تعالى فرجه شريف يرد المظالم كلها ، حتى لو كانت تحت ضرس انسان انتزعه . كما أنه عليه السلام يحكم بين أهل التوراة بتوراتهم ، وبين أهل الانجيل بإنجيلهم ، وبين أهل القرآن بقرآنهم . ويكرس الإسلام دينا تقوم الأرض والنواحي على أساسه .

وتؤكد طائفة أخرى أن المهدي عليه السلام شديد على العمال (الوزراء) يخط لهم طريق العدل ، فلا يسمح لهم بالإنحراف عنه أبدا ، وأنه جواد بالمال ، رحيم بالمساكين ، عطوف على الضعفاء ، وأنه عجل الله تعالى فرجه شريف يلغي الاقطاعات ، ويمنع من الإنحرافات ، ويلغي الأباطيل ، ويقطع الفساد والجباية ، ويقيم القسط والرحمة ميزانا لحكمه عليه السلام . وفي النصوص أنه إذا ظهر عليه السلام ينادي مناد من السماء بانقطاع مدة الجبارين والمنافقين والطغاة وأشياعهم . ويقطع به الظلم ، ويشيع به العدل والأنوار .. وأن الله تعالى يلقي محبته في صدور الناس ، وينتشر ذكره في الشعوب ، ويبلغ من عدله ورخاء

عصره أن الأحياء يمتنون لو كان الأموات في زمنه عليه السلام ، ليروا عدله وخير هو بركاته . كما يتمى الصغير الكبر والكبير الصغر رغبة في الثقلب بزمنه والعيش في دولته الإلهية العادلة الكريمة الرحيمة(1) ..

ويفرح الناس به فرحا عظيما ، ويرضى عنه ساكن السماء والأرض ، حتى الطير في الهواء ، والحيتان في البحار ، حيث يصلح الله به أمر الأمة ، وشعوب الدنيا ، ويرفع اختلافها ، ويؤلف بين قلوبها، ويدل على الرشاد ، وخير العباد ، ويقود الناس إلى خير المعاد ، ويقيم الإسلام دينا للناس والدولة العالمية الإلهية التي تتمتع بصفات أعظم قائد إلهي في آخر الزمان . وتبدأ معه رحلة الأخلاقية العظمى في آخر الزمن ، حيث كل شئ على نحو من عدل ورحمة وتضامن ومحبة ومودة وتآلف ومعرفة .. ويكثر الخير وتعه البركات وينشر عليه السلام من العلم ما يذهل الناس ، حتى كأن ما تم اكتشافه من العلم والتجربة في جنب ما يكشفه عليه السلام ما هو إلا أقل من القليل ، فيعيش الناس في كنف مرحلة هائلة من الكشوفات العلمية وخيراتها ، بحيث يبدو الإنسان معها وكأنه ملك الأرض ونواميسها .

ويهنأ به أهل الأرض ، ويألفون ، ويعيشون محبة تامة ، وإلفة كاملة. ومعه عليه السلام يبدؤون رحلة الاستخلاف العظيم ، فيعبدون الله ، ويطيعونه خير طاعة ، ويستغلون نعم الطبيعة والكون ، وينهلون من الكرامات

ص: 214

1- للوقوف بالتفصيل على أخبار هذا الفصل يمكن مراجعة موسوعة الإمام المهدي عليه السلام للمؤلف ، وكذا معجم أحاديث الإمام المهدي للعلامة الشيخ علي الكوراني .

والخيرات والنواميس ما يستطيعون معه التألق في عالم الوجود . بعض النصوص تصف لنا حالة الإلتحام المدهش بين الأمة والمهدي عليه السلام فتقول : تأوي إليه أمته كما تأوي النحل إلى يعسوبها ، ويكون الناس على مثل أمرهم الأول من الطاعة والإيمان والمحبة والتفاني في سبيل الإسلام ...

كما تكون خلافته الإلهية على منهاج النبوة المحمدية والولاية العلوية ، وفي حديث النبي صلى الله عليه وآله : «المهدي يقفو أثري ، لا يخطئ ، سته سنتي ، يقيم الناس على ملتي وشريعتي » . يعلن الإسلام دين العالم ، ونور الوجود ، وصحيفة الإستخلاف الإلهي للبشر على الأرض . فتتلهم الناس إلى الإسلام ، ويخالط لحمهم ودمهم .. وأنه عليه السلام ينفي عن الدين تحريف الغالين ، وانتحال المبطلين ، و تأويل الجاهلين والمضلين ، ويعلم القرآن والإسلام كما نزل على النبي صلى الله عليه وآله ، وكما بلغه أهل بيته عليهم السلام . يمحو الله به البدع كلها ، فيقطعها ويمنعها ، ويلغيها من حياة البشر ، ويكشف الله به موثيق الشريعة « المحمدية » كما أرادها الله تعالى ، دون تزوير أو تأويل باطل أو تعطيل لمدلولها ، أو تحوير في حقائقها . ويفتح الله به عليه السلام باب كل حق ، ويغلق به باب كل باطل .

ويسع به أهل الشرق وأهل الغرب ، ويملاً حبه قلوبهم ، وتسكن به الدنيا فتزدهر خيراتها ، وتبتهج به السماء فتهبط بركاتها . وهو عليه السلام يقيم الحق فلا يعرف غيره ، ويبطل الباطل فلا يدع له منفذا . همه أن يقيم دولة القرآن ، وأهل القرآن ، وشعب القرآن ..

يفعل ما يذهل العقول ، وتهت له الأرض خشوعا ، ويعيش الإنسان مرحلة من « الطمأنينية الوجودية الكبرى » ، في ظل حفيد الرسول صلى الله عليه وآله ، الذي يملأ الأرض قسطا وعدلا بعدما ملئت ظلما وجورا .

النصوص تقول بأن الله يعيد به الاسلام من غربته ، فيظهره الله به ويعيره ، ويلقى الاسلام بجرانه ، وتتصب رايات الإسلام في كل أرض ، وتقوم في كل ناحية ، وعند كل مصر وصوب ، فلا ترى إلا عة في إسلام ، وإخلاص في إيمان .. يبذل الله به عليه السلام الأرض غير الأرض ، فإذا بها أرض طاعة كبرى ، وعدل واسع ، ورحمة عظيمة ، بعد ظلم وفحش وانحراف وجحد وكفر وفساد عظيم قد سبق ..

في عصره عليه السلام يبارك الله تعالى الأرض والسماء ، فتخرج الأرض له كنوزها ، وتنزل السماء نعمها .. وهناك طائفة مروية تتحدث عن استخراج المهدي عليه السلام لكنوز الأرض وأنه يجمع كنوز الأرض فتكون كالجبل العظيم ، ويدعو الناس إليها فيجي القاتل فيقول : في هذا قتلت ، ويجيئ القاطع فيقول : في هذا قطعت رحمي . فلا- ترى إلا- ذائما للحرام ، يائسا منه ، محبا للحلال ، متحفزا عليه ، مفاخرا بالإسلام ، دالا على نعمه .. والكل تحت كنف المهدي المعظم في ظل الله الكريم .. ثم تؤكد الأخبار أنه في عصره عليه السلام تلبس الدنيا أبهى حللها ، وتبسط نتاج ناموسها وقوانينها ، فهي بين أيدي الناس ، في ظل قدرة بشرية هائلة في الاستفادة من الطبيعة والكون ، وذلك عبر العلوم التي يكشف عنها المهدي عجل الله تعالى فرجه شريف . والنصوص في

هذا المجال صريحة جدا ومثيرة . وفوق ذلك ، فهو يقسم المال بالسوية صحاحا في حين الناس في خير هناء ، ورزق وفير ، ونعم لا تحصى ، حتى أن الرجل يفتش عن محتاج من بلد إلى بلد ، ومن إقليم إلى إقليم ، يقصد من أفريقيا إلى العراق ، ومن الشرق إلى الغرب ، فلا يجد محتاجا . كما حدثنا النصوص عن أن الأمة والناس تنعم بالمهدي عليه السلام في زمنه نعمة لم ينعموها قط ، فينزل الله البركة من السماء ويخرجها من الأرض ، ويملاً الله به قلوب أفته غنى ، ويسعهم عدله . ويعر به أهل الدنيا كلهم . وتتعاظم في زمنه خيرات المعاش والمال والإقتصاد والثروة والأسواق والتعم المختلفة ، وتتغير الأولويات وتتحقق معاني الرحمة الإلهية بشكل مذهل على الأرض .. وتكثر في زمنه الماشية ، إشارة إلى الثروة الحيوانية ، كما يكثر الزرع، إشارة إلى الثروة النباتية ، وتقوم الأسواق على بركة الله ، فلا ترى إلا حامدا شاكرا ..

ويبدو من النصوص بوضوح شديد أن قانون الغاب ، أو غريزة الإفتراس ، تتعطل في آن ما من دولة المهدي عليه السلام ، فيرتع الاسد مع الغنم ، وتلعب الصبيان بالحيات .. وتبدأ مرحلة عظيمة من الأخلاقية الدينية ، والرحمة الإلهية ، والعدل الذي تقوده دولة الإمام الثاني عشر من أئمة آل بيت محمد عليهم السلام ، بما لا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على عقل بشر .. بهذا أخبر رسول الله صلى الله عليه وآله وأهل بيته عليهم السلام . وهو أمر اتفاقي بين علماء المسلمين دون فرق بين طائفة وأخرى ، وخبر محتوم لا بد أن يتحقق في آخر الزمان ..

تحدثنا النصوص عن فئة خاصة «شريفة»، هي بطانة المهدي وأصحابه عليه السلام، وفتته الخاصة جدا وقيادته على أهل الدنيا، وهي المعهودة المذكورة في النصوص. وهم على عدد أصحاب بدر، وعدد أصحاب طالوت: 313 رجلا، كأنهم ليوث خرجوا من غابة، قلوبهم مثل زبر الحديد، لو هتموا بإزالة الجبال لأزالوها عن موضعها، الزي واحد، اللباس واحد، كأنما أبأؤهم أب واحد. تخبرنا النصوص أن منهم: الأبدال من أهل الشام، والنجباء من مصر، وعصائب العراق (1)، وعصائب أهل المشرق، ونصير أهل اليمن (اليمني) الذي يخرج من قرية باليمن يقال لها كركة، أو كريمة، أو أكرعة، كما في رواية، وفي بعض النصوص من أصحابه حاكم يكون في أفريقية يؤدي إليه الطاعة، ويقاتل عنه، ويقدم نفسه وما يملك في سبيل المهدي عليه السلام، وحاكم من ذرية جعفر بن أبي طالب، وسبعة علماء من آفاق شتى، وأصحاب الكهف، والعمد في زوايا الارض، والأخبار السياحون في الأرض، والفارون من السفيناني من بني هاشم، وحاكم بلاد المشرق، وشعيب بن صالح، كما من أصحابه النفس الزكية

ص: 218

1- وفي رواية الإمام الباقر عليه السلام: «يباع القائم عليه السلام بين الركن والمقام ثلاثمائة ونيف رجل، عدة أهل بدر، منهم من النجباء من أهل مصر، والأبدال من أهل الشام، والأخبار من أهل العراق، (البحار 334/52). أيضا يمكن مراجعة المصنف للصنعاني 371/11 والمصنف لابن أبي شيبه 45/15 ومستدرک الصحيحين 553/4. حيث تتفق متون أهل السنة مع متون الشيعة بذلك.

وهو الذي يقتل قبيل ظهوره العام ب 14 يوما ، أي أثناء ظهور المهدي الخاص الذي يدوم لأشهر . وأفراد عظماء من هنا وهناك ، يكونون في نواحي الأرض ، يجمعهم الله في ليلة واحدة لبيعة المهدي عليه السلام.

وتؤكد النصوص أن أنصاره عليه السلام هم خيار الأمة ، وأن لهؤلاء الأصحاب دورا عظيما ، ومواقف مشهودة ، وتضحيات هائلة ، يقاتلون في سبيل الله ، ويذودون عن المهدي عجل الله تعالى فرجه شريف ويأتمرون بأمره ، وهم أطوع في يديه عليه السلام من الخاتم الذي في أصبعه .. وأنهم يتحقون قرب زمن الإعلان الأعظم عن ظهوره الشريف ، ويعلمون البيعة والطاعة التامة له ، فهم فرحون ، فخورون مسرورون بظهوره الأكرم ..

وتخبرنا عن حالهم ساعة الظهور ، فتشير إلى أنهم يجتمعون في ليلة واحدة ، فمنهم من تطوى به الأرض ، ومنهم من يحمل فوق الغيم . وهم من بقاع شتى ، ونواح عدة ، قد أعدهم الله تعالى لنصرة المهدي المنتظر عجل الله تعالى فرجه شريف وقيادة دولته الإلهية المباركة . ومنذ تلك اللحظات التاريخية تبدأ رحلة الدولة المهديوية المباركة التي تسط القسط والعدل في أرجاء الأرض ونواحيها (1) ..

ص: 219

1- وكما في تمام حديث الإمام علي عليه السلام : « يجمعهم الله عز وجل من مطلع الشمس إلى مغربها ، في أقل من نصف ليلة ، فيأتون مكة فيشرف عليهم أهل مكة فلا يعرفونهم فيقولون كبسنا أصحاب السفيناني . فإذا تجلى لهم الصبح يرونهم طائعين مصلين فينكرونهم ، فعند ذلك يقيض الله لهم من يعرفهم المهدي عليه السلام وهو مخف ، فيجتمعون إليه فيقولون له أنت المهدي ؟ فيقول أنا أنصاري ، والله ما كذب ، وذلك أنه ناصر الدين ويتغيب عنهم ، فيخبرونهم أنه قد لحق بقبر جده عليه السلام ، فيلحقونه بالمدينة ، فإذا أحس بهم رجع إلى مكة (فلا يزالون به إلى أن يجيئهم) فيقول لهم : إني لست قاطعا أمرا حتى تبايعوني على ثلاثين خصلة تلزمكم لا تغيرون منها شيئا ، ولكم علي ثمان خصال ، قالوا قد فعلنا ذلك ، فاذكر ما أنت ذاكر يا ابن رسول الله صلى الله عليه وآله ، فيخرجون معه إلى الصفا فيقول : أنا معكم على أن لا تولوا ، ولا تسرقوا ، ولا تزنا ، ولا تقتلوا محرما ، ولا تأتوا فاحشة ، ولا تضربوا أحدا إلا بحقه ، ولا تكنزوا ذهبا ولا فضة ولا تبرا ولا شعيرا ، ولا تأكلوا مال اليتيم ، ولا تشهدوا بغير ما تعلمون ، ولا تخربوا مسجدا ، ولا تقبحوا مسلما ، ولا تلعنوا مؤجرا إلا بحقه ، ولا تشربوا مسكرا ، ولا تلبسوا الذهب ولا الحرير ولا الديباج ، ولا تبيعوها ربا ، ولا تسفكوا دما حراما ، ولا تغدروا بمستأمن ، ولا تبقوا على كافر ولا منافق ، وتلبسون الخشن من الثياب ، وتتوسدون التراب على الخدود ، وتجاهدون في الله حق جهاده ، ولا تشتمون ، وتكرهون النجاسة ، وتأمرن بالمعروف ، وتنهون عن المنكر . فإذا فعلتم ذلك فعلي أن لا أتخذ حاجيا ولا ألبس إلا كما تلبسون ، ولا أركب إلا كما تركبون ، وأرضى بالقليل ، وأملا الأرض عدلا كما ملئت جورا ، وأعبد الله عز وجل حق عبادته ، وأني لكم وتقوالي ، قالوا : رضينا واتبعنا على هذا . فيصافحهم رجلا رجلا . ويفتح الله عز وجل له خراسان ، وتطيعه أهل اليمن ، وتقبل الجيوش أمامه ، ويكون همدان وزراه ، وخولان جيوشه ، وحمير أعوانه ، ومضر قواده ، ويكثر الله عز وجل جمعه بتميم ، ويشد ظهره بقيس ، ويسير ورايته أمامه ، وعلى مقدمته عقيل ، وعلى ساقته الحارث ، وتخالفه ثقيف وعداف ، و تسير الجيوش حتى تصير بوادي القرى في هدوء ورفق ، ويلحقه هناك ابن عمه الحسيني في اثني عشر ألف فارس فيقول : يا ابن عم ، أنا أحق بهذا الجيش منك ، أنا ابن الحسن وأنا المهدي . فيقول المهدي عليه السلام : بل أنا المهدي . فيقول الحسيني : هل لك من آية فنبايعك ؟ فيومي المهدي عليه السلام إلى الطير فتسقط على يده ويغرس قضيبه في بقعة من الأرض فيخضر ويورق ، فيقول له الحسيني : يا ابن عم هي لك . ويسلم إليه جيشه ، ويكون على مقدمته ، واسمه على اسمه . وتقع الضجة بالشام ألا إن أعراب الحجاز قد خرجوا إليكم ، فيجتمعون إلى السفيناني بدمشق ، فيقولون : أعراب الحجاز قد جمعوا علينا ، فيقول السفيناني لأصحابه : ما تقولون في هؤلاء القوم ؟ فيقولون : هم أصحاب نبل وإبل ، ونحن أصحاب العدة والسلاح أخرج بنا إليهم ، فيرونه قد

جبن ، وهو عالم بما يراد منه ، فلا يزالون به حتى يخرجوه ، فيخرج بخيله ورجاله وجيشه ، في مائتي ألف وستين ألفا ، حتى ينزلوا ببحيرة طبرية ، فيسير المهدي عليه السلام بمن معه لا يحدث في بلد حادثة إلا الأمن والأمان والبشري وعن يمينه جبريل ، وعن شماله ميكائيل عليهما السلام والناس يلحقونه من الآفاق ، حتى يلحقوا السفيناني على بحيرة طبرية . ويغضب الله عز وجل على السفيناني وجيشه ، ويغضب سائر خلقه عليهم حتى الطير في السماء فترميهم بأجنحتها ، وإن الجبال لترميهم بصخورها ، فتكون وقعة يهلك الله فيها جيش السفيناني ويمضي هاربا ، فيأخذه رجل من الموالي اسمه صباح فيأتي به إلى المهدي عليه السلام وهو يصلي العشاء الآخرة فبشره ، فيخفف في الصلاة ويخرج ويكون السفيناني قد جعلت عمامته في عنقه وسحب ، فيوقفه (بين يديه) فيقول السفيناني للمهدي : يا ابن عمي من علي بالحياة أكون (كذا) سيفا بين يديك ، وأجاهد أعداءك ، والمهدي جالس بين أصحابه وهو أحيي من عذراء ، فيقول : خلوه فيقول أصحاب المهدي يا ابن بنت رسول الله ، تمن عليه بالحياة ، وقد قتل أولاد رسول الله صلى الله عليه وآله ؟ ما نصبر على ذلك . فيقول : شأنكم وإياه اصنعوا به ما شئتم . وقد كان خلاه وأفلته ، فيلحقه صباح في جماعة إلى عند السدرة فيضجعه ويذبحه ويأخذ رأسه ، ويأتي به المهدي ، فينظر شيعته إلى الرأس فيكبرون ويهللون ، ويحمدون الله تعالى على ذلك ثم يأمر المهدي بدفنه . ثم يسير في عساكره فينزل دمشق ، وقد كان أصحاب الاندلس أحرقوا مسجدها وأخربوه ، فيقيم في دمشق مدة ، ويأمر بعمارة جامعها . وإن دمشق فسطاط المسلمين يومئذ ، وهي خير مدينة على وجه الأرض في ذلك الوقت ، ألا وفيها آثار النبيين ، وبقايا الصالحين ، معصومة من الفتن ، منصور على أعدائها ، فمن وجد السبيل إلى أن يتخذ بها موضعا ولو مربوط شاة فإن ذلك خير .. تنتقل أخبار العراق إليها، ثم إن المهدي يبعث جيشا إلى أحياء كلب ، والخائب من خاب من سبي كلب « ملاحظة : (لا أصل لهذا الحديث الطويل في مصادر الفريقين إلا مرسله عقد الدرر . من هنا فإنه يساق على أنه شهادة تاريخية لا ترقى إلى القيمة الروائية .

بعض معالم آخر الزمان :

تخبرنا النصوص أن المهدي عجل الله تعالى فرجه شريف يظهر في آخر الزمان ، بعد جاهلية خطيرة ، وانحرافات كبيرة ، وفسق وفجور و جبروت وطغيان عظيم .. وأن الانحرافات تطال المسلمين بشدة ، وان قسما منهم يعبدون ما عبد آباؤهم قبل الإسلام ، ويعطل القرآن ، وبدل الأحكام ، وتعزل الشريعة ، فلا تجدها في سوق أو مجلس حكم أو سلوك أو قطاع عند قوم قد استبدلوا بالهدى فسقا ، وعند بعضهم استبدل كفره ، وبالخير افتراقا ، وبالهدى ظلاما ، وعن عبادة الله امتناعا ، فهم لاقون ، جائرون ، حائرون ، لاهثون ، قتلتهم الشهوة ، وأسقطتهم الغريزة ، هم أقرب للروم ، وأبعد عن صفات أهل الإسلام ، قد فعلوا المنكر ، وأبطلوا المعروف ، وشدوا الخبائث ، وأكبروا الحرام ، و تعصبوا للآثام ، ورأوا المنكر معروفا والمعروف منكرا !.

صفة هؤلاء القوم في آخر الزمان : بناتهم تتعري من حجابها ، سفر عما حرم الله عليها ، فهي غير منتهية أو عائفة ، ولا من عقاب الله خائفة ، تعطف القرآن على هواها ، وتضرب الإسلام ببلواها ، تدعي الإسلام وهي نصير الكفر والشيطان ، خيرت بين الإسلام والسفور ، فاخترت تعريها . قد

ص: 221

ميز الله أهل الحق، فاختارت أن تتشبه بأهل الباطل والحرام، دعاها القرآن إليه، فاختارت موضحة أهل الكفر والآثام، قد فسقت وتعرت، وعصت وجاهرت، وأغضبت ربها، واستبدلت كتابها، لاهية عابثة غير عابثة. فاسقة غير تائبة، فهي داعية إلى حرام، مشهورة في الآثام، أسفرت ففسقت، تبذل في التعري عطاءها ثم تعد نفسها بالتوبة قبل الموت.. وهي تطعن شريعة ربها.!

أما شبابهم..؟ فقد قادمتهم الشهوة، وتفاخروا بالحرام، وتعارفوا بالآثام فهم فاسقون مخالفون، من الدين ساخرون، عن العبادة عاطلون، ومن التقى مرجفون، همهم في فروجهم، وبطونهم، وأموالهم، تلعنهم الأرض والسماء وهم مع ذلك ضاحكون لاهون!. أمة كثر الزنا فيها، تعرت نساءها، وتفاخروا بالحرام، وتعارفوا بالآثام، هدموا الزواج والعفة، وشاع بينهم السحاق واللواط، وتكاثروا بالزنا، فهم بين معطل لحكم الله، وعازل الميثاق القرآن، وبين متعمد للحرام، همهم في الدرهم والدينار، في الفرج والبطن والعرش، في العري والموضنة، في الشهوة والنزوة، قتلتهم شهواتهم فأردتهم المهالك، وهم مع ذلك مصون عليها.!

حكومات آخر الزمان

تخبرنا النصوص عن افتراق السلطان عن القرآن، عن حكومة جائرة، وسلطين جبابرة، وقوانين تخالف حكم الله، ومواثيق تعزل القرآن، وأعراف وقيم توافق الشيطان، ومراسيم تحذف الدين من حياة

الجماعة والأفراد، ومفاهيم وعادات ومبادئ ولوائح ملزمة تمنع الدين ومواثيق الشريعة من حكومة السوق والقطاعات المختلفة في المال والإقتصاد والنقد والسياسة والإجتماع والأخلاق، حتى يبدو الدين الإلهي معزولاً من الحياة، مهجوراً من موثيقها وسلوكها، في ظل حكام جبابرة، ووزراء فسقة، وأمرأ خونة ..

تعاقب الفتن على المسلمين

تؤكد الأخبار المروية أن الفتن المتتالية تقع في العالم، ويشتد ساعدها، وتكثر بارقتها، ويحكم الجور والفساد، واقتل والإضطهاد، وأن المسلمين ينالهم من الفتن ما يعركهم عرك الأديم، وأن هناك فتنة يطول أمدّها، فتدخل كل بيت، وتصك كل مسلم، ويتلوى المسلمون أمامها، في ذل حال، وضعف قرار، وهوان على العالم. وأن نار العرب تشتعل بأعرابها، وأن الجاهلية الأولى تتجسد في الأمة بأسوأ ما فيها، وأن الناس يضيق بها الحال حتى يكثّر الكفر، وتتعاظم الزندقة، ويقوم الجحود على عود، ويضيق اليسر، ويطبق العسر، وأن المهدي عليه السلام يظهر بعد غيبة طويلة، وبلاء عظيم، وأن ظهوره عجل الله تعالى فرجه شريف يتحقق بغتة، ويصلح الله أمره بأقل من ليلة. وأن هناك علامات عدة منها: انسياب الترك على بلاد المسلمين، وموت الحاكم العباسي عبد الله (1)، وطلوغ نجم أحمر، قبل كالشهاب

ص: 223

1- وفي رواية عمار بن ياسر قال: « إن دولة أهل بيت نبيكم في آخر الزمان، ولها أمارات، فالزموا الأرض وكفوا حتى تجيئ أمارتها، فإذا استارت عليكم الروم والترك وجهزت الجيوش، وماتت خليفتمكم الذي يجمع الأموال، واستخلف بعده رجل صحيح (ضعيف)، فيخلع بعد سنين من بيعته، ويأتي هلاك ملكهم من حيث بدأ، ويتخالف الترك والروم، وتكثر الحروب في الأرض، وينادي مناد من سور دمشق: ويل لأهل الأرض من شر قد اقترب، ويخسف بغربي مسجدها حتى يخرب حائطها، ويظهر ثلاثة نفر بالشام كلهم يطلب الملك: رجل أبقع، ورجل أصهب، ورجل من أهل بيت أبي سفيان، يخرج في كلب ويحصر الناس بدمشق، ويخرج أهل الغرب إلى مصر، فإذا دخلوا فتلك أمارة السفيناني ويخرج قبل ذلك من يدعو آل محمد عليهم السلام، وتنزل الترك الحيرة، وتنزل الروم فلسطين، ويسبق عبد الله عبد الله حتى يلتقي جنودهما بقرقيسا (منطقة في المثلث التركي العراقي السوري) على النهر، ويكون قتال عظيم. ويسير صاحب المغرب فيقتل الرجال ويسبي النساء، ثم يرجع في قيس حتى ينزل الجزيرة السفيناني، فيسبق اليماني، ويحوز السفيناني ما جمعوا، ثم يسير إلى الكوفة، فيقتل أعوان آل محمد عليه السلام، ويقتل رجلاً من مسميهم. ثم يخرج المهدي عليه السلام على لوائه شعيب بن صالح، وإذا رأى أهل الشام قد اجتمع أمرها على ابن سفيان فالحقوا بمكة (إشارة إلى المهدي عليه السلام)، فعند ذلك تقتل النفس الزكية وأخوه بمكة ضيعة، فينادي مناد من السماء: أيها الناس إن أميركم فلان (محمد ابن الحسن) وذلك هو المهدي الذي يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً» [وفي ص 278 قرقارة، عن نصر بن الليث المروزي، عن ابن طلحة الجحدري قال: حدثنا عبد الله بن لهيعة، عن أبي زرعة، عن عبد الله بن زرين ..].

الثاقب ، ويطلع مثل قرن الشمس ، وأن أمر المهدي عليه السلام يصلحه الله في «ليلة» ، فيخرج من المدينة في الظهور الخاص الذي يدوم لأشهر متخفياً : إلا عن الخواص ، حتى يأتي مكة وأنه يبايع عند الكعبة بين الركن والمقام وهو كاره ، لأسباب تتعلق بالظروف آنذاك .. وفي بعضها أنه جاء إليه في = بيته ، إلى أن يخرج إلى الكعبة وتتم هناك بيعته المباركة(1).

ص: 224

1- وقد جاءت الآثار بذكر علامات لزمان ظهور القائم المهدي عجل الله تعالى فرجه شريف و حوادث تكون أمام قيامه ، و آيات ودلالات، منها - كما وردت بقلم الشيخ المفيد قدس الله سره - : « خروج السفيناني ، وقتل الحسيني ، واختلاف بني العباس في الملك الدنيوي ، و كسوف الشمس في النصف من رمضان ، و خسوف القمر في آخره ، على خلاف العادات ، و خسف بالبيداء ، و خسف بالمغرب ، و خسف بالمشرق ، و ركود الشمس من عند الزوال إلى أوسط أوقات العصر و طلوعها من المغرب ، و قتل نفس زكية بظهر الكوفة في سبعين من الصالحين ، و ذبح رجل هاشمي بين الركن والمقام ، و هدم حائط مسجد الكوفة ، و اقبال رايات سود من قبل خراسان ، و خروج اليماني ، و ظهور المغربي بمصر و نملكه الشامات ، و نزول الترك الجزيرة في (العراق) ، و نزول الروم الرملة (فلسطين) ، و طلوع نجم بالمشرق ، يضيئ كما يضيئ القمر ، ثم يعطف حتى يكاد يلتقي طرفاه ، و حمرة تظهر في السماء و تنتشر في آفاقها ، و نار تظهر بالمشرق طويلاً ، و تبقى في الجو ثلاثة أيام أو سبعة أيام ، و خلع العرب أعتتها و تملكها البلاد ، و خروجها عن سلطان العجم ، و قتل أهل مصر أميرهم ، و خراب الشام ، و اختلاف ثلاث رايات فيه ، و دخول رايات قيس و العرب إلى مصر ، و رايات كندة إلى خراسان ، و ورود خيل من قبل الغرب حتى تربط بفناء الحيرة ، و اقبال رايات سود من المشرق نحوها ، و يثق في الفرات حتى يدخل الماء أزقة الكوفة ، و خروج ستين كذابا كلهم يدعي النبوة ، و خروج اثني عشر من آل أبي طالب كلهم بداعي الإمامة لنفسه ، و احراق رجل عظيم القدر من بني العباس بين جلولاء و خانقين ، و عقد الجسر مما يلي الكرخ بمدينة السلام (بغداد) ، و ارتقاع ريح سوداء بها (أي في مدينة اسلام) في أول النهار ، و زلزلة حتى ينخسف كثير منها ، و خوف يشمل أهل العراق و بغداد ، و موت ذريع فيه ، و نقص من الأموال و الأنفس و الثمرات ، و جراد يظهر في أوامه و في غير أوامه ، حتى يأتي على الزرع و الغلات ، و قلة ريع لما يزرعه الناس ، و اختلاف صنفين من العجم ، و سفك دماء كثيرة فيما بينهم ، و خروج العبيد عن طاعات ساداتهم و قتلهم موابيهم ، و مسخ لقوم من أهل البدع حتى يصيروا قرودة و خنازير ، و غلبة العبيد على بلاد السادات ، و نداء من السماء حتى يسمعه أهل الأرض ، كل أمل لفة بلغتهم ، و وجة و صدر يظهران للناس في عين الشمس ، و أموات ينشرون من القبور حتى يرجعوا إلى الدنيا فيتعارفون و يتزاورون ، ثم يختم ذلك بأربع و عشرين مطرة ، تتصل فتحيا به الأرض بعد موتها ، و تعرف بركاتها ، و يزول بعد ذلك كل عاهة عن معتقدي الحق من شيعة المهدي عليه السلام ، فيعرفون عند ذلك ظهوره بمكة ، فيتوجهون نحوه لنصرته ، كما جاءت بذلك الأخبار . كل هذه من «العلامات» التي تقع قبل الظهور الشريف ، ومنها ما يكون قريبة جدا من الظهور ، كذبح الحسيني بين الركن والمقام ، ومنها ما يكون بعيدا عن لحظة الظهور المبارك .

تتفق النصوص على أن « الإعلان العام » لأهل الدنيا كلها ، عن ظهور الإمام المهدي المنتظر عليه السلام ، يقع بعد الخسف الكبير بجيش السفيناني في بيداء المدينة المنورة والذي يكون قاصدا مكة لقتل المهدي بعد انتهاكه حرمة المدينة وقتل من يجد فيها من الهاشميين وشيعة أهل البيت (1) عليهم السلام .. وتشير إلى أن بيعة المهدي عليه السلام تكون سلمة ، فلا تهرق محجمة دم في

ص: 225

1- وفي الرواية : « يقود السفيناني جيشا إلى المدينة ، فيأمر بقتل كل من كان فيها من بني هاشم حتى الحبالي ، وذلك لما يصنع الهاشمي الذي يخرج على أصحابه من المشرق ، ويقول : - أي السفيناني - ما هذا البلاء كله وقتل أصحابي إلا من قبلهم ، فيأمر بقتلهم حتى لا يعرف بالمدينة أحد [منهم] ، ويفترقون - أي الهاشميون وأتباع أهل البيت - منها هارين إلى البوادي والجبال وإلى مكة حتى نساؤهم ، ويضع جيشه السيف فيهم أياما ثم يكف عنهم ، ولا يظهر منهم إلا خائف ، حين يظهر أمر المهدي بمكة ، فإذا ظهر اجتمع كل من شذ منهم إليه بمكة » [عقد الدرر 66] ، وفي رواية ابن مسعود يؤكد أن السفيناني يريد قتل المهدي : « بعث جيشاً آخر فيه خمسة عشر ألف راكب على مكة والمدينة لمحاربة المهدي عليه السلام ومن تبعه - ثم يصف دخول جيشه فيقول : - يدخلونها عنوة ويسبون ما فيها من الأمل والولد ، [التذكرة 610/2] . لكته يفشل ، ويقع الخسف بالجيش في البيداء ، وتبدأ مرحلة جديدة في حركة المهدي عجل الله تعالى فرجه شريف .

ذلك ، بل تحدثنا عن أن النائم لا يستيقظ لشدة السلم والهدوء الذي تقع به بيعة المهدي عجل الله تعالى فرجه شريف. وأنه عليه السلام يصلي بعد بيعته قصراً ويخطب . وتهتز الدنيا بنبا ظهوره وبيعته ، فلا تجد أحدا من الناس إلا وذكر المهدي عجل الله تعالى فرجه شريف على لسانه . ويشرب الناس حبه ، إلا من الأمم الجبارة التي تزج بكل قوتها الإعلامية وغيرها لإبطال مفعول النداء السماوي مرة، وحرف الناس عن

حقيقة المهدي مرة أخرى ..

وتتحرك القوى العالمية والإقليمية المناوئة للدين والإسلام ، وتدفع بكل جهودها ، لمنع ذكر الناس الذائع في المهدي عجل الله تعالى فرجه شريف ، وتضغط لإبطال أمره، وتعمل على خداع الأمم. فلا تستطيع أن تبطل الحقيقة السماوية ، فيشتهر أمر المهدي عليه السلام ، وعندها تعد الأمم الظالمة أمرها للقضاء عليه ، فتسرح له أول الأمر السفيناني ، وهو رجل سفيناني لثيم خبيث ، قاتل النفوس ، ناهب الثروات ، منكر الدين ، ومشعل نيران الباطل والحروب ، وعدو الإسلام . كما تحاول القوى الظالمة تخذيل الناس وصددها عن المهدي عليه السلام ، فتنجح في قوم وتفشل في آخرين ..

أول سلطان المهدي عليه السلام

حتى إذا خسفت الأرض بجيش السفيناني في بيدااء المدينة المنورة ، وتم الإعلان العام عن ظهوره عليه السلام ، جهز عليه السلام جيشه ، وسار به ، فيخرج من مكة في اثني عشر إلى خمسة عشر الفأفي تسع رايات ، ويغلب على الحجاز وما يليها ، ويجيئ من الحجاز حتى يستولي على دمشق ، في ظل حروب

ص: 226

وخطوط ملتعبة، وأمم ورايات مختلفة، منها اليماني والخراساني، والسفياي، وأمم من هنا وأمم من هناك، إلى أن ينزل بيت المقدس، وحرسه اثنا عشر ألفاً أو ستة وثلاثون ألفاً. وتؤكد المتون أنه يبني بيت المقدس بناء لم بين مثله، ويستخرج كنز بيت المقدس من رومه ويعيده إليه أو على أنه تقع معارك ضارية بين جبهة المهدي عليه السلام وجبهة الروم، تصفها النصوص بالملحمة لشدة أهوالها وقتالها ودمارها. وينزل عليه السلام الكوفة، ويتخذها عاصمة لدولته الشريفة. ويجتمع فيها كل مؤمن. وسيطر أول أمره على الحجاز(1) واليمن، والعراق والشام، بما

ص: 227

1- يبدو أن شيعة أهل البيت عليهم السلام يعانون في هذه المنطقة قبل الظهور. الروايات تقول: «والله لا تدع ظلمة مضر عبدا لله مؤمنا، إلا قتله، أو فتنوه، حتى يضربهم الله والمؤمنون» (مستدرک الصحيحين 470/4؛ قال: صحيح على شرط الشيخين ووافقه الذهبي. مجمع الزوائد 313/7. قال: رجاله رجال الصحيح). وفي رواية ثانية: إن هذا الحي من مضر لا يزال بكل عبد صالح يقتله ويهلكه ويفنيه حتى يدركهم الله بجنود من عنده فتقتلهم» (مستدرک الصحيحين 470/4 قال: صحيح على شرط الشيخين ووافقه الذهبي. مجمع الزوائد 313/7. رجاله رجال الصحيح). على أن الإشارة إلى قتله أو فتنته تعني اعتماد أدوات الترهيب من قتل وتعذيب وسجن وشبه ذلك أو الإغراء بالمال والمنافع الأخرى. وهذه الدولة تسفط بسرعة، ويبدو بوضوح أنها تعاني قبل الظهور من خلل وهشاشة وانقسام سياسي، أممي، وربما موت خليفة، يقع على أثره مذبحه في منى من موسم الحج. وفي الحديث: لا يبايع المهدي عليه السلام بين الكن والمقام لا يوقظ نائمة ولا يهريق دما، (عقد الدرر 156 الحاوي للفتاوي 76/2). نعم يتحرك بعضهم للانتفاض على حكم المهدي عليه السلام وهم من الظلمة الطاغين فيواجههم المهدي وينتصر عليهم. وفي رواية أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وآله: «يبايع لرجل بين الركن والمقام ولن يستحل البيت إلا أهله، فإذا استحلوه فلا تسل عن ملكة العرب» (مجمع الزوائد 298/3 وقال: رجاله ثقات، مستدرک الصحيحين 452/4). وفي الحديث: «لو يعلم الناس ما بصنع المهدي عليه السلام إذا خرج لأحب أكثرهم ألا يروه مما يقتل من الناس، أما أنه لا يبدأ إلا بقريش، فلا يأخذ منها إلا السيف، ولا يعطيها إلا السيف، حتى يقول كثير من الناس ما هذا من آل محمد ولو كان من آل محمد لرحم، (البحار 132/51 كمال الدين 317/الإذاعة 117). وعليه: تشير طائفة من النصوص إلى أن المهدي عليه السلام يقتل الظلمة الجبابرة من طواغيت قریش. وفي رواية عائشة قالت: قال لي رسول الله صلى الله عليه وآله: «أول من يهلك من الناس قومك. قلت: جعلني الله فداك أبو تيم؟ قال صلى الله عليه وآله: لا ولكن هذا الحي من قریش» (كنز العمال 12/حديث: 354221). وفي رواية الرضا عليه السلام: «يبدأ ببني شيبه فيقطع أيديهم لأنهم سراق بيت الله عز وجل» (البحار 313/52) [في هذا المجال يمكن مراجعة بعض كتابات العلامة الفتلاوي].

فيها انطاكية و كيليكيا وغيرها ، بالإضافة إلى دولته المباركة في خراسان .. ويتخذ في مناطق عدة مقرات عسكرية وغيرها لإدارة حرب الجبهات الكبرى ، منها أنه يتخذ مقرا في انطاكية، وكذا في دمشق ، وكذا في القدس ، وفي غيرها وفق مجريات حرب الجبهات وضرورات الدولة المهدوية .. وتصف أصحابه فتقول بأنهم : رهبان بالليل ، أسد بالنهار ، شعارهم : أمت أمت ..

حركة حروبه وفتوحاته عليه السلام:

المهدي عليه السلام كما يقول النبي صلى الله عليه وآله : « على سنتي ، كما قاتلت أنا على الوحي والقرآن »(1)، وينصره الله بالرعب ، في وجه الجبابرة والطغاة المستبدين . يبدأ حركته عليه السلام من مكة ، في ظل عالم يملأه الفساد والإضطهاد ، فيدعو إلى القرآن ، ويرفع لواء الإيمان ، وينادي بحكومة الأنبياء والأولياء .. وبينما هو كذلك ، يجمع قوم لقتله ، فينهضون لذلك ، بزعامة أمير مكة ، فينتصر عليهم ، ويقتل أمير مكة . وتشير النصوص إلى أنه عه يقاتل سبع رايات في الشام ، ويهزم السفيناني ، ويقتله بعد معركة كبيرة ، تقع في النهاية قرب بحيرة طبرية . ويسيطر على الحجاز ، واليمن ،

ص: 228

1- م.س.

ويفتح دمشق (1)، والعراق، وفلسطين، ويكون حكمه أول الأمر، ممتد من اليمن، وصولاً إلى خراسان.. وتتحالف جملة من الأول الإقليمية والدولية للنيل من جبهة المهدي وإسقاطها، فتفشل، وتقع جملة من الحروب الكبيرة، والحروب الفرعية.

تحدثنا النصوص عن خطوط حرب، فتشير إلى أنها تصل إلى الصين، والهند، وروما في غرب الأرض، ثم إلى الدجال في شرقها، وصولاً إلى خروج يأجوج ومأجوج، وما يكون قبلها من حروب وجبهات.. وبين هذه وتلك، تخرج راية السفيناني، وجملة من حلفاءه في الشرق العربي وغربه، وصولاً إلى الترك، وجملة أيضاً من حلفاءها، ويبدو أن هؤلاء يكونون في الشرق وليس في الغرب، ثم جبهة الروم وحلفاءها الذين يتجمعون لقتال المهدي عليه السلام في الشرق، فيخوضون جملة عنيفة من المعارك، بعض النصوص وصفتها بالملاحم، ثم تتابع الحرب مسارها، وصولاً إلى الغرب، حيث يزحف جيش المهدي عليه السلام بجيش كبير للإنتقام من جبابرة روما وجيوشها، بعد حروب ونفوذ وسطوة وجبروت تقوده الروم قبل الظهور وتتابعه بتفاوت بعد الظهور، وصولاً إلى الملحمة الفصل التي تقع بين الروم وجبهة المهدي عليه السلام في الغرب، والتي على أثرها يفتح المهدي عليه السلام عاصمة جبهة الروم وتصفوا له البلاد..

ص: 229

1- ذكرت الروايات تحالف اليماني مع الخراساني (وكلاهما جيش المهدي عجل الله تعالى فرجه شريف) في معركة دمشق التي تشكل حدثاً كبيراً، والتي يتم تحريرها من حكم السفيناني وذلك بعد أن يقضي السفيناني على خصومه الإقليميين والدوليين الحاضرين في معركة قرقيسيا.

وتؤكد الأحاديث أن المهدي عليه السلام فتح حصون الضلالة ، وقلوبا غلغا ، وأنه عشيية يظهر على كل جبار وابن جبار ، ويظهر الارض من اعدائه الظلمة المفسدين ، والحكام المنحرفين ، ومن كل جور وظلم وفساد وأباطيل . على أن هناك طائفة من النصوص تقول بأن ملاحم المهدي عليه السلام تطول مدة عشرين سنة ، وأنه عليه السلام لا يضع السيف حتى يظهر الأرض من طغاتها وبغاتها ، وأباطرة الفساد والإضطهاد . وأن الله يعز به الدين وأهله ، ويذل به الشرك وأهله .

وتقول طائفة أخرى بأن أول لواء يعقده عليه السلام ، يبعثه لقتال الترك الكفار ، ويبدو أن هذا مقصود فيه الراية التي يقاتلها بعد هزيمة السفيناني ، وربما بعد تحرير بيت المقدس ..

وتظهر الآيات البنات على يديه من إرث النبيين وأسرارهم ، فيستخرج تابوت السكينة من بحيرة طبرية ، كما يستخرج التوراة والإنجيل ، ويحاجج بها اليهود والنصارى ، ويسيطر جملة من البيئات المعجزة أمام أهل الدنيا ، ويظهر أشياء عديدة من تراث الأنبياء عليهم السلام لتؤكد مدى الحجة والعظمة التي يمتاز بها المهدي عجل الله تعالى فرجه شريف من الله تعالى في وجه المشككين والمبطلين ..

ويدعو الناس كلهم إلى الله تعالى ، كما يدعو اليهود والنصارى إلى أمر الله ، وهدى النبي محمد وآله عليهم السلام . وتشير النصوص بأن قسما من اليهود والنصارى يعلنون إسلامهم وبهجتهم بالمهدي عجل الله تعالى فرجه شريف . وتلفت إلى أن

المهدي عليه السلام يبعث بقتال الروم ، إشارة إلى نفوذ الروم، وسطوتها في ذلك العالم ، وحضورها الذي يبدو أنه يتخذ موقعا متقدما آنذاك ، أو أنها تكون على موقع قوة وأدوات حرب تعتبر شديدة النفوذ والبطش ..

بل يبدو من طوائف بعض الأخبار أن الروم تكون ذات نفوذ في الشرق ، ولها جملة من الأنظمة السياسية التابعة في الشرق ، وأنها قادرة على تدبير جملة من الانقلابات والتدخلات الحربية أو السياسية الفاعلة . وتعتبر الروم جبهة المهدي عليه السلام تهديدا لمصالحها في العالم ، فتدعم أكثر من راية للنيل من جبهته عليه السلام . إلا أنها كما يبدو بوضوح تكون في تلك الفترة على نحو تعاني فيه من تراجع نفوذها شيئا فشيئا ، خاصة بعد التقدم الكبير ، والإنجازات المهمة التي تحرزها دولة خراسان ، فضلا عن إنهاك قواها في الشرق بمواجهة الترك وغيرها لخلافات استراتيجية ، منها الخلاف على ثروة قرقيسيا العراقية ، وصولا إلى هزيمة الترك والروم أمام السفيناني أيضا على ثروة قرقيسيا .. ما يعني أن نفوذ الروم في الشرق يضعف ويتراجع بشدة ..

لذلك تكون على استعداد لعقد هدنة مع جبهة المهدي عليه السلام ، فتعقد هدنة و صلح مع دولة المهدي تدوم سنين ، إلا أن الروم تنقضها فتغدر ، وذلك بعد أن يغزو الروم ودولة المهدي عليه السلام الترك وجملة من حلفاءها الفرعيين فينتصرون عليهم .

ومنذ تلك اللحظة ، تعلن الروم تجهيز جيش ضخم ، بعض الطوائف تحدده بما يقرب من مليون جندي ، ثم تسرح حربها على جبهة الإمام

المهدي عليه السلام بعد تجهيز جيشها لمدة تزيد عن 9 أشهر . النصوص تقول بأن الروم تنقض الهدنة مع المهدي عليه السلام وتغزو المنطقة ، فترسي سفن الروم من صور إلى عكا وتبدأ الملاحم، وتشير إلى أن نصارى هذه المناطق تساعدهم أو جملة منهم. وتكون هذه المعارك عنيفة جدا، وذات قتال وتلاحم كبير .. تنتهي بتراجع هائل بقوة الروم، ثم تقع معركة كبيرة جدا، عبرت عنها النصوص بالملحمة، في الأعماق (بلاد الشام أو أعماق الجزيرة) تستعمل فيها الشهب، أي أدوات حربية مدمرة، ولها ذيل ناري، يعني الصواريخ مثلا .. تلتهب المنطقة بهذه المعركة، التي تنتهي بانتصار المهدي عليه السلام على الروم فيها . كما تكون له عليه السلام حرب مع الروم برملة أفريقية، وذلك قبيل الملحمة العظمى .

أما الملحمة العظمى ..؟

فيبدو أنها أم المعارك، حيث تتجمع الجبهة الرومية مع جملة كبيرة من حلفاءها . بعض النصوص تقول بأن الملحمة العظمى تكون مع الروم ومعهم اليهود والترك، مع يعني أن الترك أعداء الروم يعودون فتجتمع فلولهم مع الروم، وكذا اليهود وغيرها من ملوك ودول الروم، ويقع الإصطدام الأكبر، بين جبهة الروم مع حلفاءها، وجبهة المهدي عليه السلام . النصوص عبرت عنها بصيغ تؤكد ضخامتها ولهيبتها وآثارها المدمرة جدا .. وتتفاوت الشروحات في بيان موقعها، هل في بلاد الروم أم في الشرق، على أنهم يتفقون على أن الملحمة الهائلة تقع بين الروم والمهدي عليه السلام ..

ص: 232

كما يستفاد من طائفة أن ملحمة الأعماق تكون شديدة العنف وذات قتل وقتال عظيم . في حين يستفاد من لوازم طائفة أخرى أنه تقع معركة ضخمة بين المهدي عليه السلام والروم في الغرب ، على 4 مراحل ، تنتهي بفتح عاصمة الروم وفتح كل تلك البلاد . وفي كلمات اللاهوتيين عن هذه الضربة التي تقودها جبهة المهدي عليه السلام في اتجاه الغرب ورد التعابير التالية : « .. هذه الضربة التي يضرب بها الرب كل الشعوب الذين يجدوا على أورشليم - أي لحمايتها وتأييدها ودعمها - لحمهم يذوب وهم واقفون على أقدامهم ، وعيونهم تذوب في أوقابها ، ولسانهم يذوب في فمهم»(1). عبارات ربما لا نجد لها تفسيراً إلا ما قاله اللاهوتيون من أنها : « كالضربة الهيدروجينية»(2).

قال أهل اللاهوت في التفسير - عن سقوط رومية - : «لقد حدثت بروق ورعود وزلازل عنيفة . فالرعود والبروق تدل على قوة الله .. وترمز إلى اضطراب عنيف في كل السلطات من أعلاها إلى أدناها .. وتسقط كل مقومات الحياة الاجتماعية، وتتداعى وتنهار بشكل جاد وعلى نطاق واسع (3)». وعن جهتهم التي جاءوا منها ؟ يقول الشراح اللاهوتيون : « لقد جاءوا من هناك إلى هنا ! يحملون شعار « الله محبة » ! ليعيشوا مساء هم الذي تغرب شمسهم إلى الأبد»(4).

ص: 233

1- [ذكرى 12/14]

2- [مشتهي كل الأمم ، صايغ : 95].

3- تفسير الرؤيا / حنا: 361

4- ذكرى / فكري : 251 ، الرؤيا / ويسلي : 72

وبعد هذه الضربة الهائلة التي لم يشهد التاريخ البشري مثيلاً لها، صور لنا « سفر الرؤيا » هذا الذعر الهائل الذي يسيطر على زعامات روما وأباطرتها وملوكها وأرباب جبروتها فيقول: « .. وملوك الأرض والعظماء والأغنياء والأمراء والأقوياء ، وكل عبد وكل حز، أخفوا أنفسهم في المغاور ، وفي صخور الجبال ، وهم يقولون للجبال والصخور اسقطي علينا؟ واخفينا من وجه الجالس على العرش (إشارة إلى المهدي المنتظر عليه السلام)، ومن غضب الحمل(1) (إشارة إلى السيد الفارسي الأشوري الخراساني) إن يوم الغضب العظيم قد جاء ، ومن يقوى على الوقوف أمامه ..!«(2).

وهذه كما ترى : شديدة التطابق مع مصادر الإسلام ورواياته .! على أن نص سفر الرؤيا ينقل لنا رعب الأمراء والملوك والقادة وهم يقولون للجبال والصخور اسقطي علينا! ، أخفينا من وجه الجالس على العرش ..! إنها أضخم لحظة رعب من عظمة المهدي ولي الله الأعظم ..!.

ثم يقول الكتاب المقدس - ناظراً إلى الخسائر الهائلة التي تكبدتها الروم وحلفاءها في تلك المعركة - : « . ورأيت ملاكا .. ينادي الطيور بصوت عال قائلاً- : هلمي ، اجتمعي معاً إلى وليمة الله الكبرى ! تعالي والتهمي لحوم الملوك والقادة والأبطال والخيول والفرسان «(3). إشارة إلى حجم القتل والعنف والجحيم الذي سطرته أعنف معركة في تاريخ

ص: 234

1- كان الحمل رمز فارس من قبل ..

2- [الرؤيا 17/6] .

3- الرؤيا 18/19

الحروب .. يقول صلى الله عليه وآله - واصفا واحدة من سلسلة المعارك الأعنف بين جبهة المهدي عليه السلام والروم بقوله - : « . فيقتتلون شهرا، لا يك لهم سلاح ولا لكم ، ويقذف الطير عليكم وعليهم ، فإذا كان رأس الشهر قال ربكم اليوم أسل سيفي فأنتقم من أعدائي وأنصر أوليائي ، فيقتتلون مقتلة ما رئي مثلها قط ، حتى ما تسير الخيل إلا على الخيل ، وما يسير الرجل إلا على الرجل » (1). إنها حرب الفصل النهائية بين وجود روما الجبارة التي كانت تقود دنيا النظام العالمي ونهايتها !.

على أن جيوش الروم تغزو المنطقة من قبل في ثمانين غاية تحت كل غاية اثنا عشر ألفا أو عشرة آلاف ، وبعد سلسلة معارك تنهزم الروم شيئا فشيئا ، حتى تصل إلى غرب الأرض وهناك تقع معركة الفتح . وتخبنا الأحاديث أنه في « الملحمة الكبرى » يقتل سبعوث أميرا من المسلمين يبلغ نورهم السماء . إشارة إلى عظيم التضحيات التي يقدمها المسلمون في تلك المواجهة مع الروم ، التي تستعمل فيها أعنف الأسلحة المدمرة .. وتشير إلى أنه بعد هزيمة الروم في الملحمة العظمى ، يتوجه المهدي عليه السلام إلى بلادهم ويفتحها ويقتل منهم 600 ألفا ، كما يفتح مدائن الشرك . تقول النصوص : يفتح بلاد الروم (2)، ومدينة رومة ، ومدينة قاطع البحر . يفتح القسطنطينية

ص: 235

1- [ابن عساكر (كنز 39652)].

2- تنتهي جبهة الروم على يد المهدي عليه السلام وفي الرواية : « يخرج المهدي إلى بلاد الروم وجيشه مائة ألف فيدعو ملك الروم إلى الإيمان فيأبى فيقتتلان شهرين فينصر الله تعالى المهدي . ويقتل من أصحابه خلقا كثيرا .. ويقتل من الروم خلقا كثيرا ويسلم على يديه خلق كثير » (العلل المتناهية 855/2) . وفي رواية : « المهدي عليه السلام يبعث بقتال الروم يحكم بين أهل التوراة بتوارتهم وبين أهل الإنجيل بإنجيلهم » (الحاوي للفتاوى 75/2) . وفي رواية الإمام الباقر عليه السلام « تسلم الروم على يده ، فيبني لهم مسجدا وستخلف عليهم رجلا من أصحابه ثم ينصرف عليه السلام ، (البحار 385/52) . أي الذين يؤمنون به . والنص صريح في ان المهدي بنفسه يقود المعارك ضد جبهة الروم وأنه الذي يفتح بلادها .

وجبال الديلم . وتحدد جملة من الأوصاف لعاصمة الروم التي تذوق واحدة من «المعارك القاسية» ، فتنهار صروحها وسواترها .. وتؤكد بإطنا ب أن المهدي عليه السلام يملك العرب ، كما يملك الأرض : مشارفها ومغاربها، فلا يبقى إلا من يقول : لا اله الا الله ، محمد رسول الله . تحت ظل ولاية أئمة الله تعالى في أرضه بقيادة وسلطان المهدي عليه السلام ..

وتتعدل موازين المعركة زمن فتنة الدجال ، وتنتهي بذوبان الدجال في معركة كبيرة ، على أثر نزول نبي الله عيسى بن مريم عليه السلام ، والذوبان يعني أن حرب ذببة إلى درجة أن جيش الدجال يتمزق تمزيقا، حتى الحجر يقول : يا مسلم هذا يهودي تعال فاقتله ، دلالة على الإنكشاف الهائل الذي يصيب اليهود ، والموت الذي يحيط بهم

وتكون نهاية المعارك الضخمة مع عسكر « يأجوج ومأجوج » الذين يزحفون بقوة هائلة نحو ما نطلق عليه اليوم إسم الشرق الأوسط، ويطلبون بيت المقدس ، فيأتي الدود عليهم ، دود النغف ، فيبيدهم عن آخرهم ، ولا- أدري إن كانت هذه عبارة عن حرب جرثومية أو بيولوجية وغير ذلك ..

تتفق النصوص بالتواتر على أن للمهدي عليه السلام غيبتين ، الثانية منهما تطول ، ولا أحد يعرف لحظة ظهوره الأعظم ، وأن روايات أهل البيت عليهم السلام كثيرة جدا التي تقول : كذب المؤقتون . وأنه عندما يظهر عليه السلام ، يظهر بصورة شاب ، بعمر أربعين سنة . وأنه يحسم المعارك بسرعة ، ويبطل الجور والإضطهاد ، وينتقم من الجبابرة والظالمين ، ويقمع الطغاة والمفسدين ، ويحكم الدنيا بالعدل . وتؤكد أن معاركة لا تطول كثيرا . هناك رواية تحددتها بعشرين سنة . فيما غيرها يحدد معاركة وملاحمه أقل من هذا بكثير . هناك رواية تحدد حروب المهدي عليه السلام بسبعة أشهر . لكن الأكد أن حروبه لا تطول ، وأنه يحكم العالم بالقسط والعدل الإلهي .

وعن حياته عليه السلام بعد الظهور .؟ قالت متون : يعيش ما شاء الله ، إشارة إلى طول عمره عجل الله تعالى فرجه شريف . بعضها الآخر حدد أزمانا غير أزماننا ، أي يومه أطول من يومنا ومختلف عن يومنا ، وهذا ربما سبب اختلاف التقديرات (1) ..

ص: 237

1- هناك نصوص تشير إلى اختلاف في مدة حكمه عليه السلام، لكن طائفة من النصوص تؤكد ان سنته غير سنتنا أو أن معايير حساب السنة بالنسبة لمكوته بعد ظهوره الشريف تكون مختلفة عن معاييرنا . من هنا يمكننا أن تجمع بين الطوائف التي اختلفت في تحديد المكث في الأرض بعد الظهور ، ففي الرواية عن علي بن عمر بن علي بن الحسين عليهما السلام ، عن أبي عبد الله جعفر بن محمد عليه السلام أنه قال : لا يملك القائم عليه السلام تسع عشرة سنة وأشهرًا ، [النعماني : ص 331 ب26 ح1] وفي رواية عبد الله بن أبي يعفور عن أبي عبد الله عليه السلام قال : « القائم من ولدي ، يعمر عمر الخليل .. ثم يغيب غيبة في الدهر ، ويظهر في صورة شاب موفق ابن اثنين وثلاثين سنة ، حتى ترجع عنه طائفة من الناس ، يملأ الأرض قسطا وعدلا كما ملئت ظلما وجورا » النعماني : ص 189 ب10 ح 44 - وعن ابن عمر بن علي بن الحسين ، عن أبي عبد الله قال : « القائم من ولدي يعمر عمر خليل الرحمن ، يقوم في الناس وهو ابن ثلاثين سنة ، ويلبث فيها أربعين سنة ، يملأ الأرض قسطا وعدلا كما ملئت جورا وظلما » . ثم بقية سند النعماني ، وفيه « إن ولي الله عمر عمر إبراهيم الخليل عشرين ومائة سنة .. ويظهر في صورة فتى موفق ابن ثلاثين سنة » . وهناك ما يخالف معناها الكني لكنه يشير إلى مقاييس مختلفة في احتساب الزمن ، منها ما رواه عبد الكريم الخثعمي (الجعفري) قال : قلت لأبي عبد الله عليه السلام : « كم يملك الناس من القائم عليه السلام قال : « سبع سنين ، تطول له الايام حتى تكون السنة من سنينه مقدار عشرين سنين من سنيكم فيكون سنو ملكه سبعين سنة من سنيكم هذه ، وإذا آن قيامه مطر الناس جمادى الآخرة وعشرة أيام من رجب مطرا لم ير الخلائق مثله ، فينبت الله به لحوم المؤمنين وأبدانهم في قبورهم ، فكأنني أنظر إليهم مقبلين من قبل جهينة ينفضون شعورهم من التراب » [الفضل بن شاذان : على ما في غيبة الطوسي] . وفي الارشاد :ص363 - عبد الكريم بن عمرو الخثعمي (قال) : قلت لأبي عبد الله عليه السلام : « كم يملك القائم ؟ قال : سبع سنين يكون سبعين سنة من سنيكم هذه » ، ما يعني ان نصوص تجديد الزمن مختلفة قياسا إلى المعايير ، وهذا يؤكد ان بعض النصوص تعمدت ذلك . لكن ضعف مجموعة من الأسانيد يسمح لنا بالتأكد أن تعلن ان عمر المهدي عليه السلام بعد الغيبة وفي عصر الظهور طويل لما ثبت بالنصوص التامة أنه يقيم العدل في العالم ويحكم بالقسط ، ويقود دولة الله في الأرض ويأمن الناس في عهده عليه السلام وتتم الحجة ، وان أمره يدوم إلى ما شاء الله . والأكد أن عهد المهدي عليه السلام بعد ظهوره الكريم يطول . هذا ما تشبه النصوص . ولا بد من التذكير بأن طوائف النصوص الواردة عن لسان أهل البيت والتامة من حيث السند تجدها نظيفة جدا وشديدة التوازن فلا تشير إلى مدة الغيبة ، كما تؤكد أن عمر المهدي عليه السلام مديد بعد الظهور . بل تؤكد أن سنة الحساب الزمني بالنسبة إليه مختلفة عما في أيدينا الآن .

بعض النصوص الضعيفة قالت يعيش : سبعا ، و تسعا ، وعشرا ، وعشرين ، وأربعين .. وغير ذلك .

لكن الصحيح من جملة النصوص أن المهدي عليه السلام يعيش عمرا مديدا في دولته الإلهية . وأنه يعيش ما شاء الله .. وربما ورد تعبير 7 و 9 إشارة إلى مراحل معينة ، فإن كان المقصود كذلك ، فهو ممكن الجمع مع الطوائف التي تشير إلى أنه يعيش ما شاء الله . أي عمرا مديدا .. وليس صحيحا أن امرأة يهودية تقتله .

ص: 238

وتصنيف بعض النصوص أنه يكون له خلف من أهل بيته ، وهناك رواية ضعيفة ومعارضة بشدة تقول بأن القحطاني يملك بعده عشرين سنة . في حين طائفة من الروايات تشير إلى أن زمن « الرجعة العظيمة » يبدأ في أواخر عمر المهدي عليه السلام ، وهناك نصوص تقول بأنه أول من يرجع إلى الدنيا هو « الإمام الحسين عليه السلام » . ما يعني أن عصر دولته الإلهية يكون - نسبيا - على مشارف الآيات العظيمة التي تشكل واحدة من العناوين الضخمة في مسار البشر نحو عالم الله الأعظم . (شملنا الله برحمته ، وعرف بيننا وبين النبيين والأولياء الوصيين ، بمحمد وآله الطيبين الطاهرين) ..

بعض خصائص وأوصاف ما قبل الظهور

الجاهلية الثانية قبل ظهور المهدي عليه السلام ومظاهر الفتن :

تحدثنا الروايات عن جاهلية ثانية ، تضرب بلاد المسلمين والعرب ، وفتن قوة وعنفوة تضربهم ، فتنة المال والشهوات والجوع والحروب والقتل والإبادات .. وتؤكد أنه تحدث على الامة الاسلامية جاهلية أشد من الجاهلية الأولى ، معها يعود الاسلام غريبا كما بدأ . بحيث يكون القابض على دينه كالقابض على الجمر . بعض النصوص عبر عن الثابت على دينه كالقابض على الشوك . لشدة ما يعاني من آثار ووطأة الجاهلية الثانية التي تتجلى بالإنحراف الهائل عن الإسلام ، والقمع الكبير لمواثيقه وللعاملين به، فضلا عن زج كافة طاقات المجتمع والسلطة لتوهين أمر الإسلام .. فلا ترى إلا ذاما لله ، منكرا عليه ، مقبلا على الدنيا ، متجاهلا أمر الآخر ، فاعلا للحرام،

مشتها بالآثام ، مفاخرا بالحطام .. حيث يأتي زمان على الناس ، لا يعرفون فيه من الإسلام إلا اسمه ، ومن القرآن إلا رسمه ، يومها يتغالب الناس في الدنيا ويسخرون من أمر الآخرة ..

وتحدث فتن عديدة في بلاد المسلمين ، منها فتنة الفروج والدينار ، وفتنة الأهواء والأباطيل ، وصولا إلى فتنة الجوع والقتل والغزو والحروب فضلا عن هجمة الأمراض .. وتتواصل هذه الفتن ، وتصك بيوت المسلمين ، حتى ظهور المهدي عليه السلام ، وتكون الفتنة الأخيرة طويلة ، وهي التي يظهر على أثرها المهدي عجل الله تعالى فرجه شريف ، هذه الفتنة تدخل كل بيت ، وتستحل فيها الدماء والاموال والفروج ، و كل المحارم . ويكون المناخ العام في تلك الفتن بجانب الكفر والنفاق والانحراف والظلم والفساد والعبثية والجهل ، وأصحاب الغرائز ، وعازلي الدين ، ومعطلي الشريعة ، وأهل السطوة الطغاة الناكرين الشريعة الإسلام .. وتتقل الفتن في قلب الأرض وأطرافها ، بين شرقها وغربها ، بتفاوت بين هذه وتلك ، على أن المسلمين يعرفون فيها عرك الأديم ، ويخضون فيها خض اللبن ، حتى يذلوا كل ذلك ، إلا قلة منهم ، كأهل خراسان ، الذي يثبتون على الحق ، فيعانون من ظلم الزمان ، وكفر أهله ، وقيام جوره وشره ، فيبنون قوة ترهب أعداءهم ، ويثون ثباتا مذهلا على الإسلام ، ويحمون دولتهم ، ويقيمون أمرهم على عزة في الدين وقوام في العلم ، ومنعة في الدولة ، وتعظيم لأهل الإسلام والقرآن (1).

ص: 240

1- وفي رواية النبي صلى الله عليه وآله : « هم أصحاب الرايات السود ، المستضعفون فيعزهم الله وينزل عليهم النصر ، فلا بقاتلهم أحد إلا- هزموه » (كنز العمال 14/حديث 39680). وفي رواية : سقى الله بلاد شعيب بالراية السوداء المهدي بنصر الله وكلمته ، حتى يبايع المهدي عليه السلام بين الركن والمقام ، (الملاحم والفتن لابن طاووس 137). وقال الرواية : « تخرج الرايات السود من خراسان معها قوم ضعفاء يجتمعون فيؤيدهم الله بنصر » ، (الفتن لابن حماد 189). وقال أيضا : « يؤيد الله بهم الدين ، (مستدرك الصحيحين 4/548). وفي رواية : « يبعث الله راية سوداء من المشرق ، من نصرها نصره الله ، ومن خذلها خذله الله ، حتى يأتوا رجلا اسمه كاسمي ، فيولونه أمرهم ، فيؤيده الله بنصره ، (عقد الدرر 130) ، وقال : « راية تجين من المشرق ، من يهزها يهز ، ومن شاقها يشق » (دلائل الإمامة 235) . وفي حديث آخر : « فلا- يلقاهم أحة إلا- هزموه وغلبوا على ما في أيديهم ، حتى تقرب رايانهم بيت المقدس » (ابراز الوهم المكنون 101). وفي نص آخر : « من نصرها نصره الله ، ومن خذلها خذله الله ، حتى يأتوا رجلا اسمه كاسمي ، فيولونه أمرهم ، فيؤيده الله بنصره » (عقد الدرر 130).

وتؤكد النصوص هدير الفتن وتقلها ، وأنه كلما أطفؤوا نار فتنة اشتعلت أخرى ، ولا يهدأ منها جانب إلا جاش جانب آخر ، حتى يظهر المهدي عجل الله تعالى فرجه شريف .. وتكون في آخر الزمان أمور كريهة شديدة وعظيمة ، ففي غيبته عليه السلام تضل الامم عن أديانها ، وعبد الوثن ، ويعظم الفرع ، وتكثر الأباطيل ، وتزهو الأوثان ، ويعصي الله جهرة ، في ظل سطوة لباطل ، ومجد الحرام ، وحكم لجباية ، وفساد وزنا وآثام تقوده أجساد النساء وأسواق الرجال ، حتى يوردوا الناس في المهالك ، ويسقطونها

في كل مسقط ..

اختلاف الناس في سنة ظهوره وغزو الجيوش لبلاد المسلمين

تؤكد النصوص أنه في سنة ظهوره عجل الله تعالى فرجه شريف يزداد اختلاف الناس بعد شهر رمضان ، وتظهر حاجة شديدة في الجوع ، والخوف والفرع ، وصولا إلى قيام الفتن والحروب في أكثر من منطقة ، منها المذبحة التي ترتكب في منى من موسم الحج (1). وتغزو بعض الدول الكبيرة (الروم والترك) بلاد

ص: 241

1- وفي الرواية عن النبي : « تكون آية في شهر رمضان ، ثم تظهر عصابة في شوال ، ثم تكون معمعة في ذي القعدة ، ثم يسلب الحاج في ذي الحجة ، ثم تنتهك المحارم في المحرم ، ثم يكون صوت في صفر ، ثم تنازع القبائل في شهري ربيع ثم العجب كل العجب بين جمادى ورجب ، ثم ناقة مقتبة خير من دسكرة تغل مائة ألف ، وعن ابن مسعود قال - ولم بسنده إلى النبي صلى الله عليه وآله - « تكون علامة في صفر ويبدأ نجم له ذناب ». وعن مكحول قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : « في السماء آية لليلتين خلت أو بقيان في شوال المهمة وفي ذي القعدة المعمعة وفي ذي الحجة التزايل وفي المحرم وما المحرم ». وفي نص آخر قال عبد الوهاب بن بخت : بلغني أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال « في رمضان آية في السماء كمود ساطع ، وفي شوال البلاء ، وفي ذي القعدة الفناء ، وفي ذي الحجة ينتهب الحاج ، والمحرم وما المحرم ». وعن سعيد بن المسيب قال : « يأتي على المسلمين زمان يكون فيه صوت في رمضان وفي شوال تكون مهمة وفي ذي القعدة تنحاز فيها القبائل إلى قبائلها ، وذو الحجة ينتهب فيه الحاج والمحرم وما المحرم ». وعن شهر بن حوشب قال : بلغني أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال : « يكون في رمضان صوت وفي شوال مهمة ، وفي ذي القعدة تحارب القبائل وفي ذي الحجة ينتهب الحاج وفي المحرم ينادي مناد من السماء ألا إن صفوة الله من خلقه فلانا (المهدي) ، فاسمعوا له وأطيعوا ». وعن عمرو بن شعيب ، عن أبيه ، عن جده ، عن النبي صلى الله عليه وآله قال « يكون صوت في رمضان ، ومعمعة في شوال ، وفي ذي القعدة تحارب القبائل ، وعامئذ ينتهب الحاج ، وتكون ملحمة عظيمة بمنى تكثر فيها القتلى وتسيل فيها الدماء ، وهم على عقبة الجمرة ». وعن ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وآله قال : إذا كانت صيحة في رمضان ، فإنه يكون معمعة في شوال ، وتميز القبائل في ذي القعدة ، وتسفك الدماء في ذي الحجة ، والمحرم وما المحرم ، يقولها ثلاثا ، هيهات هيهات ، يقتل الناس فيها هرجا مرجا ، قال قلنا : وما الصيحة يا رسول الله ؟ قال : هدة في النصف من رمضان ليلة الجمعة ، فتكون هدة توقظ النائم ، وتخرج العواتق من خدورهن ، في ليلة جمعة في سنة كثيرة الزلازل ، فإذا صليتم الفجر من يوم الجمعة ، فادخلوا بيوتكم وأغلقوا أبوابكم وسدوا كواكم وذرثوا أنفسكم وسدوا آذانكم ، فإذا أحسستم بالصيحة فخوروا لله سجدا وقولوا : سبحان القدوس سبحان القدوس ربنا القدوس ، فإنه من فعل ذلك نجا من لم يفعل ذلك هلك » [ابن حماد : ص 59 وما بعدها] وفي البدء والتاريخ : ج 2 ص 172 عن النبي صلى الله عليه وآله قال : يكون هدة في رمضان ، توقظ النائم وتزعج اليقظان » ، هذا في رواية قتادة ، وفي رواية الأوزاعي : « يكون صوت في رمضان في نصف من الشهر ، يصعق فيه سبعون ألفا ، ويعمي فيه سبعون ألفا ويصم سبعون ألفا ويخرس سبعون ألفا ويتفلت له سبعون ألف بكرة قال : ثم يتبعه صوت آخر

فالاول صوت جبرئيل عليه السلام ، والثاني صوت إبليس عليه اللعنة». قال : الصوت في رمضان والمعمعة في شوال وتميز القبائل في ذي القعدة ، ويغار على الحاج في ذي الحجة ، والمحرم أوله بلاء وآخره فرج . قالوا: يا رسول الله ، من يسلم منه ؟ قال : من يلزم بيته ويتعوذ بالسجود». الطبراني ، الأوسط : ج 1 ص 313 د 516 عن النبي صلى الله عليه وآله ... في شهر رمضان الصوت ، وفي ذي القعدة تميز القبائل ، وفي ذي الحجة بسبب الحاج». الحاكم : ج 4 ص 517 ... «تكون هدة . توقظ النائم وتفزع اليقظان ، ثم تظهر . ثم معمعة في ذي الحجة ، ثم تنتهك . ثم يكون موت في صفر ، ثم تتنازع القبائل في الربيع». أمالي الشجري : ج 2 ص 15 عن عبد الله بن مسعود : « .. تكون صيحة في رمضان ، وتكون معمعة في شوال ، وتميز القبائل في ذي القعدة ، وتسفك الدماء في ذي الحجة ، وخروج أهل المغرب في المحرم . يقولها ثلاثا». عقد الدرر : ص 101 ب 4 ف 3 كما في الداني . وفي : ص 105 عن شهر بن حوشب قال « كان يقال : في شهر رمضان صوت ، وفي شوال همهمة ، وفي ذي القعدة تميز القبائل ، وفي ذي الحجة تسفك الدماء ، وينهب الحاج في المحرم. قيل له : وما الصوت ؟ قال : « هاد من السماء يوقظ النائم ، ويفزع اليقظان ، ويخرج الفتاة من خدرها ويسمع الناس كلهم ، فلا يجيئ رجل من أفق من الآفاق إلا حدث أنه سمعه ». وفي : ص 140 ب 67 عن فتن السليلي عن عنبسة بن سعيد ، عن سمير قال يظهر في رمضان صوت ، وفي شوال همهمة ، أو مهممة ، وفي ذي القعدة تحارب القبائل ، ولي ذي الحجة يسلب الحاج ، وفي المحرم لو أخبرتكم بما في المحرم ، قلنا له : وما بالمحرم ؟ قال : ينادي مناد من السماء إلا إن فلان (المهدي) خيرة الله من خلفه ، ألا فاسمعوا له وأطيعوا

المسلمين ، لثروات تطمع فيها ، النصوص صريحة جدا في ذلك . حيث تتداعى الأمم على بلاد المسلمين ، طمعا في ثرواتهم ، فلا يملك المسلمون عصا يدافعون بها عن أنفسهم ، بعد أن قتلتهم شهوة الفرج والزنا والتعري والحرام والآثام وهجروا الإسلام ، بل هم مجرد كثرة لا قيمة لهم ولا وزن . وكما في النص « هم كثر ، لكنهم غناء كغناء السيل » . وتشن حملة عالمية أو دولية كبيرة على الجهاد ، حتى يصبح الجهاد تهمة ، وصفة إجرامية إرهابية ، ومشكلة يعير بها المسلمون ، في ظل هجمة ثقافية هائلة على بلاد المسلمين ، والمسلمون يلهثون وراء بطونهم وفروجهم وأقاصيص موضتهم في ظل انحراف وفساد عظيم . النصوص صريحة في أن المسلمين يعطلون الجهاد ، ويصبحون أمة هزيلة ذليلة مغلوبة إلا من قلة على رأسهم أهل الشرق أصحاب الرايات السود الخراسانيين .

أكثر من ذلك : تخبرنا النصوص أنه في ذلك الزمن يعطل القرآن ، ويهجر الإسلام ، ويحكم بغير ما أنزل الله ، ويشتهر الرمان بالخصيان والنسوان ، أي باللوطيين والزانيات اللواتي يبعن الفروج . ويعطل المسلمون الجهاد في آخر الزمان ، وهم مقهورون ، فلا يثارون لأعراضهم ، أو ثرواتهم أو دينهم أو ديارهم .. بل تراهم أحياء أمواتا . وتثور الحروب ، وتغزو الجيوش بلاد المسلمين ، فلا من مجاهد ولا من ناهض بأمر الله إلا قليل ، وقليل جدا .. ولا تضع الحرب أوزارها حتى ينزل عيسى بن مريم عليه السلام

وهناك تقع حرب المهدي عليه السلام ضد الدجال ، ويكون المسيح عليه السلام وزير دفاعه في تلك المعركة. ثم تكون خرج الياجوجيين والمأجوجيين الضخمة ، والتي تباد بدود النغف (ربما هي حرب جرثومية أو غيرها ..!).

أيضا تخبرنا الأحاديث أن الكفار ، في آخر الزمان ، يملكون قبل ظهور المهدي عليه السلام الأنهار الخمسة : سيحون وجيحون والفراتين والنيل . ويؤتى بشيئ من المشرق ، وشيئ من المغرب يحكمون الامة وبلاد الإسلام إقالة منها ، ويخضعون لاستعمار أحمر ، واستعمار أبيض ، استعمار بالدم والقتل والغزو ، واستعمار بالأسواق والسلع والوكالات والثقافة والبضائع والخدمات والغرائب والشهوات وغيرها .. استعمار ينهار معه المسلمون ، وتضعف كلمتهم إلى حد الدهشة . إلى درجة أن المشركين يستخدمون المسلمين ، ويبيعونهم في الأمصار ، وتعود سوق النخاسة من جديد ، بيعة للنساء والأطفال ، لتوفير خدمات جنسية وأعمال دعارة للشرق والغرب ، فضلا عن بيعهم لأسواق الطب وأعمال السخرة والإتجار ..

ومع أن كثيرا من الشراح كانوا يستهجون أن يعاد بيع النساء والأطفال ، بل والرجال .. إلا أن عصرنا هذا يباع فيه كل عام أكثر من 5 مليون امرأة ، أكثرهم أوفيهم غالبية كبيرة من المسلمات ، فيما يباع أكثر من 2 مليون طفل أيضا ، كل ذلك لسوق الدعارة والسخرة في الغرب والشرق . وأن الغرب الأمريكي الأوروبي يستحوذ على أكثر من 80 في المئة من هذه السلع البشرية التي يستخدم غالبها الأعظم في الدعارة دون

فرق بين نساء أو أطفال!. أما استعمال المشركين للمسلمين ، فهو أكبر ظاهرة اليوم ، حيث المسلمون أذلة مستنزفون ، فيما المشركون الغربيون يسيطرون على زمام النظام النقدي المالي التجاري التقني الثقافي العسكري والسياسي ، ويستعمرون بلاد المسلمين بذل وقتل وعار ونهب وإذلال هائل .. ثم تخبرنا النصوص بأن الناس آنذاك بيأسون من الفرج ، ويقول القائل عن المهدي عليه السلام : « هلك ، في أي واد سلك »⁽¹⁾.. وتؤكد أنه يكون لليهود آنذاك دولة وجولة في آخر الزمان ، وأن القرآن حدث عن علوين لهم ثم هزيمتين ، الأولى هزيمة نكراء ، والثانية هزيمة كاملة وهائلة ..

ثم قاتل اليهود المسلمين ، إلى أن يتم الله نصرته للمسلمين في معركة تحرير بيت المقدس . النصوص تقول بأن الذي يحرر بيت المقدس في آخر الزمان هو قائد أهل المشرق الخراساني صاحب الرايات السود . ثم تقع جملة من حروب هائلة ، يشارك فيها دول إقليمية وعالمية كبيرة ، الإخراج الخراساني من القدس ، ويتواطأ الروم والترك والراية المغربية⁽²⁾ ثم

ص: 245

1- وفي الرواية عن النبي صلى الله عليه وآله قال : « والذي بعثني بالحق بشيرا ليغيبن القائم من ولدي بعهد معهود إليه مني ، حتى يقول أكثر الناس : ما الله في آل محمد حاجة ، ويشك آخرون في ولادته . فمن أدرك زمانه فليتمسك بدينه ولا يجعل للشيطان إليه سبيلا بشكه فيزيله عن ملتي ، ويخرجه من ديني ، فقد أخرج أبويكم من الجنة من قبل ، وإن الله عزوجل جعل الشياطين أولياء للذين لا يؤمنون ، كمال الدين : ج 1 ص 51

2- تؤكد النصوص أن الراية المغربية المتواطئة مع الروم تقاتل بقوة هائلة في وجه الخراسانيين الإماميين الذين ينادون بالإسلام وراية أهل الإيمان ، وتصرح الأخبار بأن الراية المغربية تناصر بذلك حلفاء إقليميا دوليا يقف في وجه الخراسانيين الذين يخرجون في زمن ما ، لتحرير بيت المقدس ، فتهد جيوش إقليمية دولية متحالفة من هنا وهناك لتمنعهم من ذلك فلا تستطيع ، وعلى الأثر تقع معارك هائلة جدا ، النصوص نصفها بعبارات كلها رهبة . مثلا من تلك المعارك ما يقع بين الراية المغربية والراية الخراسانية في دمشق . ففي الرواية عن الإمام علي عليه السلام قال « .. فانظروا إلى أصحاب البراذين الشهب المحذوفة ، والرايات الصفرة تقبل من المغرب حتى تحل بالشام ، وعند ذلك الجزع الأكبر والموت الأحمر .. فإذا كان ذلك فانتظروا خروج المهدي عليه السلام » (عقد الدرر 53) . إلا- أن الخراسانيين يبطنون بشكل يذهل القوى ، النصوص تؤكد أنهم يملكون قوة فاتحة ، تقارع تلك القوى بعظمة مثيرة حتى تفتح بيت المقدس . فقد ورد في النص الذي يصف تلك الحال بقوله : « فلا يلقاهم أحد إلا هزموه ، وغلبوا على ما في أيديهم ، حتى تقرب رايائهم من بيت المقدس » . وفي رواية : « فلا يردها شئ حتى تنصب بإيلياء ، وفي لفظ ثالث : « لو قاتل الجبال لهدها واتخذ منها طرقا حتى ينزل بإيلياء » . ومع أن الراية المغربية ، وجملة من القوى الإقليمية والدولية نضل تقاتل الخراسانيين في فلسطين إلا أنهم يشبتون ، حتى يتطور الأمر مع هجوم الترك على أراضي خراسان .

السفنياني وجملة أخرى من القوى ، وتهاجم الترك أراضي خراسان فجأة وتحتل قسما من أراضيها ، مستغلة وجود معظم جيش الخراسانيين في الخارج ، فيخرج الخراسانيون من القدس ليدافعوا عن أرضهم فيخوضوا أعنف المعارك في وجه الترك التي تنهزم على أثر المعارك فتخرج من الأراضي الخراسانية ، ويبدو أن قسما منها يتجه نحو ثروة قرقيسيا في العراق ..

ثم تكون الجولة الأخرى على اليهود من المهدي عليه السلام وعلى يديه ، فيندثرون فلا يبقى لهم مركز قوة . وتتزايد أهم بيت المقدس وأرضه . ثم يعودون فيخرجون مع الدجال ، فيمزقهم المهدي عليه السلام تمزيقا ، حتى يقال : يا مسلم ، هذا يهودي فاقتله .

على أن الأرض قبل ظهور المهدي عليه السلام تمت ظلما وفسادا ، وتضرب قوة الطواغيت وفسادهم وثقافتهم الإنحرافية وأخلاقهم الغرائزية في كل ناحية وصوب ، حتى تمتلأ الأرض فسادا واضطهادا وانحرافا وباطلا إلا في جنبات قليلة و كور صغيرة ، قياسا على أهل الأرض وكياناتهم.

ص: 246

الموطؤون للمهدي عليه السلام سلطانه :

تؤكد النصوص بدقة أنه قبل ظهور المهدي عليه السلام يخرج أصحاب الرايات السود من المشرق ، وهم الخراسانيون الإمامون الذين يوطؤون للمهدي سلطانه . ويمهدون له ، ويدفعون رايتهم إليه ثم يمضون يقاتلون بين يديه أبد الدهر.

تحرك الروم والترك وإثارة الحروب والطمع بالثروات :

على مقربة من الظهور الشريف ، تتحرك الترك ، فينسحبون إلى بلاد المسلمين ، ويبدو أن الترك هم من جملة دول الإتحاد السوفياتي السابق . وتشير الأخبار إلى إعلانهم حربا مفاجئة على الخراسانيين بعد أن يحرر الخراساني بيت المقدس ، ثم يتم تحالف بين الروم والترك واليهود والراية المغربية ، وفيما بعد السفيني ، لإخراج الخراسانيين في فلسطين ، ثم يهاجم الترك الأراضي الخراسانية فتزحف جيوش خراسان للدفاع عن أرضها ، ثم ينساب الترك على العراق طمعا بثروة قرقيسيا ، وهناك تنفرط الأحلاف ، فتتقاتل الروم والترك والسفيني ك ضد بعضهم البعض ، في ظل خلاف هائل وحروب ضارية على ثروة قرقيسيا ، وفي النهاية لا ينال هذه الثروة أحد ، إلا الخراساني الذي لا يشارك في تلك الحرب . حيث يخوض معركة جبارة في وجه العباسي والسفيني إلى أن يفتح العراق ويحوز هذا المال لصالح جبهة المهدي عليه السلام دون أن يكون المال سبب هذه الحرب ..

واللافت أنه في أول خطوط الحرب التي تسبق ظهور المهدي عليه السلام ينساب الترك على بلاد المسلمين ، ويختلف الروم والترك ، ويخرج أهل المغرب إلى مصر ، وهناك مضمون رواية تقول بأنه ينساب أهل الغرب إلى مصر ودمشق ، على أن النصوص صريحة في أن الروم تخوض معركة هائلة هي أول الملاحم في الاسكندرية ضد نجباء مصر الإماميين دعماً لحاكم مصر المعزول الذي كان يحمي مصالح الروم وينهب ثروات مصر لصالح الروم الكفرة المستبدان .

النصوص تقول بأن أول الملاحم هي دخول الروم الاسكندرية ، ثم تختلف الروم والترك ، وينزل الترك الجزيرة والفرات والحيرة ، وينزل الروم فلسطين ودمشق . وتكثر الحروب في الأرض ، وينال المسلمين منها أمرها وأصعبها ، ويداسون بذل مهين وقتل مرير .. على أن فتنة بلاد الشام تدوم حتى يظهر المهدي عليه السلام ، ولا ندري حقيقة هذه الفتنة ، لكنها فتنة صعبة ، ودموية وهائلة .. بعضهم كان يرى أنه ممكن أن تكون عبارة عن فتنة اقامة دولة لليهود وامتداداتها مثل شر الروم الغربيين وطغيانهم وفسادهم . والله أعلم بحقائق الحال) ..

بعض الثورات قبل ظهوره :

الثورات كثيرة ، لكن المهم منها جملة من الرايات المتصلة بالظهور ، منها : خروج الأصهب في بلاد الجزيرة ، والجرهمي في الشام ، والقحطاني من اليمن ، ثم السفيناني في الشام . بالإضافة إلى أحداث جسام هنا وهناك . وفراغ سياسي أو ضعف وهشاشة وصراع قبائل في الحجاز ،

وموت حاكم العراق القوي وخلاف عسكري على الملك من بعده ، وظهور ثروة جوفية ينكشف عنها الفرات يتقاتل عليها أهل الشرق وأهل الغرب ، عند قرقيسيا ، قرب دير الزور السورية ، أو في المثلث التركي السوري العراقي ، حيث تدور حول هذا الكنز الكبير رحى المعارك الإقليمية أولاً ثم الدولية ، ولا تنتهي بسيطرة أحد ، إلى أن يحوزه الخراساني الذي لا يشترك بتلك المعارك ، وذلك لصالح جبهة المهدي عليه السلام بعد جولات مختلفة من الحروب حول القسط والعدل وليس حول الثروة والمال .

اختلاف وزلازل سنة الظهور :

تؤكد النصوص أنه في سنة الظهور الشريف يكثر الاختلاف بين الناس ، كما تكثر الزلازل . على أن الحروب والفتن الدموية وتجييش الجيوش الدولية والإقليمية خاصة لأهداف تتعلق بالعراق وسوريا ، والمنطقة الشرق أوسطية ، تعتبر من خصائص سنة الظهور العظيم (1)..

ص: 249

1- تقول الروايات : « .. غلبة الترك على خراسان ، والروم على الشام ، (الإرشاد 348/2) . وفي رواية ثانية : « نزول الترك الجزيرة ، ونزول الروم الرملة واختلاف كثير عند ذلك في كل الأرض ، (الإرشاد 348/2) . وفي رواية أخرى : « إذا خالف الترك الروم ، وكثر الحرب في الأرض ، (الغيبة للطوسي 268) . وفي رواية : « إذا ظهر الترك بالجزيرة وأذربيجان ، والروم بالعمق من أطرافها .. » (الفتن لابن حماد 129) ، وفي رواية : « إذا رأيت الفتنة في بلاد الشام فالموت الموت ، حتى يتحرك بنو الأصفر فيسيرون إلى بلاد العرب فتكون بينهم الوقائع ، (الملاحم والفتن لابن طاووس 107) . وفي رواية : دستقبل إخوان الترك حتى ينزلوا الجزيرة ، وستقبل مارقة الروم حتى ينزلوا الرملة ، فتلك السنة .. فيها اختلاف كثير في كل الأرض ، (الغيبة للنعماني 279 / الغيبة للطوسي 107) . وكلها صريحة في دخول الروم إلى بلاد الشام ودخول الترك إلى منطقة الجزيرة وخوض معركة قرقيسيا .

النصوص في هذا المجال مثيرة ، فهي تركز على أوصاف غير حسنة يتصف بها جملة من حكام المسلمين في آخر الزمن ، تشير إلى ضعفهم وهشاشة أمرهم ، وعزلهم لقوانين الشريعة ، واستبدالهم قوانين الإسلام بغيرها ، بعض الأحاديث تؤكد افتراق السلطان عن القرآن ، والبعض الآخر يصفهم بالحكام الجبابرة أو الائمة المضمون ، مشيرة أنهم سيحكمون الأمة قبل ظهور المهدي عجل الله تعالى فرجه شريف ، ويكون بينهم خلافات وفتن ، وحق وقطايح ، وانحرافات وتبعات ، ونكايات وضعف وهشاشة وما إليه ، وأن الأمر يصل بهم إلى عزل القرآن عن حياة الأمة والدولة ، واستبدال قوانين الشريعة بغيرها ، والاستهداء بأئمة أهل الباطل ، وأنهم أئمة مضمون ، وما إلى ذلك من الأوصاف التي تشير إلى افتراق عقيدة الدولة الحقوقية والأخلاقية والثقافية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية عن مبادئ الإسلام ، بدعم ومباشرة من الحكام المتسلطين على الدولة ومراكزها ومؤسساتها . ثم تلفت النصوص إلى أثرهم النافذ في قيادة الجماعة السياسية آنذاك على نحو مشير من انحرافات أخلاقية وثقافية واجتماعية واقتصادية وغيرها ، تتعارض ومبادئ الإسلام . حدثنا نصوص آخر الزمان عن حكام فجرة ، ووزراء خونة ، وفقهاء فسقة ، وأعداء ظلمة ، وأئمة ضعيفة هشة ، تنعق مع كل ناعق ، وتميل مع كل ريح ، لم تستوثق بركن العلم والدين .

تخبرنا النصوص عن حكام وأمة ضعيفة أمام فرجها وبطنها وكرسيها ، همها في شهوتها ونزوتها ، أمة فسدت بنائها فتعت ، وفسق شبانها فانحرفوا ، أمة أو بعض هذه الأمة يعرف في العالم بثرواته فتتداعى عليها الأكلة الجبابة ، فلا تملك عصا تدافع بها عن نفسها ، أمة يفاخر حاكمها بافتراقه عن القرآن وعزل الإسلام ، فتبعه على خطاه ، فيعود الداين غريبة كما بدأ ، ويبدو المؤمن كالقابض على الجمر .

ثم تؤكد خطورة انحراف الحاكم في آخر الزمن ، مشيرة أنه أخطر على الأمة من الفقر ، والاعداء الخارجيين ، لما يتبنى ويقود من انحراف فيضل به أمته وناسه . بعض المتون تؤكد أنهم أخطر من الدجال وفتنته ، وتصفهم بأنهم سبب انحطاط الأمة وضعفها وخواءها وذلكها الذي تقع فيه . في حين طائفة أخرى تشير إلى أن هؤلاء الخام الخونة ، هم عقوبة لهذه الأمة على معاصيها ، أي كما تكونوا يولى عليكم ، فهم جماعة مات فيهم الحق ، واعتز الباطل ، وعصي الله في نواديهم وهم فرحون .. وأن المسلمين يصلون إلى هذه الحال الذليلة الإنحرافية إذا تركوا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وحينها وقف بعض المسلمين مندهشا وهو يقول : أياكون ذلك يا رسول الله ! فقال صلى الله عليه وآله : كيف بكم إذا تركتم المعروف وفعلتم المنكر ، فقال : أياكون ذلك يا رسول الله ، فقال صلى الله عليه وآله : كيف بكم إذا رأيتم المعروف منكرا والمنكر معروفا ، فقال القائل : لا أبقاني الله لذلك اليوم ،

فقال صلى الله عليه وآله: إذا كان ذلك كذلك ، سلط الله عليكم شرار قومكم ، فیدعو خيار قومكم فلا يستجاب لهم.

أي إذا فسدت الأمة ، وعزلت الإسلام ، عندها تتغير معايير الحلال والحرام ، ومعها يتسلط على السلطة والدولة والمجتمع ما هو منهم ، أي من الفسقة المنحرفين ، الذين يحللون الحرام ، ويحرمون الحلال ، ولا يلتفتون إلى الشريعة ومواثيق القرآن ، فعندها يدب الفساد ، وتكثر الفتن ، وتصبح الشهوة ربا ، والمال عزاء ، والحرام فخرا ، والزنا جهرا ، والربا مهرا ، حتى يقل الحلال ، ويكثر الحرام ، ويشيع الفساد ، وينتشر الظلم ، فلا تجد إلا ذاما لله تعالى ..

وتؤكد أن هؤلاء الحكام الضالين يكونون بعد مرحلة النبوة والملك العضوض ، ومنهم من يسفك دماء عترة النبي صلى الله عليه وآله ويبالغ في قتلهم وتشريدهم وحبسهم والتنكيل بهم ، ويفسد في الأرض ، ويفاخر في الآثام والحرام ، ويكابح في الخروج على أمر الله ونهيه . لذا يوصي النبي صلى الله عليه وآله الأمة بقانون قاطع : إذا افترق السلطان عن القرآن فالزموا القرآن .

صفة الحكام المضلين

تحدث النصوص عن صفة هؤلاء الحكام المضلين ، فتشير إلى أنه الصفة الرئيسية لهم أنهم يعزلون الإسلام ، ويمنعون حكومة القرآن من التحقق ، ويحولون السلطة إلى أداة مبتدعة وفق لوائح ومراسيم خاصة تتصل بغايات مادية لا قيمة للروح فيها أو معاني الوجود أو مفاخر السماء .

ومع أنهم مسلمون ، إلا أنهم يمنعون حكومة القرآن من التحقق، ويستبدلون المواثيق الأخلاقية والإجتماعية والسياسية والثقافية وغيرها مما نص عليها الإسلام ، بغيرها من الحقوق والأخلاقيات الإنحرافية التي

تشرع الربا والزنا ، والحكرة، وتتسامح مع اللواط والسحاق ، وأكبر همها الترفيه على قاعدة : الرقص والطبل والتعري والشهوات ونقل خصوصيات الذكور والإناث للجمهور والعيان وفق أمانات مختلفة ، فضلا عن تحويل نظر الجماعة نحو الدنيا ونسيان الآخر، والتعامي عن حقائق الوجود وشروط الحياة وضرورات الإستخلاف الإلهي على الأرض . النصوص تصف هؤلاء الحكام المنحرفين بأنهم السفهاء الظلمة الكذابون ، وأنهم خبيثاء وشرار الامة.

لتؤكد أنهم لا يعرفون العدل ، ولا الإستقامة الضرورية في السلطة وقيادة الجماعة وشؤون المجتمع والأفراد ، وأنهم يسومون المسلمين سوء العذاب ، ويشتهرون بالقوة على ناسهم ورعتهم دون وجه حق، وبالخروج على الحقوق،

كما يمتازون بالزعامة والخصوصيات الخارقة للقيم الشرعية ومعاييرها . وأن فيهم الأمراء الكذبة ، والوزراء الفكرة ، والأمناء الخونة ، وأنهم يكثرون من الحرس والحجاب ، ويمنعون الحقوق ، ويحتكرون الأموال ، ويظلمون الناس ، ويعصون الله جهرة ، ويبالغون في الآثام . وأن من ميزة هؤلاء الحكام ، إقبالهم على النساء والشهوة والغرائز بغير ما أحل الله، وأنهم يحكمون في أمور الناس الجوارى (العاشقات والمغنيات

والراقصات والسافرات) ، والصبيان ، أي من ليس بأهل لإدارة الحياة السياسية للجماعة المسلمة وحفظ حقوقها وتأمين مصالحها ، وضمان مسيرها الديني والأخروي . لتصفهم النصوص بأن وجوههم وجوه الأدميين ، في حين قلوبهم قلوب الشياطين ، قد هجروا الدين ، وعزلوا الإسلام ، وكرسوا ما يخالفه ، وسوقوا ما يعانده ، واشتهروا بالأباطيل . أعمالهم خليطة مما يعرف المسلمون وما ينكرون ، يشتهرون بالوعود الكاذبة والمشاريع الحاقدة ، والنفاق في القول والعمل ، والسياسات الفاسدة والمقاصد الضالة ، والكذب في القول ، والإنحراف في العمل ، والكثرة في القول والقلة في الفعل ، بعض النصوص تصفهم بأنهم يقولون ما لا يفعلون ، ثم توصي بأن أدني ما يجب تجاههم هو جهادهم بالقلب ، فهم سفلة ظلمة ، يسطون على مال الأمة وطاقاتها، وسلطانها وثروتها، فيفسدون ، ويسفكون دماء المسلمين ، وينهبون أموالهم ويخرجونهم من نور الإيمان إلى ظلمة الطغيان .

أعمال الخام المنحرفين مع الأمة :

كثيرا ما تصفهم النصوص بأنهم مفسدون ، ظالمون ، مغترون ، مستبدون ، لا يراعون حقوق المسلمين ولا دماءهم . بعض المتون تقول بأنهم يفسدون في الأرض وفي الأمة ، ويسطون على أموال المسلمين بغير حق ، يمنعون الناس حقوقهم ، يغيرون الأحكام ، يهجرون القرآن ، يسلبونهم حريتهم الشرعية فيستعبدونهم ، همهم في السيف والسلطة والمال والثروة ، رغمون المسلمين على أن يحسنوا قبيحهم ويهتفوا به ، ويصدقوا

كذبهم ، ويمدحوا منكرهم ويفاخروا بفسادهم ، فهم من أهل المنكر ، جبابرة ظلمة ، يجبرون الناس على إطاعتهم في الباطل ، والتزام الحرام ، في السياسة والإجتماع والأخلاقيات والثقافات وغيرها . ثم تؤكد أنهم يعزلون القرآن ، ويهجرون الإسلام ، ويقضون بين المسلمين بالباطل وقوانين الطاغوت الذي أمروا أن يكفروا به ، ويشيعون في دولتهم الحرام ، يحكمون لأنفسهم بما لا يحكمون فيه للمسلمين ، فهم أئمة أهل الباطل الذي يدعون إليه في السياسة والإجتماع والإقتصاد والأخلاق وغيرها ، وبه يشتهرون .

أكثر من ذلك :

فإنهم يجبرون الناس بقوة السلطة على طاعتهم في الحرام ، فمن أطاعهم ففتوه عن دينه ، وأخرجوهم عن ملته ، ومن عصاهم عاقبوه ، ونكلوا به ، وبعض الأحيان قتلوه ، قد غيروا وبدلوا وعزلوا وانحرفوا ، استبدلوا دينهم ببضاعة بخس من شهوة الروم وجماعة أهل الحرام والآثام ، همهم في بطونهم وفروجهم وعروشهم وحقبيبة أموالهم .. يعرفون بكثرة المدح فيهم ، يحبون من يمدحهم ، ويعاقبون من يذمهم ، يشتركون دين الناس بقليل بخس من متاع الدنيا فيخسر المرء دينه بسبب ولائهم على الباطل ، فيمسي مؤمنا ويصبح فاسقا . فما أسرع الميل من الآخرة نحو الدنيا ، ومن الإيمان نحو الفسق والحرام ، بعض النصوص تقول بأن المرء مسي مؤمنا ويصبح كافرا ، لكثرة ما في تلك المجتمعات من حرام في شهوة أو مال أو سوق أو ربا أو رشوة أو غش أو سحت أو سياسة أو إجتماع أو ثقافة عصي الله فيها لكنها ميزة اجتماعية أو سياسية أو ثقافية أو جمالية في تلك

ص: 255

المجتمعات ، وبها يفاخرون .! إذا الإنسان في آخر الزمان بين أن يطيع السلطان في هجر الدين و تعظيم الطاغوت والفساد ، أو أن يتبرأ من ذلك ، فيميل عن الفسق أو الكفر إلى الإيمان ، وأنه من يتراجع عن ولاء لهؤلاء الفكرة الضالين يصبح مؤمناً .. ثم تؤكد أن هؤلاء الحكام الضالين يجاهرون بالحرام ، وبه يفاخرون ، يعزلون الإسلام وهم مسرورون . يغرون الناس بما يعطونهم كما يغري الدجال أتباعه آخر الزمان ، في حين لا يعطون أحدا شيئاً في باطل ، إلا كان رشوة على دينه ، وإخراجاً له عن مته ، وميلاً به عن طريق الجنة نحو النار .

وتصل الحال ببعضهم إلى إعلان حربه على الدين وأهله ، فيبرأ من الإسلام بألف شكل وشكل ، ويدعو إلى استئصاله من حياة الأمة والدولة ، وأنهم يفجرون فجرة عظيمة ، ويعبدون الجاهلية القديمة . بعض النصوص تقول : من يجاهدكم فله مثل أجر أول الأمة . كل ذلك بسبب ما يدخل على الإسلام من فجورهم وجبروتهم وطغيانهم وسفكهم للدماء ، وإشاعتهم للباطل والحرام ، وتأكيدهم على الغرائز والآثام . بعض الأحاديث تؤكد أن فتنهم تعم البلاد قبل ظهور المهدي عجل الله تعالى فرجه شريف ، حتى لا يجد الرجل ملجأ يلجأ إليه من ظلمهم وانحرافهم . وأنه يشتد ساعدتهم في الفساد والإفساد ومعاداة دين الله وشرعه ، ويؤكدون على ذلك بنار سلطتهم وسيف طغيانهم وسجنوهم وشتى أدوات العقاب لديهم . حتى ينادي مناد من السماء بظهور المهدي عجل الله تعالى فرجه شريف ونهاية حكم الجبارين والمنافقين وأشياعهم.

تخبرنا النصوص أن هؤلاء الحكام الفكرة لا يكفيهم أنهم يعصون الله ، ويخرجون على قوانين الشريعة ، ويعزلون القرآن ، ويمنعون البيئة من العمل ، فيحللون الحرام ، ويحرمون الحلال ، ويصفون المعروف بالمنكر ، والمنكر بالمعروف ، فيبدلون سنة الله ، ويقلبون المعايير ، فما يرويه الحق هو كذلك وإن خالف كتاب الله وسنة نبيه الأعظم صلى الله عليه وآله ، ويعتمدون على سلطتهم لتطبيق سياساتهم الباطلة ، وانحرافاتهم الجائرة . بعض النصوص تصفهم فتقول : ينقضون عرى الاسلام عروة عروة ، ويعيشون في ضلال كضلال اليهود ، يستحلون الفروج والخمور والحريير ، ولا يبقون حرمة الله تعالى الا-استحوها . ويتشبهون بأعداء الله ، فهم في الحرام معروفون ، وفي الحلال مفقودون ، يشوهون الإسلام ويؤولونه على غير محله ، ويعطلون القرآن ، ويمنعون دين الله من أن يحكم في السلطة أو القضاء أو المال والإقتصاد أو الثروة والأخلاق والإجتماع ، فهم عن دين الله صادون ، ولحرام الله فاعلون ، ينكرون المعروف ، ويعرفون المنكر . قد خابوا وخاب من تبعهم وباءوا بإثم عظيم . النصوص تقول عنهم : ليسوا بأئمة . ولا تجب طاعتهم

حالة الاسلام في آخر الزمان :

تشير النصوص إلى أن الإسلام يعود في آخر الزمان غربيا كغربته أول بعثة النبي صلى الله عليه وآله ، فيبدو الدين معزولا ، والفقهاء ممنوعا ، والشرع مرفوضا ، والقرآن مهجورا . حتى أن صاحب الإيمان يكون كالقابض على الجمر ، لشدة قيم وأعراف وقوانين وسلطة ومفاهيم المجتمع والدولة التي تتحول عن الإسلام إلى الفسق والكفر ، وعن الدين إلى ضده ، وعن الشريعة إلى ما يخالفها . حتى يصبح الزنا أخلاقا ، والهبة شطارة ، والتعري جمالا ، والسفاح نكاحا ، والسفور فلاحا ، ومعصية الله جهرة ، والكفر بالله فخرا ، والربا تجارة ، والشهوة إمارة ، والسفور كمالا ، والحت أمانة ، والموضة دينا ، والاهب أمانة ، ويشيع الفساد ، وتكف البلاد ، فلا ترى إلا عاصيا الله ، مكابرا عليه ، عاطفة عنقه نحو الحرام ، تاركا لأحكام القرآن ، مفاخرة بالطغيان ، ساخر من تعاليم السماء ، مسرفة بالدماء . ترى يومئذ وجوه الناس وجوه آدميين ، لكن قلوبهم قلوب شياطين ، تغضب السماء من حرامهم ، فلا يرون الأمر جرما أو إثما !.

تخبرنا النصوص بأن قسما وفيرا من المسلمين يهجرون الدين ، ويتركون أحكامه ، ويفسرونه بالرأي ، حتى أن الزانية تزني وترى أن هذا لها حلال ، والعارية تتعري وترى أن هذا من دينها ، وأخرى تفاخر بعورتها ونزوتها ، وترى أن هذا من شريعتها واعتقادها ، عندئذ ترى الهوى دينا ،

والحرام يقينا ، والآثام شريعة ، فيكثر السفاح ، ويزيد النياح ، ويشيع الزنا، ويكثر موت الفجأة ، وتتعرى الفتيات ويخلعن الحجاب ويخرجن سافرات ، الدين الله معاديات ، فاسقات مجاهرات ، تهتز منهن السماء فلا يرين في الأمر حرجا أو عجبا . أمة أدمت قلب نبيها صلى الله عليه وآله ، فعاثت في الأرض فسادا !.

النصوص تقول بأن الإسلام في آخر الزمان « ينقض عروة عروة » ، ابتداء من الحكم والحكام وسلطة الدولة ، وصولا- إلى الجماعة والإجتماع والسوق والأخلاق ، وانتهاء بالصلاة.

وتشير إلى أن الصلاة يبقى لها حظ وظهور ، لكنها جوفاء ، إلى أن عدم . الوجوه وجه آدميين والقلوب قلوب شياطين ، يتوسلون بما بقي من دين لأمر الدنيا ، لا يأخذون من الدين إلا ما يقربهم من الدنيا ، ثم تؤكد أن آخر ما ينقض من هذا الدين هو الصلاة ، فترك ، ولا يبقى من الإسلام إلا اسمه ، ومن القرآن إلا رسمه . والناس في مخاض هائل من الباطل والحرام والغرائز والآثام . . .

وهكذا : يعود الاسلام غريبا كما بدأ ، حتى لا يقال : الله . حيث تنفي الشريعة من حياة الدولة والمجتمع والناس ، فيغيض الدين ويفيض الكفر ، ويعلو الفسق ، ويتعاضم الفجور ، ويتسلط الإنحراف ، ويحكم الباطل ، بما لا عين رأت ولا أذن سمعت . ويذل الإسلام على يد الحكام الجبابة ، والطغاة الأباطرة ، والفسقة الفكرة ، والجواري العاهرات ، والنساء السافرات ، والعاريات المبتذلات ، والزانيات المتاجرات بفرجهن

والخالعات المفاحرات بعريهن ، وذكور يعرفون بالحرام ، وعصبة الآثام، وفعل الزنا ، وحب الأنا ، وشرب الخمر ، وكفر الظهور ، وترك الإسلام، وهجر القرآن ، والتشبه بأهل الحرام ، ومصاحبة أهل الآثام من اليهود وغيرهم .. وهكذا ، يضحى الإسلام خفية ، غريبا كما بدأ .. إلا من قلة قليلة ، على رأسهم دولة خراسان التي توطى للمهدي سلطانه ..

حالة القرآن في آخر الزمان :

تخبرنا نصوص آخر الزمان عن تعطيل القرآن وهجره ، عن منع موثيقه من قلوب الناس وفعلهم ، حتى أنه يحتج إلى الله تعالى يوم القيامة الشدة عزله وتركه . وتؤكد النصوص أن السلطان يفترق عن القرآن ، حتى لا يبقى من القرآن إلا رسمه . وأنه يتلى بقلوب منكرة ، ووجوه عابثة ، ويرفع أحيانا في نوادي أهل الدنيا للدنيا . إلا من قلة يتمسكون بالإسلام، ويبدلون في سبيل ذلك كل طاقاتهم ، فيشتون رغم جور الزمان ، وكفر السلطان ، ونكران الدنيا ، وزعامة الشيطان .. .

حالة السنة النبوية الشريفة في آخر الزمان :

كما يصاب القرآن الكريم بالتعطيل والعزل، فإن السنة النبوية أيضا تتعطل وتعزل عن حياة الجماعة والدولة وشؤون الأفراد والاعتقاد ، فتصير البدعة سنة ، والسنة بدعة ، ويحلل الحرام ، ويحرم الحلال ، فلا يعرف من الإسلام إلا إسمه ، ومن القرآن إلا رسمه . وتزخرف المساجد والمنابر

والمناظر، ويكثر التأويل الحرام والمبتدعة، ويقل الدين وأهله، ويكثر النفاق والكفر وأهله، ويتعاضم أمر الفجرة وأهل الحرام. ويفاخر الرجل بالزنا، وتجاهر المرأة بالعرى والسفاح، ودين الله معزول مقتول، وحاكم المسلمين قد أنهك الدين ..

حالة علماء السوء، قبل ظهور عليه السلام:

يشيع في آخر الزمان صيت وفعل علماء السوء، والمؤولة المبطلّة، الذين يؤولون القرآن والسنة النبوية على غير جهتها، فيحرمون الحلال، ويحللون الحرام، ويفعلون الأفاعيل، ويساندون حكام الباطل، ويدفعون نحو الزيغ المائل، ويمدحون سلاطين البلاط الفاسد، ويذمون الفقيه المجاهد، ويبيعون كلام الله بثمان بنخس، طلبا للدنيا، واحتقارا للدين. كما تخبرنا النصوص أنه في آخر الزمان يحتال على طلبا الدنيا بالدين، ويعتمد على الحرام والآثام لنيل المصالح والمنافع، وعلى الغرائب لتحقيق المآرب، عبر علماء سوء فجرة يفتون بتحليل ما حرم الله من الفروج والأموال والأعمال والسلطان، فينكرون المعروف، ويعرفون المنكر. ثم تشير إلى أنه في آخر الزمن يكون علماء منافقون، وقراء مداهنون، وتجار بالدين من أجل الدنيا، يتظاهرون بالإسلام والإيمان، ثم يفعلون الأفاعيل، ويبيعون الأقاويل، كلامهم تحريف و تدوير، وفعلهم آثام وتزوير، يتلظون وراء هيتهم وحسن ظاهرهم، للتجارة بدين الله وخداع الناس، سمتهم حسن، لكن لاورع لهم، يعضون عن عمد، وقلوبهم يملأها الحقد، ثم يفاخرون

في تأويل الدين وهم يحرفونه.! في ذلك الزمن يشتهر العباد الجهال والقراء الفجار، الذين لا اعتقاد لهم، والمتفهمة لغير الله تعالى، وعلماء بلاط الحرام.

فإذا كان ذلك الزمن، قل أئمة الجماعة عن حق وعلم وفقه وورع، وغاض الحق، وكثر الباطل، وانتشر الفساد، وانحرف العباد، وقام من يفتي بغير علم، ويفاخر بالبدعة، ويجاهر بالتأويل الكاذب، ونهض من يشتري الدنيا بالدين، ويبدل شرع الله بشرع الناس، ويصوب للحكام الفجرة، ويدعم الأئمة الظلمة، ويقف معهم ويمدحهم ويدعمهم، ويفتي لصالحهم في الأهواء والأباطيل. أولئك شر فقهاء نحت ظل السماء، وأصل الفتنة وعلماء الجور.. إلا من قلة قليلة، من أهل العلم والدين واليقين، يعانون أشد المعاناة، فيصرون على إظهار حكم الله رغم ما يرون من بلاء وغذاء، وما يقع عليهم من عقاب و تطويق واضطهاد. يبذلون أنفسهم في سبيل الله، ويثبتون على دين الله في عالم غاض نه الحق، وفاض فيه الباطل، وحكم أهل الجور، وغزل أهل العدل والدين والإيمان..

حالة المؤمنين قبل ظهوره عليه السلام:

تخبرنا النصوص عن جماعة من المؤمنين عظماء، ثابتين على الحق، وعلى الشرع الأصيل، فلا يستبدلون بدين الله وشرعه أي شرع على الإطلاق، يقدسون القرآن والسنة النبوية والعترة العلوية، يتخذون الإسلام شرعتهم ودينهم، وهويتهم، وطريقتهم أبدا. يبذلون في سبيل الإسلام كل

ص: 262

ما يملكون ، يقدمون أنفسهم في سبيل تعظيم أمر الله وشعائره، وتدعيم أركان الإسلام الحنيف . تصيبيهم المتاعب الجمة في آخر الزمان ، فلا يتراجعون . بعضهم ينهض بثورات أهل الحق، وبعضهم الآخر يؤسس دولة أهل الإيمان والإسلام ، التي توطي للمهدي سلطانه ، وبعضهم يتحين الفرص لكسر أركان الباطل ودعائمه ، فهم متعبون ، مشغولون بكل ما يقيم أصل الإسلام ورايته ، ويدعم حكومة القرآن وشرعته ، ويحق الحق ويبطل الباطل ، الناس منهم في راحة ، وأنفسهم منهم في تعب ، قد أعدوا أنفسهم النصر دين الله ما أمكنهم ، فهم ساهرون متعبون ، قهروا شهواتهم ، ووقفوا أنفسهم على أمر الله العظيم ، يحتمون الحق لا يرتضون به بدلا ، ويبطلون الباطل ، ويفاخرون ، أعزة في أنفسهم قد أعزهم الله ، رغم إذلال الزمان ، وطغيان السلطان ، كبار في السماء ، ممجدون في أهلها ، ثابتون في الأرض ، رغم اللواء والبلواء ..

تحدثنا الأخبار أنهم إذا نظر الناس إلى الدنيا ، نظروا منها إلى الآخرة ، وإذا نظر الناس إلى ظاهر الشيء ، نظروا إلى باطنه ، فهم عقلاء ، نجباء ، كرماء ، عظماء ، آمنوا بسواد على بياض ، فأفتوا أنفسهم في حب الله وحماية دينه ، وتعظيم شرعه وسنة نبيه وأهل بيته عليهم السلام .. هم غرباء ذلك الزمن ، ومع ذلك تراهم أعزة أقوىاء في ذات الله تعالى ، يغضبون لغضب الله ، ويفرحون لفرحه .. ولا تأخذهم في الله لومة لائم ، رغم شدة الزمان ، وغدر السلطان .. بعضهم يستطيع تأسيس دولة خراسان المباركة التي تصنع قوتها وعزتها وسلطانها على هدي الإسلام ، وتملك قدرات تمكنها من

وينزل المسيح عليه السلام من السماء ، وإلى أن تخرج نفوسهم من أبدانهم . بعض المتون تتحدث عن حضور موصوف لهؤلاء يكون في بيت المقدس وحوله وحول انطاكية ، وحول دمشق ، وحول الطالقان ،

ولا أدري التفاصيل التامة لزمن هؤلاء «المحوري» ، رغم أن النصوص حدثتنا عن بعض الإشارات الزمنية ، فهناك حديث عن الأبدال الذين يكون لهم حضور قوي في جهة جبل عامل أي لبنان ، بعض النصوص عبرت عن ذلك بأعمال الشقيف أرنون ، وبيوت وربوع عرف بسواحل البحار وأوطئة الجبال . فيما نصوص أخرى تحدثت عن خطوط متقدمة للثابتين على أمر الإسلام والمهدئ وأهل البيت عليهم السلام هنا وهناك، على أن مركز الإستقطاب يكون في خراسان التي تشكل دولة المركز الكبيرة ، والتي توطئ للمهدي سلطانه (1).

النصوص تشير إلى « الثابتين » على أمر الإسلام والمهدي صاحب الزمان عليه السلام في آخر الزمن بشيء من التمام والمكانة . تقول المتون بحقهم: يثبتون على الدين حتى يقوم من جديد ، وكلما ذهب منهم فئة أو راية منهم نشأت أخرى . ثم تشير إلى وصف آخر لذلك العالم فتؤكد أنهم الغرباء في زمن ينتشر فيه الباطل ، ومع غربتهم هذه يثبتون ، وبينون قوة لأنفسهم تحمي خياراتهم في بعض المناطق والجهات تكون عصمة لهم، ومكانا لإعلان شعائرهم . وأن هؤلاء يقاتلون مع المهدي عليه السلام ، ومع وزيره

ص: 266

1- للوقوف على تفاصيل الأخبار المروية في هذا الفصل، يمكن مراجعة موسوعة الإمام المهدي ، للمؤلف : الجزء الأول .

الأيمن النبي عيسى بن مريم عليه السلام أثناء فتنة الدجال . وأنهم يقدمون تضحيات جلييلة في سبيل الإسلام وحفظ الإيمان ، قبل ظهور المهدي عليه السلام وبعده ..

وطأة الحكام الجبابرة باتجاه أهل الإسلام والإيمان :

قيمة هؤلاء الثابتين على الحق في آخر الزمان أنهم يلتزمون الإسلام وسنة الرسول وأهل بيته عليهم السلام رغم ظلم الزمان وتطاول الأيام ، وشوكة الكفرة ، وسيف المنافقين الفجرة . ورغم الشقي الذي يقع عليهم ، المصائب التي تلاحقهم ، والعزل الذي يدبر بحقهم ، والفسق الهائل ، والفجور الصائل ، والباطل والآثام ، والجور والظلام الذي يحيط بالمجتمعات العالمية ويضرب مجتمعات أهل الإسلام بقوة. حتى أن المؤمن في بلاد أهل الجور والفساد يكون كالقابض على الجمر لشدة النكران عليه ، بل لشدة العزل له ، بل لشدة التعذيب والتنكيل به ..

تصف النصوص هؤلاء « الثابتين على الحق » في آخر الزمان ، بأن دينهم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، والانتصار للحق ما وسعهم ، وأنهم يعملون دائما لتأسيس قدراتهم على نحو يمكنهم من إحقاق الحق وإبطال الباطل وتعظيم دين الله . تصفهم الأخبار بأنهم يأمرون بالمعروف ، وينهون عن المنكر، ويجاهدون حكام الجور بالقلب واللسان واليد. فيما الجبابرة يستعملون بحقهم كل أساليب التهيب والتعذيب ، فيحيطون حياة

كثير منهم بالتخويف والتشريد والتقتيل ، على أن أهل الطغيان والجور والظلم يريدون اجتثاثهم من ذلك العالم ، لكن قسما منهم يحيطون أنفسهم بقوة تمنع كثيرا من ظلم أهل الطغيان واعتداءاتهم في وقت يؤسسون فيه قدرات قوة تعصمهم ورهب الآخرين ، بل تسمح لهم بفرض خياراتهم و ثبات راياتهم . نعم ، قبل ذلك ، وفي كل منطقة يتمكن فيها أهل الجور ، فإنهم يذيقون أهل الإيمان والحق أصناف العذاب ، تخويفا ، وتعذيبا وتقنيتية . فترى أهل الحق وجلين خائفين من طغيان حكام الجور ، مرعوبين مرهوبين ، بعضهم يضطر إلى مصانعة الجبابة واتقائهم بألسنتهم ، لكنهم أهل الإيمان بالقلب ، وأهل الإنكار بالقلب ، وأهل السعي لتأسيس ما أمكن من القوة التي تحمي التزامهم بالإسلام وتعاليم عترة الرسول عليهم السلام ..

تحمل المؤمنين في آخر الزمان وصبرهم ودعمهم للحق وحمائته :

تخبرنا نصوص آخر الزمان عن حالات وصفية صعبة تم على الثابتين بالحق ، فهناك من يقتل ، وهناك من يعذب ، وهناك من تنتهك حرمة بألف طريقة وطريقة . وفي لحظة زمنية هائلة بالطغيان ، تحدثنا الأخبار أن المؤمن يكون مستضعفا ، والإسلام ينقض عروة عروة ، وأن أول ما ينقض هو الحكم ، وآخر ما ينقض هو الصلاة ، ورغم ذلك فإن أهل الإيمان والثابتين على الحق يتشبثون بالإسلام ، ما أمكنهم ، ويكون أحدهم كالقابض على الجمر أو الشوك ، لشدة ما يكون من قوانين و حكام وسلطات تلك المجتمعات التي تعمل على عزل واجتثاث الإسلام وأهله ومعاقبتهم .

مع الإلتفات إلى أن قسما من الثابتين على الحق، يعملون ليلا نهارا من أجل تمكين الإسلام من قضايا الأفراد والجماعة بشتى عناوينها في المناطق التي يكونون فيها، فتراهم عاملين دؤوبين، بشتى أشكال القدرة والإمكانات التحقيق الهدف الأسمى الذي هو تحكيم الإسلام لا الطغيان بأمر الناس والأمة وقضايا الجماعة والإجتمع ..

وتم مراحل هائلة، يمتحن فيها الناس، ويمصون بشدة كل ذلك في غيبة المهدي عجل الله تعالى فرجه شريف.. فلا ترى إقلا من أهل تلك الدنيا، يلهجون بالإسلام، ويعملون به، وينادون بالمهدي سلطنة لأهل الأرض ومسيرة الوجود. نعم، تخبرنا الأحاديث أن الله تعالى يحيي الثابتين على الدين وأهل الإرادة والإعتقاد بالعلم والتضحية، فلا يبيعون دينهم إلى حكام الجور وأهل الدنيا والنزوات. لذا تمدح الأخبار أولئك الثابتين على الحق، العاملين بالإسلام بعد أن أضحي غريبا. وتدعو إلى مؤازرتهم ونصرتهم و تحقيق آمالهم وعونهم .. على أن بعض النصوص حدثنا أن الله تعالى يبعث في كل قرن أو على رأس كل مائة سنة، من يجدد به الله الإسلام ويحفظه ..

حالة دول المسلمين وأفرادها قبل ظهوره عليه السلام

يبدو بوضوح شديد من الأخبار، أن كيانات المسلمين وناسها يعيشون بالإجمال حالة من الإنهيار السياسي والعسكري والأمني والثقافي والإقتصادي في أوقات مختلفة، وأن صفتهم العامة هي الضعف والهشاشة،

والهوان على الأمم في ذلك العالم . والأخطر من كل هذا ، أن المسلمين يتعرضون لفتنة ثقافية فكرية أخلاقية تسقطهم في أسوأ الحالات وأحقرها ، فيتخلون عن الإلتزام بالإسلام والإنضواء تحت شرع القرآن ، فتخرج بنائهم سافرات عاريات ، للحجاب خالعات ، لعوراتهن كاشفات ، لديهن خاذلات ويفسد شبابهم وينحرفون أشد انحراف ، ويتشبه شبابهم وفتياتهم بشباب وفتيات اليهود والنصارى ، فلا تجد إلا خارجا على أمر الله ، متهتكا ، غير مراع لحلال أو حرام ، وتنتشر الخمر ، وعوالم السفور ،

ويشيع الزنا والآثام ، وتكثر العاهرات ، ويتعاضم الفساد بشكل كبير ، وتتجر المرأة بجسدها وفرجها ، والرجل بعورته وشهوته ، ويدل الرجل على زوجته ، والمرأة على بنتها ، تجارة في الفروج والأجساد ، ويطلب الصينية للعورة والنزوة ، فلا تبقى عقة في امرأة أو ستر على جسد ، أو صيانة لدين أو إيمان بحرمة ..

وتكون هذه الصورة حاكية في الغالب الأعم عن حالة المسلمين ، إلا قلة من الثابتين على الإسلام ، الملتزمين أحكامه ، في ظل جور سلطان ، وتهكم أعوان ، وغربة زمان ..

وتؤكد النصوص ، أنه من علامة آخر الزمان ، خلع الستر (الحجاب) ، والتعري ، وإظهار زينة الجسد ، والسفور ، وشرب الخمر ، وفسق النساء ، وفساد الشباب ، وانتشار الزنا ، وإضعاف الحق ، وتقوية الباطل ، وانحراف السلطان عن الإسلام ، وعزل القرآن ، وهجر الإيمان ،

وشياع المنكرات ، وبيع الفتيات ، ورؤية المعروف منكراً والمنكر معروفاً، وتولي شرار القوم ومنع خيارهم

تأثير حكام الجور على مجتمعات الأمة :

تشير النصوص إلى أن بعض الحكام ومراكز السلطان في بلاد الإسلام لها تأثير سلبي كبير على الإسلام والالتزام به ، بعد أن يتولاها حكام فتق فكرة خونة ، يعادون الإسلام ، ويرفضونه ديناً للدولة والجماعة ، وأحياناً يتخذونه مطية لتحقيق مصالحهم ثم ينقضون عليه . تحدثنا الأخبار أن حكام الجور يضلون الأمة ويفتنونها ، ويسومونها سوء العذاب ، ومعهم يعم ظلم الحكام السفهاء وانحرافهم ، وتزداد الأئمة انهياراً وفسقاً وتردياً .. كما يزداد جور وانحراف وفسق وفجور الحكام قبيل ظهور المهدي عليه السلام حتى لا يجد الرجل ملجأً من الظلم والفساد . إشارة إلى كثرة الانحراف والأباطيل وأكل الحرام ، وفعل الحرام ، وسلطنة الفساد ، وطغيان الظلم ، وفتنة الشهوة والغريزة والمال والسلطان وسفك الدم والآثام .

تحدثنا جملة من « الأخبار » عن فتنة الفروج (الزنا والتعري) ، والغانيات الراقصات ، عن فتنة السفور وخلع الستر ، عن التبرج وفتنة الغريزة ، وشياع فتيات الهوى ، وبائعات الفروج ، والمتاجرات بالشهوة ، تحدثنا عن الزنا والسحاق واللواط ، وأسواق النزوة ، وتسلط الفروج على مراكز الحكم ومؤثراتها ، فتحكم الشهوة والغريزة بمال الأمة وسلطانها ، كما يحكم الصبيان الذين همهم في فروجهم وشهواتهم وباطلهم وثوراتهم .

ص: 271

ثم تشير إلى تسلط الخصيان ، ولعله إشارة قوية إلى شهرة اللواط ونفوذه وصولاً إلى مراكز الحكم ومؤثراتها .

ويكون للحكام الباع الأطول في إشاعة « الفساد الأخلاقي » وتطوير مرافق الدعارة والزنا والتعري والفسق والفجور الغرائزي ، وخلع الستر والتخلي عن الحجاب ، والإنزلاق إلى هاوية الباطل وغيره الذي تهتز منه السماء.

كل ذلك فضلاً عن فساد الحكام في السلطة والثروة ، وقتل النفوس ، واحتكار الخيرات ، واستعباد الناس ، وصولاً إلى الفتن الدموية ، والغلبة الرومية ، وتجارة البروج ، وصولاً الفروج ، وقتال الحكام فيما بينهم حيث تحدث بينهم اختلافات طويلة وهائلة ، اختلافات هي أخطر من العدو ومن الفقر ، اختلافات على المال والجاه والغريزة في الحكم وسعة الأراضي وجبروت الأقوى وميزة السلطان ، كل ذلك في ظل فرقة وانحرافات مخزية ، بحيث تصير معة الأمة اثنين وسبعين فرقة ، تتبع الأمم السابقة ، والملل السالفة ، حذو النعل بالنعل ، والقذة بالقذة . ثم تؤكد أن الاختلاف والانحراف بينهم سيكون من علامات آخر الزمان وسيبقى كذلك حتى يصلحه المهدي عليه السلام الذي يؤلف بين قلوب الأمة ، فيقتل جابرتها ، وسفاحيها ، وأهل الباطل والعدوان فيها ، الذين يشكلون في جيوش معادية وفرق فاسدة تعمل على الإطاحة بجبهة المهدي عليه السلام ، فيحصدهم حصد الزرع ، ويقضي عليهم .

ص: 272

أيضا في ذلك الزمن ، زمن الغيبة والبلاء ، تعه في الأمة حالة من الضعف أمام الأمم الأخرى ، فيسقطون في تبعية ثقافية سلوكية أخلاقية مالية وسياسية تهتز منها نفوس الأحرار، تبعية تحولهم إلى المسالخ أذلة وتضعهم هدفا للتصال .. ويفترق أهل الإسلام ، كل على عرش هش بوجه الأعداء ، قوي على الرعية الضعيفة ، وكل يدعو إلى باطله إلا من قلة قليلة تتمسك بالحق الإلهي وتعمل له . ثم تؤكد أن كل من يدعو إلى راية ضلالة يجد له أتباعا وأنصارا وجماعا.

وتكثر الفتن في الأمة، وتغير المحاسن فيها، فيصبح المنكر معروفة ، والمعروف منكرا . ويعصي الله جهرة ، ويفاخر في ذلك !. ويكون في الأمة عشرات الكذابين قبل الأعور الدجال ، ويتجر بالحرام ، ويكثر مال الربا ، وتشيع معاملة الباطل ، وتقوم الأسواق على غير أمر الله . وفي بعض الأحيان لا تجد إلا ذما لله !.

وتزداد فرص الانحراف والفسق إلى درجات هائلة ، ويبيع الرجل دينه ما بين ليلة وضحاها ، فيمسي مؤمنا ويصبح فاسقا أو كافرا ، أو يتوب فيصبح مؤمنة ، ثم ينقلب فيمسي فاسقا أو كافرا . وتكون فتنة الحكام أخطر من فتنة الأعداء ، كما تكون فتنة الزنا وأجساد النساء وجماعات السفور أخطر من فتنة الدرهم والدينار ، وتكون فتنة الدرهم والدينار أخطر من فتنة الدجال .

كثرة عدو المسلمين مع ضعفهم :

تؤكد النصوص أن المسلمين في آخر الزمان، كثر، عددهم كبير، لكنهم في فتنة صماء، عمياء، وباطل صاحب، وانحراف ضارب. قد فتنهم الحرام وتعزز بهم، فاستبدلوا أخلاق القرآن بغيره من أخلاق أهل الزنا والسحاق واللواط والغرائز. ترى همهم في بطونهم وفروجهم وأموالهم واعتباراتهم. تؤكد الأخبار أنهم كثرة، لكنهم بلا قيمة، بلا قدرة، بلا هوية، بلا شريعة سماوية تحددوهم منازل العز والثبات والإستقامة والعظمة، لذلك لا يهابهم عدوهم على رغم كثرتهم، بعد أن تمكن منهم حب الدنيا و كراهية الموت .. حتى أن المشركين وأهل الكفر والعداء يستخدمون المسلمين في السخرة، والذل والمهانة، وينهبون ثرواتهم، ويقتلون أولادهم، ويبطشون بهم، ويدلون رقابهم، ويبيعون نساءهم وأطفالهم، ويستعبدون رجالهم، فينسى كثير من الناس وعد الله بالفرج، بعد تركهم الإسلام، حيث هاموا على وجوههم، يعبدون شهواتهم، ويتجرون بالحرام، أذلة خاسئين.

ويأس الناس من الفرج، وتقوم الدعاية والفتن في تعظيم الباطل، وتوهين الحق، والسخرية من الدين، واتهام المؤمنين، والترويج للاكتم والطغيان والفساد والحرام، من زني الزانيات، ورقص العاريات، وتعري السافرات، وتجارة الفروج، وفتنة الأجساد، وفساد الشباب، وانتشار

الخمور، وذهاب العقول، وتوهين الدين، وقتل الجنين (الإجهاض) وقيام الجاهلية الأولى، وانتهاك الحرمات، وسطو الباطل، مع ظلم هائل، وانتشار الكفر والطغيان، وبيعة الحرام، وتسلب أهل الشر على أهل الخير، ومعصية الله جهرا، وتحكيم الطاغوت قهرا، والإفتخار بإغضاب الله، والتزين بزينة أهل النار، والتشبه بالأشرار. حيث تلتحق قبائل وناس من هذه الأمة بالمشركين والكفرة وأهل الأوثان والطغيان، ويكون الدين وأهله غرباء، بعد سطوة لكفر، وقيام لجور، وشياع لفجور، وتعظيم لباطل، واستبداد الجائر، وقوة لحرام، واستطالة لآثام..

عندها يكون المناخ العام مناخ كفر ونفاق وفساد وباطل وغرائز وحرام، ومعه تبتعد الأمة كثيرا عن الاسلام - إلا من قلة مؤمنة ثابتة على الحق - حيث يغلب على بلادها الفساد والإضطهاد والسفاهة والتوهين لأمر الله، حتى أن الرجل يفاخر بمعصية الله تعالى، والمرأة تجاهر بعثرتها وسفورها ومجونها، لا تأخذها في ذلك لومه الله وغضب السماء، عندها تنتهك عقائد الدين، حتى الايمان بالله تعالى واليوم الآخر، ويعزل الإسلام ونبيه صلى الله عليه وآله، والقرآن وأهل البيت عليهم السلام، فلا يبقى لهم أثر إلا من إسم، إلا في قلة من أهل الحق واليقين، الثابتين على الدين، الذين يتلقون أنفسهم في سبيل الإسلام، فبعضهم يقيم رايات لأهل الحق، وبعضهم الآخر يتمكن من إقامة دولة قوية، ذات إسم كبير، وقدرة فذة، وثبات عظيم على خيار الإسلام، مثل دولة خراسان.

ثم تصف لنا جزءا من معالم آخر الزمان ، حيث المال يصبح صنما يعبد ، و تثور فتنة الدرهم والدينار ، و تفعل فعلتها بالمسلمين وغيرهم ، حتى يصبح الدرهم والفرج والبطن محرّكة للناس ، دافعا لهم ، دون قيد من دين أو مانع من نخوة وأخلاق أو شرف و ناموس .

بعض المتون قالت :

« و يعبد العرب الاصنام » ، ويكون المؤمن مستضعفة ، والفاسق مشرفة ، ويرتفع أمر القجرة والخونة وأهل الباطل والحرام ، ويسود الفاق ، ويعلوشأن الأراذل ، ويكرم الرجل إتقاء شره ، ويعزل أهل الخير والدين ، وتعظم الفاجرة ، الكاشفة العاهرة ، ويفاخر بنات الهوى ، وتكبر كاثرة العاريات ، حتى أن أهل السلطان والمال لا هم لهم إلا في الفروج والنزوات ، و تشيع كاشفات الأجساد ، ويلقي الإسلام من النساء العاريات ما يلقي ، حتى أن المرأة السافرة تطعن الذين أكثر من طعن العدو فيما تفعل من عري وحرام وجرم وآثام .. وتكون المساجد في ذلك الزمن عامرة ، لكن القلوب خراب من الهدى ، إلا من قلة قليلة ، ويتفاخر الناس بالظاهر ، ويهجرون الباطن ، فلا ترى قولهم إلا في زج أو لبس أو عري أو خمور أو ثراء أو بغاء(1).

ويكثر من يفاخر بالظاهر والمظاهر ، فيما القلوب موحشة ، حتى تدخل الأمة في جاهلية اشر من الجاهلية الأولى ، وتضيع في الفتنة كضياع

ص: 276

1- بل طائفة من هذه المتون لهذا الفصل مروية تحت أشرط الساعة ، في مجامع المسلمين جميعا .

اليهود في الظلمات . وتقطع الأرحام ، ويحكم سلطان الآثام، ويتناذب الناس، ويتكارهون ، ويحس بعضهم بعضا ، ويساء الجوار ، ويشيع الحقد والأخطار، وتستباح الفواحش والمفاسد، وتضعف العقائد ، وتفكك الأسر ، وتختل الروابط ، ويعظم الشر وأهله ، ويحكم الدجالون ، ويتسلطن المبطلون ، وتقوم المنكرات ، ويعظم أهلها، وينكر أهل المعروف ، ولا ينهى عن منكر ، ولا يؤمر بمعروف ، وتتقارب الأجساد ، وتتباعد القلوب ، وتفسد الأمة فسادا عظيما إلا من قلة يثبون على الحق. وتتأفرق قلوبهم ، ويهجر الإسلام ، ويترك القرآن ، وتود البدع، وتموت السنة ، وتأكل الأموال بالحرام،

ويعظم الجائر ، ويفضى بأهل الباطل ، ويرفع العلم ويكثر الجهل ، ويشرب الخمر ، ويكثر السفور ، ويتعاطم الزنا، ويتزعم الحرام ، ويهجر القرآن ، حتى يكفر بالله جهرة ، والناس في فخار من ذلك. وتضيع الصلوات ، وتعظم المنكرات ، وتتبع الشهوات ، ويعظم أصحاب المال والسلطان ،

وتتكاثر الفتن ، وتسود العاريات السفارات ، فيجلس على كرسي الحكم ، وبين الأمراء ، وفي النوادي والأسواق ، وبين العامة وغيرهم دون عفة أو حشمة ، ويكن أكثر حضورا ، وأكثر ربحا ورواجا ، يربحن بالأجساد والتعري والعورات ، فيما أهل العفة والحجاب ممنوعات ، معزولات ، قد كفر الناس بالله ، فأضاعوا الإسلام ، وتعصبوا للحرام .. ويكثر الحسد ، وتفقد الرحمة وتكبر المحنة ، وتكثر المفارقة ، وتقل المعاونة ، فلا ترى إلا ذاما

للخير . ثم قبيل ظهور المهدي عليه السلام يكون « اختلاف كثير » بين المسلمين ، وحقد وبغضاء ، وقتال على الدنيا ، وعزل للدين . وتبتلى الأمة بحكام الجور والفساد ، فلا يرون في الإسلام خيرا ، فيستبدلون به غيره ، ويكثر ما دهم على عزل الإسلام ونبذه ، وتدخل الفتنة عليهم من الدنيا ، فيتحاسدون ويتنافرون على البطون والفروج والثروة والجاه والألقاب .

وتصاب الأمة بأنواع مختلفة من الفتن ، وتضرب بها فتنة الجوع والقحط بسبب معاصيها وآثامها فتبيع فروجها ، وأطفالها ونساءها في أسواق العبيد من المشركين ، طمعا في مال ، ورغبة في جمال ، في زمن مات فيه الدين إلا من قلة قليلة ..

ويخرب جزء مهم من الناموس ، فتمطر الدنيا في غير أوانها ، ويقل الخصب ، ويكثر القحط ، وتقوم الأسواق على الحرام ، وينتشر الربا ، ويصيب الجميع غباره ، ويكون الحلال أقل ما يذكر ، حتى يصبح الحرام أكل الناس وشربهم ، وقيامهم وليسهم ، وتقلبهم وسكونهم .

ويقوم الناس على التفاخر والتناحر ، هذا خام ، وتلك سافرة ، هذا كافر ، وذاك فاسق ، هذا ساخر من الدين ، وذاك عابد وثن ، هذا متمرد على الله ، وتلك كاشفة لسترها عارية من دينها ، داخل في النار ، زانية في جهار ، هذا لوطي وتلك سحاقيية ، وأكثر الناس يرون الحرام فخرة ، وبه يتعارفون . كما يأتي زمان يكون الناس فيه ضعافا لجهة المال أمام حكام الجور ، فغالبيهم يساوم أهل الفساد وحام الطغيان ، فينسى دينه ، ويركب ما

يركبون ، فمنهم من يترك جهادهم بيده ولسانه وقلبه ، ومنهم من يعاونه على باطله وحرامه و آثامه ، ومنهم من يحسن قبيحه ويصدق كذبه ، فيحولون المعروف منكرا ، والمنكر معروفا .

ومع كل هذا ، يومهم الحكام سوء العذاب ، فيسقطوهم في باطل ، وينتهون إلى جائر ، فينهبون ثرواتهم ، ويفرضون عليهم المكوس والضرائب ، ويسلطون عليهم سلطانهم الحاقدا ، فلا يرعى فيهم إلا ولا ذمة ، فلا ترى إلا فسقة وجورا ، وظلما وقهرا ، وضعفا وذلا ، فيدعو خيارهم ، فلا يستجاب لهم ، بعد أن فسد السلطان وفسقت الرعية ، وتغيرت الأحكام ، و حرم الحلال ، وحلل الحرام . ويكون هلاكهم بسبب مخالطتهم حكام الجور ومعاونتهم ، والسكوت على آثامهم ، وتدعيم حرامهم ، والإنزلاق معهم إلى الجور والفجور . من هنا حذرت النصوص أنه من أعان الحاكم الظالم السفية ، لا يرد حوض النبي صلى الله عليه وآله . وأن الناس معاقبون بمعاصيهم ، مأخوذون بها ، وهي مردودة عليهم . فلا ترى إلا ضعافا أذلة ، في عالم امتلا ظلما وفسادا . فيخرج المهدي عليه السلام فيملأه قسطا وعدلا ، ويقيم أمر الله ، ويحكم شريعة السماء حتى لا ترى إلا معتزا بالله تعالى .

ص: 279

نصوص الغيبة كثيرة، بل أكثر من أن تحصى، ففي رواية أبي بصير عن أبي جعفر عليه السلام قال: «لا بد لصاحب هذا الامر عليه السلام من عزلة، ولا بد في عزلته من قوة. وما بثلاثين من وحشة، ونعم المنزل طيبة» (1). أي لصاحب هذا الأمر غيبة يضمنها الله تعالى له، وهذه الغيبة غيبتان: صغرى، وقد انقضت، وكبرى ما زالت إلى يومنا هذا، حتى يأذن الله تعالى له بالخروج (2). وفي الرواية عن الباقر عليه السلام قال: «يأتي على الناس زمان يغيب عنهم إمامهم عليه السلام، فيا طويبي للثابتين على أمرنا في ذلك الزمان، إن أدنى ما يكون لهم من الثواب أن يناديهم الباري جل جلاله فيقول: عبادي وإمائي آمنتتم بسري، وصدقتتم بغيبي، فأبشروا بحسن الثواب مني، فأنتم عبادي وإمائي حقا، منكم أتقبل، وعنكم أعفو، ولكم أغفر، وبكم أسقي عبادي الغيث، وأدفع عنهم البلاء، ولولاكم لأنزلت عليهم عذابي..» (3). وفي الرواية عن أبي جعفر عليه السلام قال: «إنما نحن كنجوم السماء كلما غاب نجم طلع نجم حتى إذا أشرتم بأصابعكم، وملتم بأعناقكم، غيب الله عنكم نجمكم، فاستوت بنو عبد المطلب، فلم يعرف أي من أي، فإذا طلع

ص: 280

- 1- الفضل بن شاذان - على ما في سند غيبة الطوسي . * : غيبة الطوسي : ص 102
- 2- والنص يشير إلى أن بعضا من الأولياء يكون معه، كالخضر عليه السلام وشبه ذلك . وأن المكان طيبة أي المدينة فهذا نوع من الإشارة لا البيان، فقد ثبت في أكثر من طائفة أن صاحب هذا الأمر سائح، في المدن والبلدان، يرى الخلق ولا يرونه، وهو معتصم بأمر الله تعالى يخفيه فلا يظهره إلا بإذنه تعالى .
- 3- كمال الدين : ج 1 ص 330 ب 32 ح 15 -

نجمكم فاحمدوا ربكم»(1). أي أن لصاحب هذا الأمر غيبة، تكون فيها حيرة، وللمهدي علامات، فالتزموا أمر الله في الغيبة، وانتظروا العلامات حتى الظهور. وفي زمن الغيبة يجب العمل على تطبيق أمر الله وتوطئة الأمر للمهدي عليه السلام..

وفي بعض النصوص إشارة إلى أمر صعب، وظروف معقدة، يبدو معها أن العالم يعمل على طمس معالم المهدي ويسخر من القائلين بإمامته والمنتظرين لأمره عليه السلام، ما يساهم في زيادة العناء على المؤمنين به، حتى يخرج قوم، في حين تكون الدعاية العامة مسيطرة لإبطال هذا الأمر وإلغاء فكرة المهدي من عقول الناس. وفي رواية أبي الجارود عن الباقر عليه السلام قال قال لي عليه السلام: «يا أبا الجارود، إذا دار الفلك، وقالوا مات أو هلك عليه السلام، وبأي واد سلك، وقال الطالب له: أن يكون ذلك! وقد بليت عظامه، فعند ذلك فارتجوه. وإذا سمعتم به فأتوه ولو حبوا على الثلج»(2). أي هناك دعاية خطيرة تعمل على تدمير بني ودعائم الذين يطالبون بالمهدي أو يدعون له ويوطنون لخروجه عليه السلام. وعن زرارة قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: «إن للقاء غيبة، ويجحده أهله. قلت: ولم ذاك؟ قال: يخاف - وأوماً

ص: 281

1- الكافي: ج 1 ص 338 ح 8 - عن معروف بن خربوذ قال: قلت لأبي جعفر الباقر عليه السلام أخبرني عنكم قال: نحن بمنزلة النجوم إذا خفي نجم بدا نجم (منا) أمن وأمان وسلم وإسلام، وفتح وفتح، حتى إذا استوى بنو عبد المطلب فلم يدر أي من أي، أظهر الله عزوجل (لكم) صاحبكم فاحمدوا الله عزوجل، وهو يخير الصعب والذلول، فقلت: جعلت فداك فأيهما يختار؟ قال يختار الصعب على الذلول). دلالة الامامة: ص 292 - ورواه الحكم، عن أبي جعفر عليه السلام أنه قال: (كيف بكم إذا صعدت فلم تجدوا أحدا ورجعتم فلم تجدوا أحدا) * 756 - المصادر: * : النعماني: ص 192 ب 10 ح 4

2- النعماني: ص 154 و 10 ح 12

بيده إلى بطنه»(1). أي يصل الأمر إلى حد استعمال المهن والإرتزاق والمنافع والشهوات في عملية طمس معالم الإمام المهدي وذكره . وفي نصوص تفصيلية تأكيد على أن غيبة المهدي عليه السلام غيبتان ، واحدة صغرى ، والثانية كبرى . النصوص في هذا المجال كثيرة ، منها ما رواه إبراهيم بن عمر اليماني قال : سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول : « إن لصاحب هذا الأمر غيبتين . وسمعتة يقول له : لا يقوم القائم ولأحد في عنقه بيعة »(2).

وفي رواية محمد بن مسلم الثقفي عن الباقر عليه السلام أنه قال : « إن للقائم غيبتين ، يقال له في إحديهما هلك ولا يدري في أي واد سلك »(3). أي : يقال انتهى أمر المهدي ، فلو كان حيا فكيف يعيش هذا العمر كله ! وما إلى ذلك من قول تتناثره الألسن وما زالت تتناثره ! وفي آثار الماضين ما يدحض قول الجاحدين . وفي القرآن ما يؤكد حقيقة قول المعصومين ، وقد أكدت نصوص أهل البيت عليهم السلام منذ زمن النبي صلى الله عليه وآله ، وصولا إلى زمن العسكري عليه السلام أن في المهدي عليه السلام من النبي نوح سنة ، وهي «طول العمر» ، وهذه النصوص كثيرة ، وردت على لسان أهل البيت عليهم السلام قبل أن يولد المهدي عليه السلام ، وهذا سر الإعجاز العظيم بأهل البيت عليهم السلام الذين يتلون الغيب بأمر من الله ويمدد منه ..

ص: 282

1- النعماني : ص 176 ب 10 ح 18

2- النعماني : ص 171 ب 10 ح 3

3- النعماني : ص 173 ب 10 ح 8

للظهور علامات وشرائط ، لكن تحديد الموعد وبيان المواقيت أمره بيد الله تعالى . وعليه : لا أحد يعلم متى بالتفصيل يخرج المهدي عجل الله تعالى فرجه شريف ، وقد تكاثرت النصوص التي تؤكد كذب المؤقتين . نعم تؤكد النصوص إذا ظهر المهدي عليه السلام « أصلح الله أمره في ساعة » . وأن أمره عليه السلام « كأمر الساعة » من حيث المباغته . وفي رواية الكميت بن أبي المستهل قال : دخلت على سيدي أبي جعفر ، محمد بن علي الباقر عليه السلام فقلت : يا بن رسول الله ، إني قد قلت فيكم أبياتا ، أفتأذن لي في إنشادها ؟ فقال عليه السلام : إنها أيام البيض . قلت : فهو فيكم خاصة . قال : هات ، فأنشأت أقول : .. فلما بلغت إلى قولي : متى يقوم الحق فيكم ، متى يقوم مهديكم الثاني .. فقال عليه السلام : .. لقد سئل رسول الله صلى الله عليه وآله عن ذلك ، فقال : « إما مثله كمثل الساعة لا تأتيكم إلا بغته » (1). إشارة إلى صفة الظهور التي تقع . ما يعني انت عرضنا للشرائط والصفات يكون على نحو بيان الكلبي المفهوم من النص . وفي رواية عبد السلام بن صالح الهروي قال : سمعت دعبل بن علي الخزاعي يقول : أنشدت مولاي الرضا علي بن موسى عليه السلام قصيدتي التي أولها : مدارس آيات خلت من تلاوة * ومنزل وحي مقفر العرصات . فلما انتهيت إلى قولي : خروج إمام لا محالة خارج * يقوم على اسم الله والبركات . يمسز

ص: 283

فينا كل حق وباطل * ويجزي على النعماء والنقمة . بكى الرضا عليه السلام بكاء شديدا ، ثم رفع رأسه إلي فقال لي : يا خزاعي ، نطق روح القدس على لسانك بهذين البيتين . فهل تدري من هذا الأمام ومتى يقوم ؟ فقلت : لا يا مولاي ، إلا أني سمعت بخروج إمام منكم يطهر الأرض من الفساد ويملاها عدة (كما ملئت جورا) . فقال عليه السلام :

« يا دعبل ، الامام بعدي محمد ابني ، وبعد محمد ابنه علي وبعد علي ابن الحسن ، وبعد الحسن ابنه الحجة القائم المنتظر في غيبته المطاع في ظهوره . لو لم يبق من الدنيا إلا يوم واحد لطول الله عز وجل ذلك اليوم حتى يخرج فيملا الأرض عدلا كما ملئت جورا . وأما متى ؟ فأخبار عن الوقت ، فقد حدثني أبي ، عن أبيه ، عن آبائه عليهم السلام أن النبي صلى الله عليه وآله قيل له : يا رسول الله ، متى يخرج القائم عليه السلام من ذريتك ؟ فقال صلى الله عليه وآله : مثله مثل الساعة التي « لا يُجَلِّئُهَا لَوْقَتِهَا إِلَّا هُوَ ثَقُلَتْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً » (1) . وهذا فيه تثبيت رفيع من قبل الإمام عليه السلام لحقيقة أن ظهور المهدي عليه السلام في آخر الزمان يأتي بغتة ، مثل الساعة ، وأنه لا توقيت لظهوره عجل الله تعالى فرجه شريف ، وقد قال الله عز وجل : « يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي لَا يُجَلِّئُهَا لَوْقَتِهَا إِلَّا هُوَ ثَقُلَتْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ » (187/7) . وفي النصوص الكثيرة ،

ص : 284

أن الله يصلح أمر المهدي بليلة واحدة ، وأنه إذا ظهر غلب على كل شئ وأظهر أمره سريعاً ، وملاً الدنيا قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً . كل ذلك في زمن قصير .

النداء السماوي بالمهدي عليه السلام من المحتوم

النصوص التي تشير إلى نداء جبرائيل عليه السلام السماوي ، بإسم المهدي المنتظر عجل الله تعالى فرجه شريف ، كثيرة ، وكلها واضحة في حتمية النداء من السماء . ففي رواية أبي حمزة الثمالي قال قلت لأبي عبد الله عليه السلام : « إن أبا جعفر عليه السلام كان يقول : إن خروج السفيناني من المحتوم . قال لي : نعم ، واختلاف ولد العباس من المحتوم ، وقتل النفس الزكية من المحتوم ، وخروج القائم عليه السلام من المحتوم . فقلت له : كيف يكون ذلك النداء ؟ قال علي : ينادي مناد من السماء أول النهار : ألا إله الحق في علي وشيعته ، ثم ينادي إبليس لعنه الله في آخر النهار : ألا إن الحق في السفيناني وشيعته ، فيرتاب عند ذلك المبطون» (1) .

وفي رواية أبي حمزة الثمالي قال : قلت لأبي جعفر عليه السلام : « خروج السفيناني من المحتوم ؟ قال : نعم ، والنداء من المحتوم ، وطلوع الشمس من مغربها من المحتوم ، واختلاف بني العباس في الدولة من المحتوم ، وقتل النفس الزكية محتوم ، وخروج القائم من آل محمد عليه السلام محتوم . قلت : وكيف يكون النداء ؟ قال : ينادي من السماء أول النهار : ألا إن الحق مع

ص: 285

1- الفضل بن شاذان : على ما في الارشاد، وغيبة الطوسي . كمال الدين : ج 2 ص 652 و 57 ح 14

علي وشيعته ، ثم ينادي إبليس في آخر النهار من الأرض : ألا إن الحق مع عثمان وشيعته ، فعند ذلك يرتاب المبطلون(1)»(2). وعن مضمون النداء روى جابر عن أبي جعفر عليه السلام قال : « ينادي مناد من السماء : ألا إن الحق في آل محمد ، وينادي مناد من الأرض : ألا إن الحق في آل عيسى - أو قال العباس أنا أشك فيه - وإنما الصوت الأسفل من الشيطان ليلبس على الناس . » شك أبو عبد الله نعيم(3). وفي الحقيقة النصوص في مجال النداء السماوي منها ما يختصر ومنها ما يوسع ، وهذا يعني أن النداء يكون شاملا لفقرات عدة ، مثل أن المهدي محمد بن الحسن ، ولد علي وفاطمة عليهما السلام قد ظهر ، وإن الحق مع آل محمد عليهم السلام وهكذا .. كما أن النداء الأرضي يكون متنوعا فينتصر لجبهة السفيناني كما ينتصر لجبهة الروم النصارى ... والنداء من

ص: 286

1- أقول : بخصوص مضمون النداء الأرضي التضليلي تعدد لسان النصوص ، هناك ما يتضمن الإشارة إلى السفيناني وأن الحق معه ، وهناك ما أشار إلى عثمان وأنه قتل مظلوم. وهناك ما أشار إلى ان الحق مع عيسى بن مريم عليه السلام، أي مع أنصاره وذلك قبل نزوله عليه السلام إلى الأرض ، حيث يظهر النبي عيسى عليه السلام على أثر خروج الدجال . ومعنى ذلك أن النداء الأرضي يكون متنوعا واسعا يشتغل على الجبهات كلها التي من شأنها أن تساهم في تضليل غاية النداء الأول ، بحيث تجد نوعا من تضامن بين أتباع السفيناني أو العثماني مع النصارى أي الروم لبتغاية النداء الأول الذي ينادي به جبرائيل عليه السلام من السماء بإسم المهدي وآل محمد .. وهذا يؤكد ان النداء الثاني ، النداء الأرضي ، تخوضه جبهات الضلال وأساطيلها ، فتخاطب الأمم بلغة تراثها ، تخاطب الأميين بمظلومية فلان أو فلان ، كما تخاطب الشعوب المسيحية بلغة تراثها . وعليه : يقع على أثر النداء لغط يجوب العالم في ظل خلافات واهتزاز عنيف يجوب العالم صلة بالأحداث الجارية والخلافات المتفاقمة والفتن المتتابة التي أشارت إليها النصوص فيما سبق ..

2- الارشاد : ص 358 - عن أبي حمزة الثمالي (قال) قلت لأبي عبد الله عليه السلام : إن أبا جعفر عليه السلام كان يقول : خروج السفيناني من المحتوم ، والنداء من المحتوم ، وطلوع الشمس من المغرب من المحتوم ، وأشياء كان يقولها من المحتوم فقال أبو عبد الله عليه السلام - وفيه : « واختلاف بني فلان من المحتوم وقتل .. يسمعه كل قوم بألسنتهم ... وقال (وروى الفضل بن شاذان عن أبي حمزة قال : قلت لأبي جعفر عليه السلام : - وفيه « .. مع آل علي وشيعته » ، وليس فيه : « واختلاف بني العباس في الدولة من المحتوم » .

3- ابن حماد : ص 92

السماء بالمهدي عليه السلام يعتبر من الأمور التي شاعت وذاعت واستفاضت بين الناس من قبل عن لسان النبي صلى الله عليه وآله، وهي شديدة الإلتقان والدقة والإتصال بالمعصوم وبالأخص بالنبي صلى الله عليه وآله.

وفي رواية سيف بن عميرة قال : كنت عند أبي الدوانيق (1) فسمعته يقول - ابتداء من نفسه - : « يا سيف بن عميرة : لا بد من مناد ينادي باسم رجل من ولد أبي طالب ، قلت : يرويه أحد من الناس ؟ قال : والذي نفسي بيده لسمعت أذني منه يقول : لا بد من مناد ينادي باسم رجل ، قلت : يا أمير المؤمنين ، إن هذا الحديث ما سمعت بمثله قط .! فقال لي : يا سيف إذا كان ذلك فنحن أول من يجيبه ، أما إنه أحد بني عمنا ، قلت : أي بني عمكم ؟ قال : رجل من ولد فاطمة عليها السلام ، ثم قال : يا سيف ، لولا أنني سمعت أبا جعفر محمد بن علي عليه السلام يقوله ثم حدثني به أهل الأرض ما قبلته منهم ، ولكنه محمد بن علي ! » (2). تأكيداً منه أن مصدر النص هو واحد مثل الإمام الباقر عليه السلام الذي شهد له العالم الإسلامي وفقهاءه بعلم أعجز العقول ، ويكفيه أنه المعصوم المنصوب من قبل الله تعالى .

وفي رواية ميمون البان قال : كنت عند أبي جعفر عليه السلام في فسطاطه فرفع جانب الفسطاط فقال : « إن أمرنا قد كان أبين من هذه الشمس . ثم قال : ينادي مناد من السماء : فلان بن فلان هو الامام باسمه . وينادي إبليس

ص: 287

1- المنصور الدوانيقي من حكام بني العباس .

2- الكافي : ج 8 ص 209 - 210 ح 255

العنه الله من الأرض كما نادى برسول الله صلى الله عليه وآله ليلة العقبة»(1). تأكيداً على أن النداء من السماء في آخر الزمان لا بد منه وهو حتم محتوم. وهذا النداء ينتصر للحق، بالإضافة إلى النداء من الأرض الذي ينتصر للكفر. نعم كأن الإمام عليه السلام آنذاك كان في حال يخشى من العيون والعسس!..

وفي رواية ناجية القطان قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: «.. إن المنادي ينادي: إن المهدي من آل محمد، فلان بن فلان، باسمه واسم أبيه. فينادي الشيطان: إن فلانا وشيعته على الحق، يعني رجلاً من بني أمية»(2). ما يشير ربما إلى طابع المصدر البشري للنداء الثاني، أو افتراض تعدد النداء الثاني على شكل ترداد لنداء إبليس الأرضي عبر أنصاره البشر المنحرفين، فيما النداء الأول يكون شديد الوضوح بأنه «سماوي» من قبل جبرائيل عليه السلام. وعلى كل حال: النداء من اليقينيّات التي تسبق ظهور المهدي عليه السلام. يخبر بما سيؤول الأمر إليه وشيكا من الظهور الشريف الذي يعتبر أضخم تحول في العالم آنذاك.

ويعتبر «النداء السماوي» من العلامات العظيمة، وعلى أثر الصوت يكون الفرج. وفي رواية شرحبيل - بعدما سأل الإمام أبا جعفر عليه السلام عن القائم عليه السلام - قال: «.. إنه لا يكون حتى ينادي مناد من السماء، يسمع أهل

ص: 288

1- كمال الدين: ج 2 ص 650 ف 57 ح 4 - مرسلاً عن ميمون اليماني، عن الباقر عليه السلام، وفيه (.. لو قد كان لكان أئين من هذه الشمس). عن كمال الدين، وفيه (كنت عند أبي عبد الله عليه السلام: إن أمرنا لو قد كان لكان أئين).

2- النعماني: ص 264 ب 14 ح 27

المشرق والمغرب ، حتى تسمعه الفتاة في خدرها «(1). أي انه نداء شامل ، يسمعه كل الناس ، حتى المخدرات في بيوتهن ، أو أولئك الذين يكونون في عمارتهم أو المهن أو المؤسسات أو المصانع . صوت شامل كفيل بإنذار الأمم وتبشيرها بشكل شامل ..

تجري في المهدي عليه السلام سنن من الأنبياء عليهم السلام

تضمنت النصوص أنواعا عديدة من الخصائص التي تكون في المهدي عليه السلام مشابهة للأنبياء عليهم السلام ، في الصبر والغيبة والجهد والنصر وغير ذلك . منها ما ورد عنهم عليه السلام : « .. في القائم ما شن من الأنبياء : سنة من أيننا آدم ، وسنة من نوح ، وسنة من إبراهيم ، وسنة من موسى ، وسنة من عيسى ، وسنة من أيوب ، وسنة من محمد صلوات الله عليهم . فأما من آدم ونوح فطول العمر ، وأما من إبراهيم فخفاء الولادة واعتزال الناس ، وأما من موسى فالخوف والغيبة ، وأما من عيسى فاختلف الناس فيه ، وأما من أيوب فالفرج بعد البلوى ، وأما من محمد صلى الله عليه وآله فالخروج بالسيف «(2). وفي رواية سعيد بن جبير قال : سمعت سيد العابدين علي بن الحسين عليه السلام يقول : « .. في القائم سنة من نوح وهو طول العمر «(3). ومن يقرأ النصوص الكثيرة يجد معانيها قائمة على هذا الوصف ، من الصبر والغيبة والجهد

ص: 289

1- النعماني : ص 257 ب 14 ح 14

2- م. س

3- كمال الدين : ج 1 ص 321 - 322 ب 31 ح 3

والبلاء والبذل والإنصاف وطول العمر وغير ذلك . النصوص في هذا المجال كثيرة .

الكمال الممكن زمن المهدي عليه السلام وبعض علامات حكمه

كثيرة هي النصوص التي تؤكد أن حكومة المهدي العالمية تترجم الكمال في الحاجة والمنافع على أفضل ما يمكن . من هنا تجد بعض النصوص وهي تحث على فعل الخير ونفع الناس والتصدق ، لأن الصدقة زمن المهدي تنتفي بانتفاء موضوعها ، حيث لا فقير ولا محتاج ، بل يسير الرجل من افريقيا إلى غيرها يفتش عن محتاج فلا يجده .! وفي النص عن الكاهلي عن أبي عبد الله عليه السلام قال : « تواصلوا وتباروا و تراحموا، فوالذي فلق الحبة وبرأ النسمة ليأتين عليكم وقت لا يجد أحدكم لديناره ودرهمه موضعا - يعني لا يجد عند ظهور القائم عليه السلام موضعا يصرفه فيه لاستغناء الناس جميعا بفضل الله وفضل وليه - فقلت : وأنى يكون ذلك ؟ فقال عليه السلام : عند فقدكم إمامكم ، فلا تزالون كذلك حتى يطلع عليكم كما تطلع الشمس آيس ما تكونون ، فإياكم والشك والارتياب ، وانفوا عن أنفسكم الشكوك ، وقد حذرتكم فاحذروا . أسأل الله توفيقكم وإرشادكم »(1). النص يؤكد بالمطلق على طابع الكمال والضمان وتمام إشباعات الحاجة و كفالاتها زمن المهدي عليه السلام . ثم هناك طائفة من النصوص تؤكد على طابع الخير الوفير والرزق الهائل والثمار الواسعة التي تدرها الأرض والسماء ، ثم هناك ما

ص: 290

1- النعماني : ص 150 - 151 ب 10 ح 8.

يشير إلى أن قوما «مذخورين» للمهدي عليه السلام يخرجون في آخر الزمان معه . وما أنبأ عنه أهل البيت عليهم السلام يكفي لتصديق غيره (1).

التطور والرخاء في عصر المهدي عليه السلام

من الأمور اللافتة جدا أن نصوص آخر الزمان أكدت على طابع التطور والإستغلال الطبيعي للنواميس وشبه ذلك ، مصة أن الإنسان يبلغ مرحلة شديدة التطور في مجالات مختلفة . ففي رواية صالح بن حمزة عن أبان عن أبي عبد الله عليه السلام قال :

« العلم سبعة وعشرون جزءا ، فجميع ما جاءت به الرسل جزءان ، فلم يعرف الناس حتى اليوم غير الجزأين ، فإذا قام القائم عليه السلام أخرج الخمسة والعشرين جزءا ، فها في الناس وضم إليها الجزئين ، حتى يبثها

ص: 291

1- ففي رواية عن داود الرقي قال : جاء رجل إلى أبي عبد الله عليه السلام فقال له : ما بلغ من سؤالكم ، فقال الرجل : بحر ماء هذا هل تحته شيء ؟ قال أبو عبد الله : « نعم ، رأي العين أحب إليك أو سماع الأذن ؟ قال الرجل : بل رأي العين ، لأن الأذن قد تسمع ما لا تدري ولا تعرف ، وما يرى بالعين يشهد بالقلب ، فأخذ بيد الرجل فأطلق حتى أتى شاطئ البحر فقال : أيها العبد المطيع لربه أظهر ما فيك ، فانفلق البحر عن آخر ماء فيه وظهر ماء أشد بياضا من اللبن وأحلى من العسل وأطيب رائحة من المسك وألذ من الزنجبيل ، فقال له : يا أبا عبد الله جعلت فداك لمن هذا ؟ قال عليه السلام : للقائم عليه السلام وأصحابه . قال : متى ؟ قال : إذا قام القائم عليه السلام وأصحابه فقد الماء الذي على وجه الأرض حتى لا يوجد ماء ، فيضح المؤمنون إلى الله بالدعاء فيبعث الله لهم هذا الماء فيشربونه ، وهو محرم على من خالفهم .. قال : فأشرب من هذا الماء ؟ قال : إن كنت من شيعته » (دلائل الامامة : ص 245 - 246 -). كما هنالك بعض النصوص التي تشير إلى أن بعد المهدي أحد عشر مهديا وليس إمامة . أي علماء كبار يدعون إلى الحق . ففي الرواية عن أبي حمزة ، عن أبي عبد الله عليه السلام - في حديث طويل - أنه قال : « يا أبا حمزة ، إن منا بعد القائم أحد عشر مهديا (وليس إماما) من ولد الحسين عليه السلام » [غيبة الطوسي : ص 285] . وعن أبي بصير قال : قلت للصادق جعفر بن محمد عليه السلام : { يا ابن رسول الله ، إني سمعت من أبيك عليه السلام أنه قال : يكون بعد القائم اثنا عشر مهديا ، فقال : إنما قال اثنا عشر مهديا ولم يقل اثنا عشر إماما ، ولكنهم فوم من شيعتنا يدعون الناس إلى مولاتنا ومعرفة حقنا » [كمال الدين : ج 2 ص 358 ب 33 ح 56 -] .

سبعة وعشرين جزءاً» (1). إشارة إلى علم مذهل وتطور جبار . بل إلى علم لم تحصل البشرية منه قبل الظهور الشريف إلا على 2 من أصل 27 .. تأكيد تام ومطلق على أن مستوى العلم والتطور الذي سيترجم إلى أدوات وتقنية وتكنولوجيا سيكون كبيراً جداً ومذهلاً! كبير إلى درجة 25 مرة زيادة على درجة العلم المكتشف من قبل . وهذا يعني سيطرة على الكون بطريقة لا يمكن لعقلنا أن يتصورها الآن .. ثم النص واضح في أن الذي يبث العلم ويخرجه ويكشفه للناس هو المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف . وهذا أمر جدير بالانتباه والملاحظة .

بل هناك تأكيد من الأئمة على ان للمهدي خصوصية خاصة في مجال ما خصه الله به من العلوم مقابل عصر البشرية السابق . ففي رواية أبي يحيى قال : قال أبو عبد الله عليه السلام : «إن الله خير ذا القرنين السحابين الذلول والصعب ، فاختار الذلول ، وهو ما ليس فيه برق ولا رعد، ولو اختار الصعب لم يكن له ذلك ، لأن الله ادخره للقائم عليه السلام» (2). ما يعني أن هناك من العلوم والتقنيات الصعبة والقوانين الكونية الهائلة التي سيتم الكشف عنها زمن المهدي عليه السلام وعلى يد المهدي وتكون مخصوصة لزمن وعصر وحكومة المهدي ما تقطع معه البشريه مراحل مذهلة لا تقاس أبداً بما سبق . وهذا يفسر النص السابق من ان المهدي عليه السلام يخرج للناس من العلم : 25 جزءاً بعدما كانوا قد علموا منه درجتين فقط فوصلوا فيها إلى ما وصلوا

ص: 292

1- الخرائج : ج 2 ص 841 ب 16 ح 95 -

2- بصائر الدرجات : ص 409 جزء 8 ب 15 ح 4 -

إليه .. وبالتالي تكون النصوص التي تشير إلى أن أهل الشرق يرون أهل الغرب والعكس ، وأن الناس يطيرون في قباب من نور ، وتطوى بهم الأرض ، ويحملون على الغيم وغيرها ، تكون جزءا بسيطا من سلسلة التطور الهائل الذي يكون على زمن حكومة المهدي بل على يده الشريفة عجل الله تعالى فرجه شريف.

وفي رواية أبي بصير قال :

قال أبو عبد الله عليه السلام : « إنه إذا تناهت الأمور إلى صاحب هذا الأمر رفع الله تبارك وتعالى له كل منخفض من الأرض ، وخفض له كل مرتفع منها ، حتى تكون الدنيا عنده بمنزلة راحته ، فأيكف لو كانت في راحته شعرة لم يبصرها » (1). إشارة شديدة إلى سلطة هائلة تكون بين يدي المهدي عليه السلام وهو الذي يكشف من العلم 25 جزءا إضافة إلى الجزأين اللذين كشفنا من قبل على طول مسيرة البشرية (2)!!

ص: 293

1- كمال الدين : ج 2 ص 674 ب 58 ح 29 -

2- هذا من جهة العلم والقوانين الطبيعية المستغلة . أما من جهة الولاية التكوينية التي تكون بيد المعصوم فالحديث عنها أمر آخر . لأنها سلطة من الله تعالى للمعصوم وعلى نحو الإعجاز الخاص به عليه السلام ، سواء كان نبيا أو وصيا . وهذه تشكل معنى مذهلا لأنها من عالم المعجزات . وقد قال الله تعالى بحق نبيه المسيح عليه السلام : « وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ إِنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَةَ وَالْأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّكُم إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ » . وبالإجمال : النصر يؤكد ان كل شئ في هذه الدنيا يصبح تحت نظر المهدي عليه السلام ، فلا يحجبه حائل مرتفع أو مهد منخفض ، وهو نحو من سيطرة الكشف فضلا عن سيطرة الوسائل ، وذلك بعدما تكون الأرض كالكرة بين يديه . إشارة إلى الأدوات الهائلة ذات الكشف والسيطرة المذهلة التي يمتلكها المعصوم عليه السلام .. ثم يكون لسكان دولة المهدي عليه السلام التي تشمل المشرق والمغرب قدرة استغلالية نفعية من تلك الكشوفات العلمية الهائلة . وقد عبرت النصوص عن هذا التمتع التقني الضخم بنصوص مختلفة ، منها ما رواه ابن مسكان قال : سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول : « إن المؤمن في زمان القائم عليه السلام وهو بالمشرق ليرى أخاه الذي في المغرب ، وكذا الذي في المغرب يرى أخاه الذي في المشرق » [الغيبة ، للسيد علي بن عبد الحميد : على ما في البحار - * : إثبات الهداة : ج 3 ص 584 ب 32 ف 59 - 789 -] إنها إشارة إلى واحد من المصاديق الثرة التي ستكون أعظم بكثير من مبتكرات اليوم . بتعبير آخر : هذا لا يعني تقنية إنترنت أو أقمار صناعية أو ستلايت أو هاتف خلوي . النص بضميمة ما سبق أوسع من هذا بكثير . وفي هذا المعنى ما ورد عن أبي الربيع الشامي قال : سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول : « إن قائمنا عليه السلام إذا قام مد الله عز وجل لشيئتنا في أسماعهم وأبصارهم حتى لا يكون بينهم وبين القائم عليه بريد ، يكلمهم فيسمعون وينظرون إليه وهو في مكانه » [الكافي : ج 8 ص 240 - 241 ح 329 - عن كتاب الشفاء والجلء ، عن الصادق عليه السلام : - وفيه يمد الله لشيئتنا في أسماعهم وأبصارهم ، حتى لا يكون بينهم وبين قائمهم حجاب ، يريد يكلمهم فيسمعونه وينظرون إليه في مكانه] بحيث يشير إلى تطور تقني رفيع ، يختصر عامل الزمان والمكان ، ويستفيد من أنظمة ذات أنماط ثورية مما لا نعلم ، تستثمر في الوجهة النفعية في عالم الاتصالات وغيرها من الأمور التي هي حتماً أوسع وأكبر وأقدر وأعظم من تقنية اليوم . بل ستكون تطورا ثوريا مستغربا في تلك الأزمان كما تشير النصوص . وقد استعمل في النصوص ما يشير إلى سلطنة على الجو والأجسام وشبه ذلك برموز لغوية تؤكد تطورا هائلا وثورة مذهلة جدا في علم التقنيات . بالإضافة إلى أمور أخرى في علم الكهرباء والموجات ومفاهيم الجذب والسيطرة على الجسم المادي

والتكوينات الأخرى الذرية وما لا تعلمون . أركز على هذه العبارة : « ما لا تعلمون » للتأكيد على ان هناك مصطلحات تتضمن معان غزيرة الشمول والعمق والتنوع لكنها غير حاضرة أمام مشاهد تجربتنا المعاصرة. لكنني أحاول جاهدا أن استعمل من العبارات ما يساعد على تطوير عالم الشهود المفترض في ذلك العالم الجديد . ويحضرني هنا من القرآن قول الله تعالى : «وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ(5/16) وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ(6/16) وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَدَاٍ لِّم تَكُونُوا بِالْغَيْهِ إِلَّا بِشِقِّ الْأَنْفُسِ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ(7/16) وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ».. القرآن يقول : « ما لا تعلمون ».. إنها إشارة إلى الزمن ، إلى المذهلات من الخلق والإعجاز العظيم . إلى ما يكشفه المهدي عليه السلام من وسائل وتقنيات : 25 جزءا من العلم إضافة إلى جزئين مكشوفين فقط حتى الآن . وهذا يضاف إلى ما سبق !! إنها رحمة الله الكبرى زمن المهدي العظيم ، وفي النصوص الفاظ شديدة الاختصار تشير إلى نتائج دون تفاصيل . لكنها تعني ثورة مذهلة من عالم التطر والتقنيات . ففي رواية المفضل بن عمر عن أبي عبد الله عليه السلام قال : « إذا قام القائم عليه السلام استنزل المؤمن الطير من الهواء فيذبحه فيشويه ويأكل لحمه ولا يكسر عظمه . ثم يقول له : إحي ياذن الله ، فيحيى ويطير ، (!..) ، كذلك الأطباء من الصحاري ، يكون ضوء البلاد ونورها ولا يحتاجون إلى شمس ولا قمر ، ولا يكون على وجه الأرض مؤذ ولا شر ولا سم ولا فساد أصلا ، لان الدعوة سماوية ليست بأرضية ، ولا يكون للشيطان فيها وسوسة ولا عمل ولا حسد ولا شي من الفساد ، ولا تشوك الأرض والشجر ، وتبقى الأرض قائمة كلما أخذ منها شيء نبت من وقته وعاد كحاله (!..) ، وإن الرجل تيكشو ابنه الثوب فيطول معه كلما طال ويتلون عليه أي لون أحب وشاء . ولو أن الرجل الكافر دخل جحر ضب أو توارى خلف مدرة أو حجر أو شجر لأنطق الله ذلك الشيء الذي يتوارى فيه حتى يقول يا مؤمن خلفي كافر فخذ ، فيؤخذ ويقتل . ولا يكون لإبليس هيكل يسكن فيه - والهيكل البدن - ويصافح المؤمنون الملائكة ويوحى إليهم ويحيون الموتى ياذن الله (!..) ، قالوا : يأتي على الناس زمان لا- يكون المؤمن إلا- بالكوفة أو يحن إليها ، دلائل الامامة : ص 246] . لا- شك أن هذه النتائج تعني ثورة أعمق بكثير من عالم الإستنساخ والهندسة الوراثية وعلم الجينات في الإنسان أو الحيوان أو النبات .

المهدي عليه السلام يقيم دولة الإسلام حتى يوحد الله

.. ورد في العديد من الآيات القرآنية ، المفسرة على لسان أهل البيت عليهم السلام إظهار المعنى الأكمل المراد من قوله تعالى : «حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ» ، ليؤكد على المحض التوحيدي لله تعالى وفق منظومة الإسلام الشريف . ففي رواية محمد بن مسلم قال : قلت لأبي جعفر عليه السلام : قول الله عزوجل : « وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله »؟ قال عليه السلام :

«لم يجئ تأويل هذه الآية بعد، إن رسول الله صلى الله عليه وآله، رخص لهم الحاجة وحاجة أصحابه ، فلو قد جاء تأويلها لم يقبل منهم ، لكنهم يقتلون حتى يوحد الله عزوجل وحتى لا يكون شرك»(1).

وعليه : هذا النص وغيره ، يؤكد انه في دولة المهدي عجل الله تعالى فرجه شريف لا يكون إلا الإسلام ، حتى يؤكد: الله على لسان الجميع . على أن طائفة من النصوص أكدت ان قسما من المشركين والكفرة يتهافتون على الإسلام لعظيم ما يرون من حجج في بيانات في المهدي عليه السلام واحتجاجاته . في حين قسم آخرون يصرون على الرفض والجحود وإعلان العداوة والحرب على المهدي عليه السلام فيقاتلهم المهدي حتى يقيم حكم الله فيهم .

ص: 295

وفي رواية عبد الأعلى (الحلبي) عن أبي جعفر عليه السلام في حديث طويل قال فيه : « .. ولا يقبل صاحب هذا الامر الجزية ، كما قبلها رسول الله صلى الله عليه وآله ، وهو قول الله : « وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ، ويكون الدين كله لله » ، قال أبو جعفر عليه السلام : « يقاتلون والله حتى يوحد الله ، ولا يشرك به شيئا ، وحتى تخرج العجوز الضعيفة من المشرق ثريد المغرب ولا ينهاها أحد ، ويخرج الله من الارض بذرها ، وينزل من السماء قطرها ، ويخرج الناس خراجهم على رقابهم إلى المهدي عليه السلام ، ويوسع الله على شيعتنا . ولولا ما يدركهم (ينجز لهم) من السعادة لبغوا . فبينما صاحب هذا الأمر عليه السلام قد حكم ببعض الأحكام ، و تكلم ببعض السنن ، إذ خرجت خارجة من المسجد يريدون الخروج عليه ، فيقول لأصحابه : انطلقوا فيلحقون بهم في التمارين ، فيأتونه بهم أسرى .. وهي آخر خارجة تخرج على قائم آل محمد صلى الله عليه وآله»⁽¹⁾. لا نعرف ظرف هذه الواقعة ومتى ؟ لكن كما يبدو واضحا أن هذه « الخارجة » تعلن الحرب على المهدي عليه السلام في وقت متأخر ، فينال منهم عليه السلام .

تعبير النص أنهم « خارجة » ، يشير إلى إعلانهم الحرب على المهدي عليه السلام . طبيعة خروجهم وإعلانهم الحرب يعني أنهم يقتربون الآثام والجرائم التي منها الإفساد في الأرض وغير ذلك . وفي النهاية يعاقبهم المهدي عليه السلام وفق مواثيق الشريعة وينال منهم . وهذه تكون آخر خارجة .

ص: 296

ويتعاضم أم الإسلام، وتزدهر الدنيا، ويسعد الكون بالحكومة الإلهية العظيمة التي يقودها المهدي المنتظر عجل الله تعالى فرجه شريف. ويجد البشر أنفسهم أمام أعظم مسيرة وجودية، تظللها حكومة القرآن والعترة النبوية. وفي رواية زرارة قال: قال أبو عبد الله عليه السلام «.. وليبلغن دين محمد صلى الله عليه وآله، ما بلغ الليل، حتى لا يكون شرك على ظهر الأرض، كما قال الله» (1).

أي أن «الإسلام» يستوعب دنيا الإنسان أينما حل أو ارتحل في طبقات هذا الكون، فهو وحده دين المعارف والفقهاء والحكم والجماعة والإجتماع والمسير الوجودي بكافة أطرافه وشتى معانيه..

اللهم عرف بيننا وبين محمد وآل محمد عليهم السلام، واجعلنا من أنصارهم، وأعوانهم، والذابين عنهم، والمستشهادين بين أيديهم، وثبتنا على ولايتهم عليهم السلام وشرح صدرنا للإسلام، واجعلنا من الأمة المرحومة التي تثبت على الحق والإيمان وتبذل نفسها في سبيل الله وسبيل رسوله وأهل بيته الأطهار عليهم السلام..

والحمد لله رب العالمين.. وما توفيقي إلا بالله جعفر حسن عتريسي: 29 ربيع الثاني 1427 هجرية، موافق: 27 أيار 2006 يوم السبت عصرا..

ص: 297

- نصيحة لأهل الدنيا...3
- المهدي المنتظر عجل الله تعالى فرجه شريف...5
- تعريف بالمهدي...11
- البشارة بالمهدي...11
- ولادة المهدي...12
- سفراء الإمام المهدي ، وتحقق الغيبتين...18
- شياع حكومة الجور والانحراف زمن الغيبة ... 21
- بعض علامات الظهور...33
- آية الحدثان....37
- النجم المذنب...38
- آية الشمس...40
- بعض الفتن ، وما يقع على بلاد الإسلام في عصر الغيبة [سيطرة الكفار على الأنهرالخمسة]...42
- علامات تقع في بلاد العرب زمن الظهور...44
- عن خليفة العراق...45
- استنزاف بلاد المسلمين...46
- إسم المهدي وكنيته وألقابه...48
- صفاته البدنية والخلقية...49
- مقامه عند الله تعالى...50
- نسبه من النبي صلى الله عليه وآله...53

- نسبته من الإمام علي عليه السلام...54
- نسبته من السيدة فاطمة عليها السلام...55
- نسبته من الإمام الحسين عليه السلام...55
- خريطة القوى العالمية ، والقيم في آخر الزمان [نفوذ الروم في ذلك الزمان]...56
- اختلاف الجيوش العالمية (صراع القوى في منطقة الشرق الأوسط)...57
- حرب الثروة الجوفية...60
- غربة الإسلام [العالم الفاسد، ودولة خراسان ، وباقي الجيوب]...61
- تحالف القوى العالمية على الإسلام...62
- المهدي عليه السلام يبعث بقتال الروم...66
- المهدي عليه السلام وحجج الله...67
- الهدنة مع الروم وانتقال الروم عليها...68
- محاولة بعض النصارى واليهود للإختباء وراء المسيح ... 69
- اليهود...76
- تخبط المسلمين في آخر الزمان...77
- الترك...83
- الخراسانيون...87
- أهل خراسان وموضوع الحق الذي يطالبون به...93
- الخراساني...94
- فتح بيت المقدس وإعلان الترك الحرب على خراسان...98
- السيد الحسيني والقضاء على الفتنة الداخلية في أرض خراسان ... 111
- قائد من ذرية جعفر بن أبي طالب...120

- تملك الديلم وقتال ناس من قزوين للدجال...120
- الجفاء اتجاه المهدي...12-
- منع القفيز والدرهم عن العراق...121
- بلاد الشام وحركة السفيناني...121
- المهدي والروم...141
- فلسطين في آخر الزمن...143
- فتح الهند والصين...148
- جبهة الدجال...149
- الحجاز في آخر الزمن...151
- ذبح النفس الزكية...154
- اليمن واليماني في آخر الزمن...158
- العراق في آخر الزمن...163
- مصر في آخر الزمن...170
- العرب في آخر الزمن...173
- بلاد العرب في عصر الظهور وما يكون عليه العرب والمسلمون في آخر الزمان...180
- حرب الروم على المهدي بعد غدرهم...186
- حالة العرب واضطراب أحوالهم أمام طواغيت آخر الزمان ... 199
- عدل المهدي عليه السلام والرخاء في عصره...213
- أصحابه وأنصاره عليه السلام...218
- بعض معالم آخر الزمان...221
- حكومات آخر الزمان...222

• تعاقب الفتن على المسلمين... 223

• بيعة المهدي عليه السلام... 225

ص: 301

- أول سلطان المهدي عليه السلام...226
- حركة حروبه وفتوحاته عليه السلام...228
- حياة المهدي...237
- بعض خصائص وصفات ما قبل الظهور : (الجاهلية الثانية قبل ظهور المهدي عليه السلام ومظاهر الفتن...239
- واختلاف الناس سنة ظهوره وغزو الجيوش لبلاد المسلمين...241
- الموطؤون للمهدي عليه السلام سلطانه...247
- تحرك الروم والترك وإثارة الحروب والطمع بالثروات...247
- بعض الثورات قبل ظهوره...248
- اختلاف وزلازل سنة الظهور...249
- بعض حكام الأمة قبل ظهوره...250
- صفة الحكام المضلين...252
- أعمال الحكام المنحرفين مع الامة...254
- تحريفهم الاسلام ومخالفتهم أحكامه...257
- حالة الاسلام...258
- حالة القرآن...260
- حالة السنة النبوية الشريفة...260
- حالة علماء السوء قبل ظهوره...261
- حالة المؤمنين قبل ظهوره...262
- وطأة الحكام الجبابرة باتجاه أهل الإسلام والإيمان ووجوب الصبر والثبات...267
- تحمل المؤمنين في آخر الزمان ووجوب دعم الحق وحمایته...268

- حالة دول المسلمين وأفرادها قبل الظهور...269
- تأثير حكام الجور على مجتمعات الأمة...271
- وكثرة عدو المسلمين مع ضعفهم...274
- غيبة المهدي...280
- بغتة الظهور...283
- النداء السماوي بالمهدي من المحتوم...285
- تجري في المهدي سنن من الأنبياء عليهم السلام...289
- الكمال الممكن زمن المهدي عليه السلام وبعض علامات حكمه...290
- التطور والرخاء في عصر المهدي عليه السلام...191
- المهدي يقيم دولة الإسلام حتى يوحد الله...295
- فهرس...299

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

صدر للمؤلف :

- العولمة والعالم إدارة وأدوات .
- الديمقراطيات الغربية في مواجهة
- عقوبة الإعدام تحت المجهر .
- الإنتشار الإسلامي .
- الإستساح جدل العصر .
- أفول نجم الامبراطورية الأمريكية .
- ولاية الفقيه والنظام الدستوري الإسلامي .
- المفاهيم الإجتماعية والقيم الوجودية في الإسلام .
- فضائح الملفات الساخنة في لبنان .
- قبل أن ينهار لبنان .
- فوضوية العالم وميزان القوي .
- نهاية أحداث التاريخ البشري : بقية الله الأعظم: المهدي المنتظر آل محمد، المهدي) : نال [المصلح الرباني وصانع العالم الجديد) (3 أجزاء).
- من وجع السنين . (كتاب أدبي)
- أمركة الأمم وصدام الحضارات .
- التوراة والإنجيل والقرآن .
- الرأسمالية تجتاح العالم .
- معين القراء في مجالس العزاء .
- الحاكم والرعية .

- ما قبل نهاية التاريخ (ظهور قائم آل محمد، المهدي آل محمد، المهدي) : نال) : نال الدرجة الأولى « بامتياز في مهرجان الكتاب الدولي لوزارة الإرشاد والثقافة الإيرانية في مؤتمر سنة الولاية عام 2004 [سال ولايت] .

- حزب الله الخيار الأصعب وضمانة الوطن الكبرى .

- فلسفة الحياة : بين النزعة المادية والمنظومة الوجودية .

- بين الشرق والغرب : الإسلام هو الحل .

- إيران النووية والنظام الأوسطي الجديد .

- العراق في قلب الإعصار (سقوط بغداد) .

- رايات أهل الولاية في عصر الظهور .

- المرأة في الألفية الثالثة .

- حوار الحضارات والتصادم الأممي .

- المهدي المنتظر عليه السلام ومعالم آخر الزمن .

ص: 304

تعريف مركز

بسم الله الرحمن الرحيم
هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ
الزمر: 9

عنوان المكتب المركزي
أصفهان، شارع عبد الرزاق، سوق حاج محمد جعفر آباه اي، زقاق الشهيد محمد حسن التوكلي، الرقم 129، الطبقة الأولى.

عنوان الموقع : : www.ghbook.ir

البريد الالكتروني : Info@ghbook.ir

هاتف المكتب المركزي 03134490125

هاتف المكتب في طهران 021 - 88318722

قسم البيع 09132000109 شؤون المستخدمين 09132000109.

مركز
للبحوث والتحريرات الكمبيوترية
اصبهان
الغمامية



للحصول على المكتبات الخاصة الاخرى
ارجعوا الى عنوان المركز من فضلكم
www.Ghaemiyeh.com

www.Ghaemiyeh.net

www.Ghaemiyeh.org

www.Ghaemiyeh.ir

و للايحاء من فضلكم

٠٩١٣ ٢٠٠٠ ١٥٩

